الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة العربي التبسي – تبسة-
كلية الآداب و اللغات
قسم اللغة و الأدب العربي

ثنائية الغربة و الحنين في شعر أحمد شوقي "أنموذجا"

مذكرة مكملة لنيل درجة الماستر في اللغة و الأدب العربي
التخصص : نقد حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:
*يونس وردة
*عزاز أحلام

إشراف الأستاذ:
* د.زرقي إبراهيم

لجنة المناقشة

الاسم و اللقب	الرتبة	الجامعة الأصيلة	الصفة
خليف عبد القادر	أستاذ محاضر- أ-	جامعة العربي التبسي- تبسة-	رئيسا
زرقي ابراهيم	أستاذ محاضر- ب-	جامعة العربي التبسي- تبسة-	مشرفا و مقرار
سعد الله مكي	أستاذ محاضر- ب-	جامعة العربي التبسي- تبسة-	عضوا مناقشا

السنة الجامعية:2018 /2019

شكـــــر وعـــــرفان

قـال تعـالى:*رَب أوزعنـي أن أشـكر نعمتـك التـي أنعمـت علـي و علـى والـدي و أن أعمـل صالحا ترضاه و أدخلني برحمتك في عبادك الصالحين* النمل(19/27)

اللهـم لـك الحمـد كمـا ينبغـي لجـلال وجهـط و عظـيم سـلطانك، نحمـدك ربـي حمـد الشـاكرين و نثنـي عليـك الخيـر كلـه ، فأهـل أنـت أن تعبـد وأهـل أنـت أن تعبـد، و مـا عبـدناك حـق عبادتـك فمقامـك عظـيم و سـلطانك قـديم وعزتـك فـوق كـل عظـيم، ونصـلي عـل سـيدنا محمـد و شـفعينا صـلى الله عليـه وسـلم أمـا بعد ...

الحمـد لله أن مـن علينـا بإنهـاء دراسـتنا هـذه ، ووفقنـا فـي إتمامهـا، فـلا يسـعنا فـي هـذا المقـام إلا أن نتقـدم بجزيـل الشـكر و العرفـان إلـى مشـرفنا الـدكتور زرقـي ابـراهيم الـذي مـا فتـئ يقـدم لنـا نصـائحه الثمينـة و توجيهاتـه السديدة.

و نعطـف شـكرنا و امتناننـا إلـى الأسـتاذين : الـدكتور خليـف عبـد القـادر و الـدكتور سـعد الله مكـي لتقـديمهما النصـح و التوجيـه و اللـذين تفضـلا بالموافقة على مناقشة البحث.

و لا يفوتنـا أن نتقـدم بالشـكر و التقـدير إلـى كـل مـن قـدم لنـا يـد المساعدة مادية أو معنوية.

لكـــم منا جزيل الشكـر و العرفـان

المقدمة

مقدمـــــــة:

إن موضوع الغربة و الحنين في الشعر عامة هو في حد ذاته مرتبط بمفهوم الشعر، الذي يعتبر بإجماع النقاد عبارة عن وجدان وأحاسيس ، والحنين من المشاعر الإنسانية التي تحرك قلب المفارق إلى الشوق للقاء مفارقيه من الأهل والأحباب ، فقلب المغترب يتوق للعودة إلى وطنه و إذا نظرنا إلى الحنين والغربة كظاهرة فهي قديمة قدم الإنسانية، والشعر العربي ملئ بتلك الشواهد منذ بداياته ،فلقد كان الشعراء الأوائل يقفون على الأطلال و ما وقوفهم هذا إلا شعور بالغربة عن الديار و الأحباب وسار على هذا النمط من عانى تجربة الغربة و الحنين من الشعراء العرب على مر العصور الأدبية منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحديث ، لكن بواعث الغربة تنوعت بينهم ،فكانت بواعث سياسية أو اجتماعية ،أو نفسية ،أو ثقافية ، و قد تشترك بعض البواعث عند أحد الشعراء.

أما عند شوقي فقد اشتركت مجموعة من العوامل في إبراز ظاهرة الغربة و الحنين في شعره ،منها العامل السياسي ،و الاجتماعي ،و النفسي ، و الثقافي.

إن الواقع الذي عاشه شوقي كان له الدور الأبرز في تكوين تلك الظواهر في شعره، فالفترة الزمنية من حياة شوقي مرت فيها تغيرات جذرية على المستوى العالمي عامة، وفي الوطن العربي خاصة، لا سيما مصر قلب الأمة النابض ، ومن تلك الأهوال: نفي شوقي عن وطنه واندلاع الحرب العالمية الأولى وسقوط الغلافة الإسلامية على يد مصطفى أتاتورك و تعرض الوطن العربي للاحتلال الغربي والواقع الاجتماعي في مصر ناهيك عن أحاسيسه الشخصية والنفسية وفاعليته في بث الحياة الأدبية من جديد من خلال دوره البارز في مدرسة الإحياء والبعث.

إن موضوع البحث هذا المعنون بـ: "ثنائية شعر الغربة والحنين عند أحمد شوقي أنموذجا" له من الأبواب والفصول ما يستحقه لتوسع الشعراء في هذا الموضوع بأنواعه على مستوى الموضوع خاصة، فاختيارنا لهذا الموضوع هو بروز ظاهرة الغربة و الحنين لدى الشاعر مما حفزنا إلى دراسة هذه الظاهرة خاصة أنه يعبر عن تجربة صادقة ، ونقلها إلينا بأسلوب متميز ودقيق مباشر في وصف الشاعر للعواطف والأشواق.

إذن فما هي تجليات الغربة و الحنين في شعر أحمد شوقي و ما هي أسباب الغربة و الإغتراب في حياته و تأثيرها على شعره؟

وقد بدأنا البحث بمقدمة وفصل تمهيدي وأشرنا في المقدمة إلى أهمية البحث وسبب اختيار موضوع البحث ، ثم ذكرنا الصعوبات التي واجهتنا أثناء كتابتنا، ففي الفصل التمهيدي تناولنا حياة شوقي منذ ولادته حتى وفاته ثم قسمنا البحث إلى فصلين تحدثنا في الفصل الأول عن الغربة و الحنين في شعر أحمد شوقي وفيه أوردنا مفهوم الغربة و الحنين لغة واصطلاحا ثم ذكرنا بواعث الغربة التي مر بها الشاعر و عددنا أنواعها وفي أخير الفصل أنواع الحنين و تجلياته في شعره .

أما الفصل الثاني فتناولنا الدراسة الفنية لغرض الغربة والحنين في شعر شوقي، ثم الخاتمة مشتملة على أهم نتائج البحث وذكرنا مصادر البحث ومراجعه واختتمنا الدراسة بمجموعة من الفهارس.

سبب اختيار البحث :

الذي دفعنا إلى اختيار موضوع البحث بروز هذه الظاهرة عند الشاعر أحمد شوقي بشكل لافت للنظر، و معالجة الشاعر لها معالجة موضوعية تستوجب الدراسة، و التحليل، و النقد.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في الغوص داخل شعر أحد العمالقة في الشعر العربي الحديث فهو يبرز عاطفة إنسانية متجذرة في النفس البشرية منذ نشأة الإنسان ، وتقوم هذه الدراسة على إظهار ظاهرتي الغربة والحنين عند الشاعر أحمد شوقي وتجليات تلك الظاهرة في شعره من حيث الأسلوب واللغة والصورة الشعرية والموسيقى.

الدراسات السابقة: قسمناها إلى قسمين :

1- الدراسات التي تناولت أحمد شوقي و منها:

- الشوقيات المجهولة.
- إسلاميات أحمد شوقي دراسة نقدية: سعادعبد الوهاب عبد الكريم.
- حافظ و شوقي :طه حسين.
- أحمد شوقي شاعر الوطنية و المسرح و التاريخ :فوزي العطوي.

2- الدراسات التي تناولت الحنين فنذكر بعضها:

-الغربة و الحنين في الشعر العربي الحديث للدكتور ماهر فهمي.

- الحنين و الغربة في الشعر العربي للدكتور يحي الجبوري.

-الغربة و الحنين في الشعر الأندلسي للدكتورة فاطمة حصحص.

الغربة و الحنين في الشعر الفلسطيني بعد المأساة للدكتور أمين العصمي.

منهج دراسة البحث:

اقتضت طبيعة هذا البحث ، أن نسلك فيه سبيل المنهج الوصفي التحليلي ، و ذلك لمناسبة المنهج لمثل هذه البحوث

الصعوبات التي واجهتنا:

لقد واجهتنا بعض الصعوبات في البحث، أذكر منها:

1- تداخل أبيات الشعر الغربة والحنين عند أمير الشعراء أحمد شوقي.

2-صعوبة الحصول على بعض المصادر الحديثة الخاصة بالدراسة .

خطة البحث:

المقدمة **:** و تشمل سبب اختيار البحث و أهميته و الدراسات السابقة.

الفصل التهيدي :ومضات في حياة الشاعر أحمد شوقي و سيرته.

المبحث الأول : حياة أحمد الشاعر.

المبحث الثاني : نقد شوقي.

المبحث الثالث : وفاته.

الفصل الأول : الغربة و الحنين في شعر أحمد شوقي.

المبحث الأول : الغربة و الحنين لغة و اصطلاحا.

المبحث الثاني : بواعث الغربة و أنواعها.

المبحث الثالث: الحنين و تجلياته في شعر أحمد شوقي.

الفصل الثاني : الدراسة الفنية.

المبحث الأول : البنية الدلالية.

المبحث الثاني : الإيقاع الشعري.

المبحث الثالث : الموسيقى.

خاتمة و أهم النتائج.

قائمة المصادر و المراجع.

فهارس الدراسة.

,

الفصل التمهيدي:
ومضات في حياة الشاعر
أحمد شوقي وسيرته

المبحث الأول : حياة أحمد شوقي

هو أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي ، أشهر شعراء العصر الأخير يلقب بأمير الشعراء[1] ، ولد في القاهرة بحي الحنفي ، وقد اختلف المؤرخون في سنة ميلاده اختلافا كبيرا، فمنهم من ذكر عام 1869م[2]، واعتبر بعقدهم عام 1870م وهو العام الصواب معتقدين على ما وثق في شهادات شوقي العلمية، ولاسيما ما جاء في شهادة الليسانس التي نالها في باريس في الحقوق[3] ، وذهب آخرون إلى اعتبار عام 1868م، تاريخ العام ميلاد شوقي،[4] لكنا نجد أن جميعهم متفقون على يوم ميلاده وهو السادس عشر من أكتوبر، ويرجح أن سبب الاختلاف هذا يتعلق في سفر شوقي إلى فرنسا، حيث حدد سن الثامنة عشر الالتحاق بالبعثة إلى فرنسا، وسافر شوقي إلى فرنسا عام 1887، فأوعز الخديوي توفيق لتغيير سنة ميلاده ليتسنى له الالتحاق بالبعثة ،ويذكر الدكتور محمد صبري أن عام 1868م، هو التاريخ الصحيح لميلاد شوقي مستندا في ذلك مذكرة إلى سكرتير شوقي الخاص أحمد عبد الوهاب[5] وعليه يكون شوقي قد ولد في السادس عشر من أكتوبر لعام 1868م.

ينحدر أحمد شوقي من أسرة تآزرت فيها مجموعة من الأصول، فقد جاءت به من عنصر تركي وآخر شركسي، وعنصر يوناني ، وآخر عربي كردي"[6]، فشوقي في مقدمة ديوانه أصوله فيقول: "سمعت أبي (رحمه الله)، يرد أصلنا إلى الأكراد العرب ويقول إن والده قدم هذه الديار يافعا يحمل وصاة من أحمد باشا الجزار إلى والي مصر محمد علي باشا[7] ويذكر شوقي في المقدمة تاريخا مختصرا لجده حيث تقلد عدة مناصب، فيقول : "و كان جدي وأنا حامل اسمه ولقبه يحسن كتابة العربية والتركية خطا وانشاء، فأدخله الوالي في معيته، ثم تداولت الأيام وتعاقب الولاة الفخام وهو تقيد المراتب العليا، ويتقلد في المناصب السامية إلى أن أقامه سعيد باشا أمينا للجمارك المصرية.[8]

أما جده لوالدته فأصوله تركية واسمه أحمد بك ويعرف بالنجد هلي، أما جدته لوالدته فكانت من أصل يوناني أتي بها كأسيرة حرب، وها هو شوقي بين فيقول: "أما جدي لوالدتي فاسمه أحمد بك حلب ويعرف بالنجد هلي نسبة إلى نجدة) إحدى قرى الأناضول، وفد على هذه البلاد فتيا كذلك فاستخدمه والي مصر إبراهيم باشا من أول يوم ثم زوجه من معتوقته جدتي التي أرثيها في هذا المجموعة وأصلها من مورة جلبت منها أسيرة حرب لا شراء.[9]

يقتصر شوقي بأصوله في قوله، " أنا إذن عربي تركي يوناني جركسي بجدتي لأبي أصول أربعة في فرع مجتمعة، تكفله لها مصر، كما كفلت أبويه من قبل"[10] ولا ينسى شوقي الحب الكبير الذي يكنه لمصر، هذا البلد الذي تكلم عنه شوقي كثيرا في أشعاره، فيمدح هذا الوطن الغالي على قلبه فيقول:" ومازال لمصر الكنف المأمول، والنائل الجزل على أنها بلادي، وهي منشئي ومهادي، ومقبرة أجدادي ولد لي بها أبوان، ولي في ثراها أب وجدان وببعض هذا تحبب إلى الرجال الأوطان ".[11]

1 - خير الدين بن محمود بن فارس التركي الدمشقي ،الأعلام: ، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002م، ج1، ص 132.
2 - شوقي ضيف شوقي شاعر العصر الحديث: ، دار المعارف، القاهرة، ط7، ص 9.
3 - طه وادي، شعر شوقي الغنائي والمسرحي ، دار المعارف، القاهرة ، ط3 ، 1989، ج 1، ص 5.
4 - خير الدين بن محمود بن فارس التركي الدمشقي ،الأعلام: ، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002م، ج1، ، ج 1، ص 136.
5 - محمد صبري، الشوقيات المجهولة ، دار المسيرة، بيروت، ط 2، 1989م، ج 1، ص 5.
6 - شوقي ضيف، شوقي شاعر العصر الحديث، دار المعارف،القاهرة ،ط7 د سنة، ص 9.
7 - مقدمة الشوقيات، ديوان أحمد شوقي، تدقيق محمد فوزي حمزة ،مكتبة الأدباء، القاهرة ، ط2،،2012 ، ص 11.
8 - المدونة: ص 11.
9 - مقدمة الشوقيات، ديوان أحمد شوقي، تدقيق محمد فوزي حمزة ،مكتبة الأدباء، القاهرة ، ط2،،2012 ، ص 11.
10 - المدونة: ص 12.
11 - مقدمة الشوقيات، ديوان أحمد شوقي، تدقيق محمد فوزي حمزة ،مكتبة الأدباء، القاهرة ، ط2،،2012 ،ص 12.

دافع شوقي عن أجداده وأصوله وأنهم كانوا يعيشون عيشة كريمة في ظل الخديوي إسماعيل حيث يقول: "فمازالا مغمورين بنعمة هذا البيت الكريم حتى توفي جدي وهو وكيل لخاصة الخديوي إسماعيل باشا، فأمر بنقل مرتبه إلى أرملته وأن يحسب ذلك معاشا لا إحسانا، وكان الخديوي المشار إليه يقول عنهما: لم أر أعف منه ولا أقنع من زوجته، ولو لم يسمه أبي حليما لسميته عفيفا لعفته".[1]

نشأ شوقي منذ نعومة أظافره في كنف القصر،كانت جدته لوالدته تحبه حبا جما و تحنو عليه و تهتم به،وصلتها بالقصر الحاكم قديمة منذ أيام إبراهيم باشا، فتكفلت بتربيته وهو ابن ثلاث سنوات مع إسماعيل عندما يتحدث عن جدته لأمه، فيقول:" حدثتني أنها دخلت بي على الخديوي إسماعيل وأنا في الثالثة من عمري، وكان بصري لا ينزل عن السماء من اختلال أعصابه، فطلب الخديوي بدرة من الذهب ثم نثرها على البساط عند قدميه، فوقعت على الذهب أشتغل بجمعه واللعب به، فقال لجدتي: أضلعي معه مثل: هذا فإنه لا يلبث أن يعتاد النظر إلى الأرض قالت: هذا دواء لا يخرج إلا من صيدليتك يا مولاي، قال: جيني به إلي متى شئت، إني آخر من ينثر الذهب في مصر".[2]

هذه النشأة هيئات شوقي أمورا لم تتوفر لغيره، حتى أنه اعتاد على حياة القصر وهذا ما نلاحظه في كثرة مديحه لأصحاب السلطان في مصر آنذاك حيث أنه أكثر من مدحهم في غير موضع.

أولا : حياته التعليمية

تلقى تعليمة منذ نعومة أظافره وهو في الرابعة من عمره، حيث دخل مدرسة الشيخ صالح ثم انتقل الى المبتديان فالتجهيزية ، فكان التلميذ الثاني في هذه المدرسة، فمنح المجانية مكافأة له، وتخرج فيها و عمره خمس عشرة سنة.[3]

عرف عن شوقي تفوقه ونبوغه منذ أن كان في المراحل التعليمية الأولى، فظهرت موهبته الشعرية أيام صباه وقال قصيدته ارتجلها ارتجالا في المدرسة صاغ فيها بعض المعارف الجيولوجية والجغرافية منها:

افريقيا قسم من الوجود في شكله أشبه بالعنقود.[4]

تعتبر هذه القصيدة من بواكير شوقي الشعرية التي قالها في سن مبكرة أظهر من خلالها نواة لشاعر كبير يلوح في الأفق ، اتجه شوقي بعد ذلك إلى دراسة القوانين والشرائع بناء على رغبة والده في مدرسة الحقوق، فدرس فيها سنتين ثم التحق بقسم الترجمة الذي أنشئ أثناء دراسته ،ومكث فيها سنتين إلى أن أكمل تعليمه وحصل على الشهادة النهائية يصفه أحمد زكي باشا[5] حين دخل هذه المدرسة فقال : كان في جملة الوافدين سنة 1885ء، فتى نحيف هزيل، ضئيل، قصير القامة، وسيم الطلعة ، فتى بعيون متألقة ، فإذا نظر إلى الأرض دقيقة واحدة فللسماء منه دقائق متمادية ، وإذا تلفت صوب اليمين فما ذاك إلا لكي يرمي ببصره نحو الشمال وهو مع هذه الحركات المتتابعة المتنافرة هادئ ، ساكن وادع، كأنه يتحدث بنفسه عن نفسه، أو يتلاغى مع عالم من الأرواح .ما كان يلابسنا فيما نأخذ فيه من اللهو والمزاح، ولا يتهافت معنا على تلقف الكرة بعد الفراغ من تناول الغذاء أو حينما تتنفس الصعداء لانتهاء مواقيت الدراسة.[6]

هذا الوصف الذي ذكره أحمد زكي يعبر تعبيرا دقيقا عن تحركات شاعر تحركه ربة الشعر لكي تملأ هذا الشعور ليخرج أجمل الاشعار وأرقها ، فشوقي قد شغله الشعر وتفكيره فيه عن زملائه في المدرسة،

1 - المدونة : ص 11.
2 - المدونة :ص 11.
3 - شوقي ضيف ، شوقي شاعر العصر الحديث: ، دار المعارف، القاهرة، ط7،ص 11.
4 - المرجع نفسه :ص 11.
5 - هو أحمد زكي بن إبراهيم بن عبد الله، شيخ العروبة، أديب باحث مصري من كبار الكتاب ولد بالإسكندرية عام 1868م وتخرج بمدرسة الإدارة والحقوق بالقاهرة وأتقن الفرنسية ،وكان يفهم الإنجليزية والإيطالية وله بعض المعرفة باللاتينيةعين مترجما لمجلس التناظر، فسكرتيرا ثانيا، أول، فسكر ومنح لقب باشا واتصل بعلماء المشرقيات ومثل مصر في مؤتمراتهم وقام بفكرة احياء الكتب العربية توفي عام 1934م، انظر الاعلأم، ص 126.
6 - أحمد عبيد ،ذكرى الشاعرين (شاعر النيل وامر الشعراء)، المكتبة العربية، دمشق ط1، د سنة ،ص 326.

فانعزل عن أقرانه وانهمك في خياله الشعري حتى لفت انتباه أستاذه في اللغة العربية الشيخ محمد السيوطي البياني.[1]

وكان شاعرا فصيحا، والذي راح ينمي فيه موهبته الشعرية، حيث كان يجلس منه مجلس التلميذ من أستاذه فكان يعرض على شوقي القصائد التي ينظمها في مدح الخديوي توفيق كلما حل موسم أو أهل عيد قبل إرسالها إلى قصر الخديوي.

لقد أسهمت مجموعة من الظروف في رسم شخصية شوقي التي ارتبطت بالقصر، سواء عائلته ذات العلاقة الوطيدة مع قصر الخديوي، وأستاذه الشيخ محمد البسيوني الذي غرس فيه التعلق بالقصر من خلال مدح عناصره التي أثرت على شعره فيما بعد، حيث سار شوقي على خطي أستاذه السيوطي في نظم القصائد في مدح الخديوي توفيق ، ومن جاء بعده لا سيما الخديوي عباس حلمي .ختم شوقي حياته التعليمية في مصر وكانت حياة أوربية في جملتها لأن تعليمه ارتبط بالعلوم الغربية وبالأخص الفرنسية مما أدى الى تأثره بالنماذج الفرنسية في شعره، أتاحت البيئة التي عايشها شوقي توسيع ثقافته من خلال دراسته للعربية والفرنسية وبيئة بيته المنحدرة من الأصل التركي، وجعلته يحذق هذه اللغات الثلاث.

بعدما تخرج شوقي عين في القصر موظفا كبيرا في رئاسة القلم الإفرنجي، وشاعرا للخديوي توفيق ، ولم يكن عضوا هامشيا فضوليا في موكب الحاشية، فما هي إلا سنة على توليه الوظيفة في القصر، حتى وجد الخديوي توفيق أن الفتى، ابن العشرين ، لا يجوز له أن يلتحق بقصره قبل أن يستكمل أسباب الثقافة القانونية، بالإضافة إلى شهادة الترجمة التي يحملها ، وهكذا بعث به إلى فرنسا للا لتحاق بكلية الحقوق، والاطلاع على ألوان الثقافة الأوربية.[2]

سافر شوقي على نفقة الخديوي، وكتب إلى مدير البعثة المصرية في فرنسا ليهتم به، لما وصل إلى مرسيليا رآه في استقباله، وأخبره أن الخديوي كتب إليه أن يقضي في مونبيليه عامين، وفي باريس عامين آخرين ،والتحق شوقي بمدرس الحقوق في مونبيليه بعد قضاء شوقي السنة الأولى في مونبيليه اشتاق الى وطنه وأهله، لكن الخديوي رفض عودته حتى لا تؤثر عليه العودة إلى مصر بالسلب، فتنقل في أرجاء فرنسا مستكشفا هذا العالم الغربي، انتقل في عدة أماكن وقضى السنة الثانية على هذا الحال ، وما أن أتت العطلة استغل فرصة أتاحت له السفر إلى لندن فمكث فيها شهرا زار خلالها أغلب معالم لندن ،فخرج إلى بعض المدائن على بحر الشمال حيث راحة الخاطر وقرة الناظر،ثم عاد إلى باريس ليكمل دراسته فيها،فأصيب بمرض شديد بمرض شديد كان فيه بين الحياة والموت، وعندما من الله عليه بالشفاء أشار عليه الأطباء أن يقضي أياما في سماء افريقيا، فاختار الجزائر ومكث فيها أربعين يوما ثم عاد إلى باريس مستكملا دراسته فأنهى دراسته مع تمام السنة الثالثة، وحصل على الشهادة النهائية في الحقوق ومكث في باريس ستة أشهر يتعرف على آدابها وعلومها، عاد بعدها إلى وطنه يشده الشوق والحنين إلى مسقط رأسه بعد طول غياب.[3]

أتاحت له الأيام التي عاشها متنقلا بين أكثر من بلد كثيرا من المعارف والعلوم المختلفة، فاتسعت مداركه وأصبح على دراية وإطلاع ، ساهمت في صقل شخصية والتي أثرت بعد ذلك على شعره ، هذه الأيام حررت شوقي من حياة القصر الذي ما لبث أن عاد إليه من جديد ليعيش كما يعيش الموظفون حياة فيها من الرتابة أكثر مما فيها من التجديد ، خصوصا وأن وظيفته كانت تحتم عليه أن يرفع المدائح في المناسبات الدينية والوطنية إلى الخديوي وأن ينظم القصائد في تأييد العرش والإشادة بآل إسماعيل. ذلك كان دأبه وقد بقي ذلك ردحا من الزمن[4] و لسان حاله يقول:

الملك فيكم آل إسماعيلا لا زال بيتكم يظل النيلا
هذي أصولكم وتلك فروعكم جاء الصميم من الصميم بديلا[5]

ثانيا: حياته السياسية

بعد عودة شوقي من رحلته التعليمية وحصوله على شهادة الحقوق من باريس، أخذ شوقي يتقرب من سدة الحكم لا سيما بعد موت الخديوي توفيق وتولية الخديوي عباس الثاني، فانشأ قصيدة يرثي فيها الخديوي توفيق، ويهنئ الخديوي الجديد عباس الثاني بتوليه الحكم، فيقول :

1 - محمد على السيوني البياني، "من فضلاء المالكية بمصر تعلم بالأزهر ودرس فيه ثم بمدرسة الإدارة (الحقوق)،من تلاميذه أحمد شوقي، من كتبه*حسن الصنيع في علوم المعاني و البيان و البديع*توفي عام1892، انظر الاعلأم، ص 300/6

2 - فوزي العطوي، أحمد شوقي شاعر الوطنية والمسرح والتاريخ، دار الفكر العربي، بيروت،ط1، 1989، ص 15-16.

3 - شوقي ضيف ،شوقي شاعر العصر الحديث: ، دار المعارف، القاهرة، ط7، د سنة ،ص14.

4 - فوزي العطوي، أحمد شوقي شاعر الوطنية والمسرح والتاريخ، دار الفكر العربي، بيروت،ط1 ،1989 ،ص 18.

5 - مقدمة الشوقيات، ديوان أحمد شوقي، تدقيق محمد فوزي حمزة ،مكتبة الأدباء، القاهرة ، ط2،،2012 ، ص 493.

بين ماضي الأسى وآتي الهناء قام عذر النعاة والبشـراء
نبأ معذر نفى بعضه بعـ ضا فكان السفيه في الأنباء[1]

ويقول في تهنئته للخديوي عباس الثاني في القصيدة ذاتها :

واحمل السيف والبس التاج وارقَ الـ عرش وانهض بالدولة العلياء
وزذ الملك من شبابـك حسنـا وأنر عصره بـذاك الذكـاء [2]

لم تكن علاقة شوقي مع الخديوي عباس طيبة في بادئ الأمر، فنجده قد جفاه ولم يهتم به، لأنه يبحث عن رجل سياسي يسانده في معارضته للإنجليز، فالخديوي يرى في شوقي شاعرا لا غير، وسبب ذلك هي وشاية البعض ضد شوقي، ولكن تدخل بعضهم من أمثال بطرس غالي وشارة تقلا،[3] ومصطفى كامل غير نظرة الخديوي في شوقي فقربه الخديوي وأعلى منزله وجعله شاعر القصر، وولاه رئاسة القسم الإفرنجي، وما فتئ شوقي يتسلم المناصب العالية حتى أصبح من العناصر المعدودة التي يعتمد عليها الخديوي ففي عام 1896م،[4] انتدبته الحكومة المصرية للمشاركة في مؤتمر المستشرقين الذي عقد في مدينة جنيف بسويسرا، وهناك ألقى قصيدته الرائعة التي تحدث فيها عن تاريخ مصر منذ القدم تناول فيها وصفا لرحلته إلى جنيف عبر البحر، ويبدأ بذكر أمجاد الفراعنة مرورا بالفتوحات الإسلامية والاستعمار المتلاحق لمصر وصولا إلى محمد علي الكبير، اعتبرها البعض ملحمة تاريخية لما تضمنت بداخلها من أحداث حيث قاربت على مئتين وتسعين بيتا، ومطلعها :

همت الفلك واحتوائها المـاءُ وحَدَاها بمن تقل الرَجـاءُ
ضَرَبَ الَبحر ذو العياب حَواليـ ها سَماء قد أكَبرتها السمَاءُ[5]

لازم شوقي الخديوي منذ سنة 1892 إلى سنة 1914م عاش خلالها في كنف الخديوي عباس حبيس المدائح يتغنى به وبأعماله ومناسباته، هذه الحقبة من حياته كان يعيش بعيدا عن الشعب، فهو في القصر أو في برجه العابي لا يفكر إلا فيما يفكر عباس فيه، وكان في عباس طموح واندفاع، فصارع الإنجليز وغاضبهم ووقف شوقي في صفه يغضب عليهم مع غضبه ويرضى مع رضاه".[6] اعتبر بعض النقاد أن هذه الفترة كانت مقبرة لربة الشعر لدى شوقي، واعتبروا مدائحه للخديوي عباس وما يتعلق به من مناسبات وأعمال، ضربة لفنون الشعر عند شوقي. اقتراب شوقي من سلطة الحكم جعله يتبنى أفكار الحاكم، ويسير وفق سياسة القصر، حيث عرف عن الخديوي عباس الثاني ارتباطه بالدولة العثمانية وولاؤه لها، وكرهه الشديد للإنجليز، ورفضه لأشكال الذل والهوان الذي مارسه الإنجليز على المصريين، فأصول شوقي التركية واتجاهات الخديوي وتطلعات الشعب للتحرر من الهيمنة الإنجليزية نمت بواكير الشعر الوطني عند شوقي، فنظم عددا كبيرا من القصائد التي تؤكد هذه الفكرة.

عانى المصريون من سيطرة الإنجليز على مناحي الحياة في شتى شؤون حياتهم، فغضبوا وثاروا ثورات عديدة، ولكن دون جدوى، حتى وصل الأمر إلى سيطرة الإنجليز على بعض فرق الجيش المصري في السودان، مما أدى إلى غضب الخديوي وامتعاضه من هذا الأمر، وكان ذلك في زيارة له إلى شمال السودان (وادي حلفا)، عندما وجد قائدا انجليزيا لإحدى فرق الجيش ، فانتقد ذلك صراحة ورفضه بالمطلق ما أثار حفيظة (اللورد كرومر) المعتمد البريطاني في مصر، فطالب الخديوي بالاعتذار عما بدر منه ، لكن الخديوي لم يأبه لهذا الأمر ولم يقدم أي اعتذار في هذا الوقت قام رئيس الوزارة آنذاك رياض باشا بطلب الاعتذار من (اللورد كرومر) ، وأرسل برقية إلى القائد الإنجليزي يحمد له نظام الجيش،فأنكر شوقي على رياض باشا تعلقه بالإنجليز وركونه لهم، فهجاه في قصيدة يعتبرها البعض أنها جاءت من تعصبه لوطنه و دفاعه عن الخديوي، حيث يقول فيها:

كَبير السابقين من الكرام برغمي أن أنالك بالملام

1 - المدونة: ص 85.
2 - المدونة: ص 87.
3 - بطرس (باشا) بن غالي نيروز: ولد في مصر عام 1846 وتوفي عام 1910م، وقد شغل منصب وزير .الأعلام 59./2 بشارة بن خليل تقلا ولد في لبنان عام 1852م وتوفي عام 1901م أحد مؤسسي جريدة الأهرام ،الأعلام 52/2.
4 - كمال مصطلح، أحمد شوقي حياته وشعره، المكتبة الحديثة ،بيروت ط1 1987، ص 12.
5 - طه وادي ،شعر شوقي الغنائي و المسرحي دار المعارف ،القاهرة ،ط3، 1985 ، ص 57.
6 - شوقي ضيف ،شوقي شاعر العصر الحديث، دار المعارف ،القاهرة ، ط7 ،دسنة ،ص17.

إذا مالم تكن للقول أهلا فما لك في المواقف والكلام
خطبَت فكنت خَطَبًا لا خَطيًبا أضيف إلى مصائبنا العظَام
لُهجت بالاحتلال وما أتاه وجُرحك منه لو أحسست دامي[1]

لم يقف شوقي عند هذا الحد في تحديه لبعض الشخصيات التي ساندت الإنجليز ولو بالكلمة، فها هو شوقي يطلق لقلمه العنان في قصيدة وداع (اللورد كرومر) سنة 1907م المعتمد البريطاني في مصر، ينتقده فيها ويذكر مساوئه فيقول:

لما رحلت عن البلاد تشهدت فكأنك الداء العياء رحيلا
إذا ما لم تكن للقول أهلا فما لك في المواقف والكلام
أو سعتنا يوم الوداع إهانة أدب لعمرك لا يصيب مثيلا[2]

ولم يقف شوقي عند هذا الحد في تحديه لرموز الاحتلال، بل وصف بعض من حضروا هذا الاحتفال بالجبن لأنهم لم يدافعوا عن مصر وحكامها عندما أساء كرومر في حقها، وفي البيتين الآتيين يستنكر شوقي على السلطان حسين كامل وهو من الأسرة العلوية، صمته ودفاعه عن بلده وأجداده فيقول :

شهد الحسين عليه لعن أصوله ويصدر الأعمى به تطفيلا
جبن أقل وحط من قدريهما والمرء إن يجبن يعش مرذولا[3]

مرت أحداث جسام على مصر إبان سيطرة الإنجليز عليها، ولا ينسى التاريخ حادثة دنشواي[4]، الأليمة التي ظهر فيها بشاعة المحتل وبطشه، فقام بصلب عدد من أهل القرية وسجن آخرين وتعذيبهم ، كتب شوقي في ذكرى الحادثة أبياتا من الشعر يقول فيها:

يا دنشواي على رُباك سلام ذهبت بأنس ربوعك الأيام
شهداء حكمك في البلاد تفرقوا هيهات للشمل الشتيت نظام
نوحي حمائم دنشواي وروعي شعبا بوادي النيل ليس بيام[5]

هذه القصيدة كتبها شوقي بعد عام من حادثة دنشواي مما أثار حفيظة بعض النقاد على شوقي، لأنه لم يكتب القصيدة إبان الثورة التي ملأت مصر بعد هذه الحادثة يقول شوقي ضيف: "و مع ذلك يستجب الشاعر لكل هذه الثورة وما انطوى فيها من غضب وحقد وغيظ إلا بعد مرور عام على الحادث، وليس من ريب في أن حادث دنشواي أفظع وأبشع من خطاب (كرومر) وتعرضه لإسماعيل وأسرته ولكن عند من؟ عند الشعب ولم يكن شوقي من الشعب فقد نشأ بباب القصر".[6] نرى شوقي ضيف في كتابه يلوم على أحمد شوقي أنه التجأ إلى القصر يفعل ما يريده الخديوي دون تأثر يذكر بما يعانيه الشعب المصري وقتذاك.

في عام 1914م اندلعت الحرب العالمية الأولى وظهرت ويلاتها، الأمر الذي أثر على العالم بأسره ومنها مصر بلد شوقي، فتمكنت إنجلترا من بسط سيطرتها الكاملة على مصر، وكان الخديوي عباس المعروف بعدائه للإنجليز غائبا عن مصر بتركيا، فرفض الإنجليز عودته إلى مصر، وقضوا بعزله من منصبه، و تعيين حسين كامل الذي عرف بولائه لهم بدلا منه على عرش مصر. أخذ المحتلون بتغيرات كبيرة في القصر الحاكم بمصر، ومن هؤلاء شوقي لمكانته الفكرية والسياسية وحبه الشديد للعهد القديم وللخديوي عباس الثاني، ولم ينس السلطان حسين ما كتبه عنه شوقي في وداع اللورد كرومر، فعمل على نفيه من البلاد وذلك بالتنسيق مع الإنجليز.

اختار شوقي الأندلس منفى له ولعائلته ، ركب البحر مغادرا وطنه الذي أحبه وكان ذلك في الخامس من أغسطس عام 1915م،[7] غادر وقلبه يعتصر ألما، نرى هذا الألم واضحا عليه عندما يخاطب السفينة التي تحمله للمنفى، فيقول: "فقلت: سيري عوذتك بوديعة التابوت، وبصاحب الحوت، وبالحي الذي لا يموت، وأسري يابنة اليم زمامك الروح وربانك نوح،فكم عليك من منكوب ومجروح، إن للنفي لروعة وإن للنأي للوعة، وقد جرت أحكام القضاء، بأن نعبر هذا الماء ،حين الشر مضطرم ،واليأس محتدم والعدو منتقم والخصم محتكم ،وحتى الشامت جذلان مبتسم، يهزأ بالدمع وإن لم ينسجم نفانا حكام عجم أعوان العدوان والظلم ،خلفناهم يفرحون

1 - مقدمة الشوقيات، ديوان أحمد شوقي، تدقيق محمد فوزي حمزة ،مكتبة الأدباء، القاهرة ، ط2،،2012 ، ص 603.
2 - مقدمة الشوقيات، ديوان أحمد شوقي، تدقيق محمد فوزي حمزة ،مكتبة الأدباء، القاهرة ، ط2،،2012 ، ص 495.
3 - المدونة، ص 603.
4 - دنشواي إحدى قرى مركز الشهداء التابع لمحافظة المنوفية في جمهورية مصر العربية، ويحدها قرى أبو كلس وإبشادي ودناصور وكفر دنشواي، وهي القرية التي كانت مسرحًا لأحداث حادثة دنشواي والتي استغلها مصطفى كامل لفضح مساوئ الاستعمار الإنجليزي لمصر.
5 - المدونة، ص 579.
6 - شوقي ضيف، شوقي شاعر العصر الحديث ،دار المعارف ،القاهرة ،ط7،د سنة ، ص 20.
7 - أحمد سوبيلم، عشرون من شعراء المتقي والسجون، دار الطلائع، القاهرة، ط1، 2011م ،ص 43.

بذهب اللجم ،ويمرحون في أرسان يسمونها الحكم ضروبونا بسيف لم يطبعوه ،ولم يملكوا أن يرفعوه أو يضعوه ،سامحهم في حقوق الأفراد،و سامحوه في حقوق البلاد وما ذنب السيف إذا لم يستح الجلاد"[1].

يرى المتأمل للنص السابق اللوعة العظيمة ومرارة الفراق التي سيطرت على شوقي وقت خروجه من شواطئ بوسعيد عند بداية قناة السويس نلاحظ انكساره، وصدق مشاعره وحق له ذلك، فهل يستطيع الإنسان تحمل الهجرة القصرية التي يفرضها عليه المحتل الغاصب؟ بتلك الكلمات عبر شوقي عما يجول في وجدانه ودونه في كتابه أسواق الذهب تحت عنوان (قناة السويس).

ألقت به السفينة على شواطئ مدينة (برشلونة) في إسبانيا، هذه المدينة التي اختارها لإرتباطها بتاريخ أمتنا الإسلامية والعربية، " أقام في ناحية من ضواحي (برشلونة) تدعى (فلفديرا) وترتفع كثيرا عن سطح البحر، فيما تحيط بها غابات الصنوبر ومشاهد الطبيعة الأخاذة"[2].

أعجب شوقي بهذا الجمال، لكن الغربة كانت تعكر عليه الإحساس بجمال الطبيعة، ترى ذلك في شعره عندما يسمع صوت البواخر تمر بجانب الضاحية التي كان يقطن فيها، فتحرك بداخله الحنين إلى الوطن والشعور بالغربة، فيخاطب السفينة بأن ترأف بحاله وتحمله معها إلى وطنه فهو على استعداد أن يجعل من نفسه وقودا لها حيث يوضح ذلك في قوله:

مُستَطارٌ إذا البواخِرُ رنَّتْ أَولَ الليلِ، أَو عَوَتْ بعد جَرْس
راهبٌ في الضلوع للسفنِ فَطْن كلما ثُرْنَ شاعَهن بنَفسْ
يا بنة اليمّ ، ما أبوكِ بخيلٌ ما له مولَعًا بمنع وحبس
أَحرامٌ عَلى بَلابِلِهِ الدَو حُ حَلالٌ لِلطَيرِ مِن كُلِّ جِنسِ
كُلُّ دارٍ أَحَقُّ بِالأَهلِ إِلّا في خَبيثٍ مِنَ المَذاهِبِ رِجسِ
نَفسي مِرجَلٌ وَقَلبي شِراعٌ بِهِما في الدُموع سيري وَأُرسي
وَاِجعَلي وَجهَكِ الفَنارَ وَمَجرا كِ يَدَ الثَغرِ بَينَ رَملٍ وَمَكسِ[3]

ولعل أصدق الأبيات التي أنشأها شوقي في حبه للوطن ما نظمه في قصيدته التي عارض فيها البحتري حيث تراه يفضل الوطن عن جنة الخلد وذلك على سبيل المجاز، ليبين مدى تعلقه بوطنه وفي ذلك يقول:

وَطَني لَو شُغِلتُ بِالخُلدِ عَنهُ نازَعَتني إِلَيهِ في الخُلدِ نَفسي[4]

وتفرع شوقي في منفاه إلى نفسه تجرد من قيود ارتباطه بالقصر، فأخذ يقرأ الأدب العربي، ويطلع على آثار شعرائه من أمثال: البحتري وابن زيدون، وغيرهم الكثير فنجد هذا التأثر واضحا في معارضاته لهم، حيث عارض البحتري في سينيته بسينية أخرى تحمل أروع آيات الحب والحنين إلى الوطن والتي مطلعها:

اِختِلافُ النَهارِ وَاللَيلِ يُنسي أُذكُرا لِيَ الصِبا وَأَيّامَ أُنسي[5]

وعارض ابن زيدون في نونيته بنونية عبر فيها عن شوقة الشديد لوطنه، وشعوره بالأسى لما يجري على ثرى وطنه، حيث قول في مطلعها :

يا نائح (الطلح) أشباه عوادينا نشجى لواديك أم نأسى لوادينا ؟[6]

مكث شوقي في منفاه بالأندلس (إسبانيا) خمس سنوات أخذ ينتقل خلالها في هذا البلد الذي يحمل رائحة من ذكرى قاسية على كل مسلم و عربي، كيف لا وهي الجنة التي فرط فيها المسلمون؟ ، غيرت هذه الفترة من حياته كثيرا" ففيها عرف الألم والحسرة على فقدان وطنه، فتجمعت مجموعة من الآلام في قلب الشاعر ألَم ترك الوطن وفراقه وحنينه له وشوقة إلى مجالسه الأصدقاء، وألم الحاجة إلى المال الذي تعود عليه شوقي هذه العوامل فجرت ربة الشعر عنده فأخرجت لنا شعرا لا يضاهى، حيث اعتبر بعض النقاد أن هذه القدرة قلبت نظرة شوقي رأسا على عقب فأصبح شاعر الوطنية الأول والمدافع عن الأمة الإسلامية والعربية ولنا في ديوانه الكثير من الدلائل على هذا.

1 - أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي، أسواق الذهب، مطبعة الهلال، مصر، ،د ط ، 1932، ص28.
2 - فوزي عطوي، د. أحمد شوقي شاعر الوطنية والمسرح والتاريخ، دار الفكر العربي ،بيروت ،ط1 ،1989،ص 23.
3 - مقدمة الشوقيات، ديوان أحمد شوقي، تدقيق محمد فوزي حمزة ،مكتبة الأدباء، القاهرة ، ط2،،2012 ، ص 384.
4 - المدونة، ص 384.
5 - المدونة، ص 384.
6 - المدونة، ص 680.

كانت بعض الجهود تبذل من أجل عودة شوقي من المنفى فكان لأحمد زكي دور في عودة صديقه (شوقي) وذلك في معرض حضوره لمأدبة غداء في قصر عابدين أقامها السلطان حسين كامل عندما سأل السلطان عن شاعر باستطاعته مباراة شعراء الإفرنج فقال أحمد زكي: "إن شوقي ممن تزدان بهم الدول ولو كان في زمن الخلفاء لتخاطفته دمشق وبغداد وقرطبة لقد أفاض على العروبة من نفثاته، ومنح الشعر والأدب من نفحاته حسنات باقية وآثارا خالدة، أيصح بعد هذا أن تبقى مصر محرومة من بلبلها الغريد، وأن يرفرف هذا الطائر بجناحيه على قرطبة و طليطلة واشبيلية و غرناطة، بعد أن خرجت منها العروبة خروج الأرواح من الأبدان"، وبعدها طلب السلطان من رئيس وزرائه أن يعمل على عودة شوقي من المنفي.[1]

عاد شوقي الى مصر بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى بعد سماح الإنجليز له بالعودة، فأبحر من إسبانيا إلى إيطاليا ومنها إلى مصر" و ما أن بلغ القاهرة حتى خرج الشعب المصري عن بكرة أبيه، يستقبله ويحتفي به ، ويروي أن الجموع حملته على الأعناق، والدموع تنهمر من عينيه، فقد اعتبره شعبه بطلا من أبطاله، لا يهادن الاستعمار ولا يتواطأ مع الأعداد على حكام وطنه، ولا على أبناء شعبه".[2]

يعبر شوقي عن لحظة وصوله لمصر مخاطبا هذا الوطن الغالي:

وَيا وَطَني لَقَيتُكَ بَعدَ يَأسٍ كَأَنّي قَد لَقيتُ بِكَ الشَبابا
وَكُلُّ مُسافِرٍ سَيَئوبُ يَومًا إِذا رُزِقَ السَلامَةَ وَالإِيابا
وَلَو أَنّي دُعيتُ لَكُنتَ دِيني عَلَيهِ أَقابِلُ الحَتمَ المُجابا
أَديرُ إِلَيكَ قَبلَ البَيتِ وَجهي إِذا فُهتُ الشَهادَةَ وَالمَتابا[3]

كان استقبال الشعب لشوقي دلالة على حب الجميع له، فكان استقبال الجماهير له على محطة القطار وفي مقدمتهم حافظ إبراهيم، ويحييه حافظ قائلا:

فالحمد لله الذي قد رده من بعيد غربته إلى أوطانه
فتنظروا آياته وتسمعوا قد قام بلبلكم على أغصانه[4]

بعد عودته إلى مصر تغيرت حياته عما كانت عليه قبل نفيه الى إسبانيا، ابتعد عن حياة القصر وعكف على أدبه وشعره، فتأثر بمن حوله، فتجده لا ينسى هموم شعبه يعيش معه في كل صغيرة وكبيرة ، يبدون بقلبه ولسانه هذه الهموم يخاطب ويعاقب وينصح، فما هو يناشد زعماء الأحزاب في مصر بالوحدة وترك الخلافات جانبا، ومواجهة المحتل بكل الوسائل فمصر مازالت محتلة والسودان حالها يرثى له، فيقول :

إلام الخُلف بينكم إلاما وهذي الفتنة الكبرى علاما
وفيمَ يكيد بعضكم لبعض وتُبدون العداوة والخصاما
وأين الفوز لا مصر استقرّت على حالٍ ولا السودان داما[5]

يصف شوقي ضيف حياة شوقي بعد عودته من المنفى فيقول:" ومن هنا تبدأ الدورة الثانية في حياته الأدبية، فإنه لم يعد يفكر في القصر ولا في وظيفته فيه، فقد أصبح حرا طليقا وهيا له ثراؤها أن يتعم الى اقصى حد بهذه الحرية، فخلص لفته ولشعبه وأخذ بعينه أغاني وطنية رائعة"[6].

يذكر ضيف في معرض حديثه عن هذه النشرة من حياة شوقي أن هذا من الأسباب التي فاضلت شوقي على صديقه حافظ إبراهيم حيث يقول ضيف ومرجع ذلك أن فئة كان أروع من فن حافظ ، فلما اتجه به الى تصوير عواطفنا الوطنية وحياتنا السياسية بلغ من ذلك الغاية التي لا تمتد إليها الأعناق".[7]

ـأصبح شوقي بعد ذلك لسان الأمة العربية الذي لا يفتا يدافع عن قضاياها وهمومها فلم يترك قضية إلا وأدلى بدله فيها، فأنشأ الشعر في ذلك وبعث روح الحمية في تقوس أبناء الأمة العربية، يستنهض همهم تجاه قضاياهم المصيرية، وها هو يعبر عما حل بدمشق من المحتل الفرنسي قائلا:

سَلامٌ مِن صَبا بَرَدى أَرَقُّ وَدَمعٌ لا يُكَفكَفُ يا دِمَشقُ

1 - أحمد سوييلم، عشرون من شعراء المتقي والسجون، دار الطلائع، القاهرة، ط1، 2011م ،ص 49-50.
2 - فوزي عطوي، د. أحمد شوقي شاعر الوطنية والمسرح والتاريخ، دار الفكر العربي ،بيروت ،ط1 ،1989، ص 24.
3 - مقدمة الشوقيات، ديوان أحمد شوقي، تدقيق محمد فوزي حمزة ،مكتبة الأدباء، القاهرة ، ط2،،2012 ص 105-106.
4 - أحمد سوييلم، عشرون من شعراء المتقي والسجون، دار الطلائع، القاهرة، ط1، 2011م ، ص 51.
5 - المدونة: ص 106.
6 - شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر في مصر، دار المعارف، القاهرة، ط13، د سنة، ص 7.
7 - المرجع نفسه: ص 112.

وَمَعذِرَةُ اليَراعَةِ وَالقَوافي جَلالُ الرُزءِ عَن وَصفٍ يَدِقُّ
أَلَستِ دِمَشقُ لِلإِسلامِ ظِئرًا وَمُرضِعَةُ الأُبُوَّةِ لا تُعَقُّ
دَمُ الثُوّارِ تَعرِفُهُ فَرَنسا وَتَعلَمُ أَنَّهُ نورٌ وَحَقُّ[1]

يعود مرة أخرى ويناشد شباب سوريا بمواجهة المحتل فالعدو لا يعرف الا لغة السلاح، يكالبهم بترك الأماني جانبا وعدم الانخداع بمغريات المحتل لهم فيقول: (الوافر)

بَني سورِيَّةَ اطّرِحوا الأَماني وَأَلقوا عَنكُمُ الأَحلامَ أَلقوا
فَمِن خِدَعِ السِياسَةِ أَن تُغَرّوا بِأَلقابِ الإِمارَةِ وَهيَ رِقُّ[2]

عاشا شوقي بقية عمره على هذا المنوال، لم يترك أمرا يخص الأمة العربية والإسلامية الا واطلق لقلمه العنان ليعبر عما يجول في خاطره حتى اخترا اميرا للشعراء عام 1927م.

ثالثا: مكانته الأدبية

أتيحت لشوقي أمور فجرت شاعريته، فتعليمه في فرنسا أتاح له تعلم اللغة الفرنسية والتعرف إلى آدابها المختلفة وشعرائها، أما نفيه إلى إسبانيا مكنه من معرفة آداب الإسبان من جهة، وجعله يتعرف أمجاد العرب في بلاد الأندلس من جهة أخرى، وامتلاكه للغة العربية وهضمها جيدا، أنشأ لدى شوقي ثقافة واسعة لم تتوفر لغيره و كان أكبر نبع يستقي منه هذه المياه كتاب (الوسيلة الأدبية) للشيخ حسين المرصفي، وهو يضم بين دفتيه أروع ما للقدماء من نماذج ، كما يضم بعض نماذج البارودي الحديثة، ولم يكد يلم شوقي بهذه النماذج الأخيرة حتى احتواها لنفسه وفنه، فقد تمثلها تمثلا رائعا[3]، فثقافة شوقي كانت وليدة عدة أسباب هي: نسبه المنحدر من أربعة أصول وتتلمذه على يد شاعر الشيخ محمد البسيوني البياني، تعلمة اللغة الفرنسية ودراسة الأدب الفرنسي، ورحلاته المتعددة لعدد من الدول العربية والغربية.

أظهر شوقي براعة فذة، نجد ذلك في ثنايا شعره وفي أغراضه المختلفة، حيث تنوعت أغراض الشعر عنده، "فنظم في معظم الأغراض والمجالات ،ولاسيما المجالات الوطنية والسياسية فضلا عن الرثاء، والغزل ،والمدح وغيرها فجاءت أشعاره متسمة بالعواطف القوية والأخيلة الرحبة والألفاظ السلسة العذبة والتراكيب القوية، وشاعت فيها ومضات متميزة أهمها: حب الوطن، وحب الدين، وحب الحرية، وحب الحياة، وقد تكتفت هذه الومضات معا وارتفعت به إلى مستوى سامق"[4].

تبنى شوقي فكر أستاذه الشاعر الكبير محمود سامي البارودي في إحياء التراث وبعث الحياة في الشعر بعدما وصل لمراحل انحطاط ،وكما فعل البارودي في تأثره بالعصر العباسي، ظهر جليا عند شوقي فقد تأثر بعدد من شعراء العصر العباسي من أمثال: المتنبي البحتري ،أبي تمام ،أبي نواس ، لكن شوقي ما لبث إلا ورسم لنفسه طريقا واضحا يسير عليه، ومنذ ذلك محافظته على قوالب الشعر وإضفاء روح الحداثة عليها من خلال تعبيره عن الواقع الملموس في عصره.

عارض شوقي الشاعر العباسي أبا نواس في خمرياته ذلك أيام شبابه، فنظم قصيدة انقضاء شهر رمضان يقول فيها:

رَمَضانُ وَلّى هاتِها يا ساقي مُشتاقَةً تَسعى إِلى مُشتاقِ
ضَحِكَت إِلَيَّ مِنَ السُرورِ وَلَم تَزَل بِنتُ الكُرومِ كَريمَةَ الأَعراقِ
هاتِ اِسقِنيها غَيرَ ذاتِ عَواقِبٍ حَتّى نُراعَ لِصَيحَةِ الصَفّاقِ[5]

ولهذه القصيدة قصة طريفة، إذ تغضب بسببها تلميذ اللغة العربية محمد متولي الشعراوي الداعية الكبير فيما بعد رحمة الله ،وعاتب فيها شوقي، فاستمع لعتابه ثم عليه قوله تعالى:" وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (224) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (225) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (226)"[6]، ثم تباسطا الحديث، كانت قريحة

1 -مقدمة الشوقيات، ديوان أحمد شوقي، تدقيق محمد فوزي حمزة ،مكتبة الأدباء، القاهرة ، ط2،،2012 ص 446-447.
2 - المدونة: ص 112.
3 - شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر في مصر، دار المعارف، القاهرة، ط13، د سنة ، ص 114.
4 - محمد جواء النوري، من أعلام الفكر والأدب في التراث العربي، مطبعة الشرق العربية، شعفاط، القدس،دط، دسنة، ص 206-207.
5 - مقدمة الشوقيات، ديوان أحمد شوقي، تدقيق محمد فوزي حمزة ،مكتبة الأدباء، القاهرة ، ط2،،2012 ص 457.
6 - سورة الشعراء، أية 224-226.

شوقي الشعرية قادرة على مجاراة أعلام الشعر في زمن عنفوانه لما يمتلكه من حصيلة لغوية، هذا التمكن اللغوي رأيناه في غير موضع مما أضفى على شعره بعض السمات والخصائص هي:[1]

1- استلهم التراث العربي والوعي بكنوزه.
2- العاطفة الهادئة المركزة التي تتأى عن الصخب.
3- الاعتماد على الإيقاع الموسيقي اعتمادا واعيا بوظيفته في المعنى .
4- تدفق الصور الفنية المنبثة من الصورة العامة للعمل الفني.

هذه الخصائص الفنية التي أصبحت منهجا لشوقي في إبداعه الشعري ، فاستلهامه للتراث العربي، ومجاراته لأشعار العصر العباسي على وجه الخصوص ،وفي بعض الأحيان يستغل بعض الأحداث المتشابهة لينظم قصائد يعارض فيها هؤلاء الشعراء، حيث عارض البحتري في سينيته، والتي مطلعها :

اِختِلافُ النَهارِ وَاللَيلِ يُنسي أذكُرا لِيَ الصِبا وَأيّامَ أنسي[2]

عبر شوقي من خلالها عن شدة حنينه للوطن، ونيران الغربة التي اشتعلت داخل قلبه، معلنا رفضه للخضوع لأوامر المحتل، ومجددا على ضرورة خروج الاستعمار من وطنه. وعارض ابن زيدون في نونيته ومطلعها:

يا نائح (الطلح) أشباه عوادينا نشجى لواديك أم نأسى لوادينا[3]

وكانت تلك القصيدة كسابقتها (السينية) تتمحور حول الغربة والحنين إلى الوطن ،ومدى اشتياقه للعودة الى مصر فقد أنشأها في منفاه بالأندلس كما عارض البوصيري في نهج البردة قائلا:

ريمٌ عَلى القاعِ بَينَ البانِ وَالعَلَمِ أَحَلَّ سَفكَ دَمي في الأَشهُرِ الحُرُمِ[4]

وفيها مدح شوقي خير مخلوق سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وكثير من المعارضات التي أبدع فيها شوقي، بل أنه تفوق أحيانا على من عارضه، فكل ذلك كان يستقيه من التراث العربي الأصيل، كيف لا وهو الذي أخذ على عاتقها إكمال مسيرة أستاذه البارودي في التراث وبعث الحياة فيه من جديد. وصلت مكانة شوقي الأدبية الى ذروة سنامها عندما بويع أميرا للشعراء وكان ذلك عندما أعاد شوقي طبع ديوانه (الشوقيات) عام 1927م، فأقيم له حفل تكريم لما قدمه من أشعار لمصر وللأمة العربية جمعاء، حيث شاركت في هذا الإحتفال حشود كبيرة، والحكومة المصرية والبلاد العربية، إذ قدمت منها وفود مختلفة تمجد شاعر مصر وتشيد بعبقريته نبوغه، وقد وضع الشعراء في هذا الحفل مفرقه تاج إمارة الشعر لا في مصر وحدها ،بل في سائر الأقطار العربية ومن الشخصيات المشاركة في حفل الإمارة محمد كرد علي عن المجمع العلمي العربي بدمشق، وشبلي ملاط عن لبنان ،وأمين الحسني عن فلسطين وشكيب أرسلان، وفندنبرج البلجيكي عن بلده، وحافظ إبراهيم الذي أعلن البيعة لشوقي باسمه واسم شعراء البلاد العربية[5] قائلا :

أمير القوافي قد أتيت مبايعا وهذي وفود الشرق قد بايعت معي[6]

كانت إمارة الشعر بالنسبة لشوقي مكافأة لما قدمه لمصر وللأمة العربية والإسلامية، فكان المدافع الأول لهموم الشعب المصري والشعب العربي، كذلك ناهيك عن براعته الشعرية وأسلوبه العذب ولغته المنسابة، فاستحق بجدار أمير الشعراء.

المبحث الثاني: نقد شوقي

تعرض شوقي لنقد كبير سواء بالثناء عليه أو بالهجوم السافر على شخصه وشعره ، ومما أثار غضبهم تكريمه بلقب إمارة الشعر في العصر الحديث ،"فقام نفر من الكتاب يهاجمون شوقي ،وينتقدون مكرميه،وينكرون عليه مجرد الشاعرية ،وما عملهم هذا إلا دليل على علو كعب الشاعر"[7] .

1 - منير سلطان، البديع في شعر شوقي، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط2، 1992م، ص 38.
2 - ، مقدمة الشوقيات، ديوان أحمد شوقي، تدقيق محمد فوزي حمزة ،مكتبة الأدباء، القاهرة ، ط2،،2012 ص 384.
3 - المدونة: ص 270
4 - المدونة :ص 202.
5 - شوقي ضيف، شوقي شاعر العصر الحديث ،دار المعارف ،القاهرة ،ط7،د سنة ،ص 37.
5 - ديوان حافظ إبراهيم، ضبطه وشرحه أحمد أمين أحمد الزين وإبراهيم الابياري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، 1987م، ص128.

- فوزي العطوي ،أحمد شوقي شاعر الوطنية و المسرح و التاريخ ،دار الفكر العربي ،بيروت ،ط1989،1،ص7.26

فالكلام عن شوقي يطول ويطول لكثرة من تحدثوا عنه، حيث يقول عنه شيخ الأدباء المرحوم مصطفى صادق الرافعي : انفلت من تواريخ الآداب لمصر وحدها كانفلات المطرة من سحابها السائر في الجوزاء ، فأصبحت مصر سيدة العالم العربي في الشعر ،ولم يستطع أحد من الشعراء أن يضع تاريخ الشعر على مفرق مصر ووضعه شوقي وحده[1] ويقول عنه الأديب أحمد الزيات :" إنه شاعر غير مدافع تهيأ له مالم يتهيأ لغيره من سلامة الفطرة وكرم النشأة وسعة الثقافة ، ونعيم الحياة فأجاد التعبير ، أما معانيه فكثيرها مخلوق ، لم يتمثل في غير خاطره، وقليلها مطروق نفخ فيه من روحه وخلع عليه من وشيه،ومشى به إلى حد الكلام ومبتكره [2]".

كثير هم من أنصفوا شوقي ، وعبروا بصدق عن إسهامات شوقي في الشعر العربي الحديث، والنقلة النوعية التي أحدثها ،فيجمل الدكتور منير سلطان ذلك في قوله : "جاء شوقي فوجد البناء مستويا على عوده ،فأكمل في البناء ،جدد في الأركان ، وسع في الشرفات ، بدل في المداخل، بقدر ما تحمل أعمدة البناء ، بحيث لا تضيع معالمه فينكره من يعرفه ، فصار للشعر العربي قصر منيف،وفيه باحة واسعة وسور حصين، ويضم حديقة غناء ،فمنذ أن كان شوقي، إلى أن مات ، وكل الإتجاهات والمدارس تنطلق من رحابه، إما غاضبة منه، أو غاضبة عليه، لكنها مرتبطة به بصورة من الصور ، ودرجة من الدرجات ،بل أقول ، لولا شوقي ما كانت، ولا ظهر نجم في سماء الشعر[3] ".

لقد حمل الناقد عباس العقاد لواء النقد ضد شوقي ، فكان هجومه على شوقي ممنهجا من خلال تناول الموضوعات المتعلقة بشعر شوقي ، ووصل به الأمر إلى الحديث عن شخصية شوقي نفسه، وجاء نقد العقاد لشوقي في محاور هي : التفكك وافتقاد الوحدة العضوية ، والإحالة- فساد المعنى -، والتقليد والسرقة .

المبحث الثالث: وفاته

عانى شوقي آواخر حياته من الأمراض لاسيما السنتين الأخيرتين من حياته، فعكف على قراءة القرآن وكتب الحديث النبوي ،وكان يعجب بالغزالي ومؤلفاته والجبرتي وتاريخه[4]، "وأخيرا حول الساعة الثانية في ليلة 14 من أكتوبر سنة 1932م كف البلبل عن شدوه، فقد سقطت قيثارة الشعر من يده، ولبت روحه نداء ربه، وارتفع النواح والنشيج في مصر والأقطار العربية، وخرجت الأمة المصرية الكريمة تشيع بقلب ملهوف وعين جارية"[5]، رحم الله الأمير فقد عرف نتيجة الحياة بأنها زائلة، لذلك عبر بصدق عن طلبه للغفران من الله تبارك وتعالى عندما مدح سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم في نهج البردة قائلا:

إنْ جَلَّ ذَنبي عن الغُفران لي أملٌ ... في اللهِ يجعلني في خيرِ مُعتصَمِ
ألقي رجائي إذا عزَّ المُجيرُ على ... مُفرِّج الكرب في الدارينِ والغمَمِ
إذا خفضتُ جَناحَ الذّلِّ أسألُه ... عِزَّ الشفاعةِ لم أسأل سوى أمَمِ
وإن تقدّم ذو تقوى بصالحةٍ ... قدّمتُ بين يديه عَبْرَةَ الندَمِ
لزمتُ بابَ أمير الأنبياءِ، ومَنْ ... يُمْسِكْ بمِفتاح باب الله يغتنِمِ
علقتُ من مدحهِ حبلاً أعزَّ به ... في يوم لا عِزَّ بالأنسابِ واللّحَمِ[6]

لقد رثى شوقي عدد من الشعراء الكبار من أمثال: سكيب أرسلان، وخليل مطران، وقد أصدرت مجلة أبولو أعداد كثيرة للحديث عن الأمير ودوره في نهضة الشعار العربي.[7]

- محمد الطاهر الزنكلوني ،أمير الشعراء أحمد شوقي،مجلة الأزهر،القاهرة،دط ،ج10 ،1986،ص1606-. 16071
- المرجع السابق :. 16072
- منير سلطان ،البديع في شعر شوقي ،دار المعارف،الإسكندرية ،ط2 ،1992 ،ص28-3.29
4 - شوقي ضيف، شوقي شاعر العصر الحديث، دار المعارف ، القاهرة ،ط7 ، د سنة ،ص 41.
5 - المرجع نفسه: ص 1.
6 - مقدمة الشوقيات، ديوان أحمد شوقي، تدقيق محمد فوزي حمزة ،مكتبة الأدباء، القاهرة ، ط2،،2012 ،ص 612-613.

1

2

الفصل الأول:
الغربة والحنين
في شعر أحمد شوقي

الغربة والحنين في شعر أحمد شوقي

الغربة ظاهرة قديمة رافقت المجتمعات البشرية منذ بدء الخلقية فهي طبيعة في الإنسان، بل يمكن القول أنها دافع أساسي من دوافعه، وهي تختلف من إنسان إلى آخر، ذلك لأنها تتلون بطبيعة صاحبها وبالمجتمع وما يحكمه من أنظمة ومؤسسات وبطبيعة العصر بما يحتويه من قيم وأعراف ومعارف.

وقد لا تعني كلمة، غربة في حياتنا سوى هذا الشعور الذي يحسه الإنسان عندما يغادر مسقط رأسه الى مكان اخر بعيد عن الأهل والوطن، أو الشعور الذي يحس فيه الفرد بالبعد والانفصال عن مجتمعه بما فيه من آراء ومعتقدات يختلف معها ولا يتفق لأنها لا تعني سوى ضياع ذاته وشخصيته المتميزة أمام هذا الركام من المتغيرات. وعليه فقد أخذت الغربة عدة نماذج وصور تكتفي بذكر بعضها.

عند الحديث عن الحنين لا يمكن الفصل بينه وبين الغربة فكلاهما متلازمان تلازم الروح للجسد فالغربة هي المسبب الرئيس للحنين، والحنين ظاهرة إنسانية وشعور أصيل في النفس البشرية، فالنفس البشرية تحن لكل شيء ترك فيها إحساسا لأمر ما، حيث يعد الحنين من الدوافع الفطرية عند الإنسان، فهو مرتبط بالشعور الإنساني ووجوده.

إن غرض الحنين مسيطر على الشعر العربي، لأن الشعر ما هو إلا تعبير عن أحاسيس نائمة أو منومة داخل النفس، للحنين فيها الجزء الأكبر فعندما يقال الشعر لابد أن يبث بداخله جزءا من هذه الأحاسيس. فالإنسان كتلة من المشاعر المتداخلة تظهرها التجارب التي يخوضها في معترك الحياة، ولعل الحنين مرتبط إرتباطا كليا بإحساسه بالغربة أو الاغتراب، كما للغربة أسباب وبواعث فهناك للحنين كذلك، وأكثر باعث للحنين هو الغربة عن الأهل والديار، حيث يقول حازم القرطاجي: "ولما كان أحق البواعث بأن يكون هو السبب الأول الداعي إلى قول الشعر هو الوجد و الاشتياق والحنين إلى المنازل المألوفة وآلافها عند فراقها، وتذكر عهودها وعهودهم الحميدة فيها ،وكان الشاعر يريد أن يبقى ذكرا أو يصوغ مقالا يخيل فيه حال أحبابه ويقيم المعاني المحاكية لهم في الأذهان مقام صورهم وهيئاتهم ويحاكي فيه جميع أمورهم حتى يجعل المعاني أمثلة لهم ولأحوالهم أحبوا أن يجعلوا الأقاويل التي -يودعها المعاني المخيلة لأحبابهم المقيمة في الأذهان صورا هي أمثلة لهم ولأحوالهم- مرتبة ترتيبا يتنزل من جهة موقعه من السمع منزلة ترتيب أحويتهم وبيوتهم"[1].

إن الحنين مرتبط بعنصرين أساسيين هما: "اللذة والألم، فشعور الإنسان بالألم في واقعه الجديد يذكره بالأيام الجميلة ،تلك الأيام التي تمثل له عنصر اللذة في وقت مضى، وقد تكون اللذة والراحة مرتبطة بزمن معين كأيام الشباب والذكريات الجميلة وقد تكون وليدة مكان يعز على المرء فراقه كحنين المبعد عن وطنه لأسباب النفي أو التهجير فهناك جدلية بين اللذة والألم، كما بين الغربة والحنين، أو الحاضر والماضي فأحد الحدين متضمن في الآخر، فالغربة تستدعي الحنين والحاضر يستدعي الماضي، واللذة تستدعي الألم"[2].

" إن الحنين مرتبط بثقافة الفرد الذي يمثل مناخ الأدب على أنواعه، والفن ،وعلم التراث وكل ما له بالإبداع والخلق والحس المرهف، هذا المناخ الفني المبدع الذي نسميه بمجال الحنين العربي، ذلك أن الحنين نتاج العمل النفس الاجتماعي (بمعنى العمل النفساني)، الجمعي الذي يعبر عن محاكاة حاضرة وراهنة للماضي بهدف استعانته والتحالف معه، لتغيير الواقع الراهن المحيط والمقلق فمجال الحنين هو نتيجة باهرة وفذة لعلمية الخلق الفكري والأدبي العربية (وكل أمة منكوبة ومكبوتة تنتج أيضا مجال حنينها)، وككل عملية إبداعية فإن مجال الحنين عملية دفاعية لها وظيفة تحويل الماضي الجامد الى حاضر متحرك يعيش راهنا في وجدان الإنسان الخلاق فيقطع عليه وحدته وذلك أن في الحنين أسوة حسنة تشعر الإنسان الصابر بأنه ليس مقطوعا من شجرة وبأن الصعب يمكن أن يمضي وتعود الأيام الى مجاريها. [3]

1- حازم القرطاجي، المنهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة ، دار المغرب الإسلامي ، بيروت، ط3، 1986، ص 249.

2- فاطمة صحصح، الغربة والحنين في الشعر الأندلسي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط 1، 1995، ص 15.

3- د. عباس مكي، المجال النفس الاجتماعي العربي، معهد الانماء العربي، بيروت، 1991، ص 107-108.

المبحث الأول: الغربة والحنين لغة واصطلاحا

أولا: الغربة لغة و اصطلاحا:

أ- لغة:

جاءت الغربة في اللغة حسب ما ورد في لسان العرب لابن منظور قوله الذي نبينه في:

***التنحي عن الناس:**

الذهاب والتنحي عن الناس وقد غرب عنا يغرب غربا و غرب و أغرب غربه وأغربه وغربه نحاه.

***التغريب:**

النفي عن البلد غربة و التباعد عن الوطن.

وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بتغريب الزاني عن بلده، والاغتراب والتغرب كذلك تقول منه تغرب واغترب وقد غربه الدهر رجل غرب بضم الغين والراء وغريب بعيد عن وطنه الجمع غرباء والانثى غربية.[1]

وغرب عن وطنه غرابة وغربة ابتعد عنه واغترب: نزح عن الوطن والغربة: النوى والبعد.[2]

فالملاحظ أن الغربة والاغتراب وردا في معظم معاجم اللغة بمعنى واحد وهو الذهاب والبعد عن الوطن لكن هناك فرق بين مصطلحي الغربة والاغتراب، فالغربة مقترنة بالبعد عن الوطن وفراق الأهل والأحبة، وهي بذلك مرتبطة بالمكان أما الاغتراب فهو شعور نفسي يمتلك الإنسان بسبب ما، فيشعر بأنه غريب حتى لو كان في قلب وطنه.

ب- **اصطلاحا**

فالبحث عن إصطلاح الغربة في المعاجم العربية لاستبيان معناها يجلبنا الى أنها أشكال مختلفة منها: البعد، النوى، الفراق، النفي،.... يصحبها شعور المرء بالألم والضياع والشقاء فهي لا تكاد تخرج عن هذا في معناها الاصطلاحي فاستعمالاتها مختلفة دينية اجتماعية، سياسية تختلف باختلاف الزاوية التي ينظر منها إليها وتنعدم إذا لم تتوافر أبعادها ومثيرها من خوف وقلق وحرمان واستبداد أو عجز عن التلاؤم مع المحيط الواقعي أو المعيشي.

ومهما كانت طبيعتها، فهي تشترك في كونها تمس روح الفرد بالدرجة الأولى وما تخلفه لديه من إحساس الفقد، خاصة حين يجد نفسه في وطنه ولكنه لا يشعر أنه فيه، يقاسي ويتألم مع ذاته المحطمة الغارقة في أبحر الظلام والتيهان.

---

1 - لسان العرب لابن منظور: دار صادر ببيروت، ط1، مادة (غرب)،ص 638.

2 - المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المكتبة الإسلامية، إسطنبول، د.ط ، د. سنة ، ص 647.

وقد عبر أبو حيان التوحيدي عن هذا الشعور الرهيب في قوله: "وأغرب الغرباء من صار غريبا في وطنه، وأبعد البعداء من كان بعيدا في محل قربه، والغريب إذا ذكر الحق هجر، وإذا دعا إلى الحق زجر، الغريب من إذا أسند كذب، وإذا تظاهر عذب، الغريب من إذا قال لم يسمعوا قوله وإذا رأوه لم يدوروا حوله". [1]

ففي هذه المقولة نلتمس نوعا من أنواع الغربة التي يعيشها المرء، والشاعر خاصة لرهافة حسه ومقدرته الكبيرة على التعبير وهي غربة الروح أو الفكر وذلك حين يجد نفسه يعيش غريبا.

فقد ارتبطت الآراء المفسرة لها عند العديد بالجانب الديني لأنهم يرون فيها غربة عن الدين وأحكامها. ويبرز هذا بخاصة في قول: ابن هوازن، حيث ، ففي نظره بدأت الغربة، عندما أخذ الإسلام في الاغتراب والترحل حتى عاد كما بدأ فزال الورع وطوى بساطه، واشتد القمح وقوي رباطه. وارتحل عن القلوب. [2]

فعند الحديث عن الغربة يختلط تعريفها بمعنى الاغتراب، حتى أننا نجد من يعتبرها نفس المعنى فالاغتراب : هو حالة نفسية تصور مدى الانخلاع عن الذات والأشياء أو التذمر والعداء والعزلة، وانعدام المغزى في واقع الحياة والإحباط. [3]

اِن الشعور بالغربة من أقسى فترات الحياة على المرء، فرسولنا الكريم (صلى الله عليه وسلم) عندما هاجر من مكة إلى المدينة المنورة وقف على أحد جبال مكة قائلا: " والله إنك لأحب أرض لله إلي و إنك لأحب أرض الله إلى الله ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت. [4]

فرغم خروج الرسول صلى الله عليه وسلم لتبليغ رسالة الإسلام، إلا أنه شعر بفراق وطنه، فما بالنا بالإنسان العادي، لذلك لا يمكن للمرء نسيانه، وكيف ينساه؟، وهو الدار الأولى التي عرفها ونشأ فيها. إن نظرة الإنسان العربي الأصيل للقرية مختلفة كل الاختلاف عن نظرة العالم الحالية فالغربة عند شعرائنا غربة وجودية: غربة المكان.

ثانيا: الحنين لغة واصطلاحا

أ- **لغة**:

*جاءت كلمة الحنين في اللغة بمعنى : "الشديد من البكاء والطرب وقيل : هو صوت الطرب كان ذلك عن حزن او فرح، وحنين الشوق وتوقان النفس والمعنيان متقاربان"[5].

*الجذر اللغوي للحنين من مادة (حنين)، فأدغم حرف النون فأصبح (حن) وحن حنينا، وقد وردت بعض الكلمات المشاركة للحنين من نفس الاشتقاق فجاءت كلمة الحنان وهو اسم من أسماء الله -عز وجل- ويعني الرحيم بعباده والحنان الرحمة والعطف ومنه قوله تعالى مخاطبا "بنيه يحي -عليه الصلاة والسلام -" " وحنانا من لدنا وزكواة وكان تقيا "[6].

* والحنة بالكسر: رقة القلب.

إن الظاهر من تعريفات الحنين اللغوية جميعها يدل أنها مرتبطة بالعواطف، سواء كان صوتا أم اشتياقا أم نزوعا إلى الوطن فالحنين يدل على الصوت والشوق والطرب والرحمة.

ب-اصطلاحا

الحنين في الاصطلاح له نصيب من اشتقاقاته اللغوية، فالحنين هو الشوق واللهفة لكل عزيز على النفس قد بعد عنها وهو بذلك شعور داخلي ينتج عن الم يعانيه الإنسان فقده أشياء عزيزة عليه ارتبط مفهوم الحنين عند القدماء بالوطن والديار، وقد صنف الجاحظ رسالة في الحنين إلى الأوطان، وذكر فيها مجموعة من الأبيات لعدد من الشعراء في الحنين للوطن ومدى ارتباطهم بتلك الديار التي مثلت لهم حياة وروحا حيث يقول: « فاوضت بعض من انتقل من الملوك في ذكر الديار والنزاع الى الأوطان، فسمعته يذكر انه اغترب من بلده الى اخر أمهد من وطنه، وأعمر من مكانه، وأخصب من جنابه، ولم يزل عظيم الشأن، جليل السلطان، تدين له من عشائر العرب سادتها وفتيانها، ومن شعوب العجم أنجادها وشجعانها، يقود الجيوش ويسوس الحروب،

1 - محمد صبري، الشوقيات المجهولة، دار المسيرة، بيروت ، ط 2،ج 1 ، 1979 ص 16.
2 - المرجع السابق، ص16.
3 - محمد الطربولي، المكان في الشعر الأندلسي، دار الرضوان، عمان، ط1، د. سنة، ص33.
4 - أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله بن احمد السهيلي، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، الرَّوْض الْأنف فِي شرح السِّيرَة النَّبَوِيَّة لِابْنِ هِشَام، دار احياء التراث العربى، بيروت، ط1، 1421هـ/ 2000م، ج 4 ص 133.
5- ابن منظور، لسان العرب، مادة (حنن)، دار الصادر ، بيروت، ط. 1، ص 13
6- سورة مريم، آية رقم 13.

وليس ببابه إلا راغب إليه ، أو راهب منه ،فكان إذا ذكر التربة و الوطن حن إليه حنين الإبل إلى الإبل إلى أعطانها"[1].

ربط الجاحظ الحنين في رسالته بالوطن من حيث أنه السبب الرئيس للحنين، كما أن بعض النقاد القدامى اعتبروا الحنين غرضا شعريا: كالغزل والفقر والهجاء والمديح وباقي الأغراض الشعرية الأخرى، ولعل الحنين يدخل في غالبية الأغراض تلك، لكن قدامه بن جعفر قصر الحنين ضمن باب النسيب حيث قال*قد يدخل في النسيب التشوق والتذكر لمعاهد الأحبة بالرياح الهابّة، والبروق اللامعة والحمائم الهاتفة، والخيالات الطائفة، وآثار الديار العافية، وأشخاص الأطلال الداثرة.[2]

المبحث الثاني: بواعث الغربة و أنواعها

أولا: بواعث الغربة

إن ظاهرة الغربة ظاهرة قديمة قدم الإنسانية فالإنسان القديم في ذلك الوقت ظهرت في حياته مجموعة من البواعث التي أدت إلى اغترابه منها:

عدم الاستقرار: الإنسان القديم لم يستقر في مكان واحد بسبب النزاعات القبيلة والحروب فيما بينهم جعلت من هذه الظاهرة أمرا طبيعيا في حياتهم، فالعرب كانوا يعيشون على تربية الإبل والأغنام التي تتطلب وجود الماء والكلأ، فكانت حياتهم مرتبطة بوجود مقومات الحياة لهم ولمواشيهم، فالتنقل والبعد عن أماكنهم الأصلية وتغربهم بسبب طلبهم للرزق، ناهيك عن نزاعاتهم الداخلية التي قد تستمر عقودا، لذلك وجدنا الشعراء الأوائل يكثرون من البكاء على الأطلال التي سببتها الغربة فهدا طرفة بن العبد يبدأ معلقته قائلا:

لِخَولة أطْلالٌ بِبُرقَة ثهد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليدِ

وُقوفاً بِها صَحبي عَلَيَّ مَطيَّهُم يقولونَ لا تَهلِك أسىً وَتَجـَلّدِ[3]

فمن هذا المنطلق أصبح الوقوف على الأطلال سمة ظاهرة عند الشعراء القدماء، فالمعلقات سواء السبع أو العشر تبدأ بما هو مرتبط ارتباطا وثيقا بالغربة ،فامرؤ القيس يقول في مطلع معلقته :

قفا نبك من ذِكرى حبيب ومنزل بسِقطِ اللِّوى بينَ الدَّخول فحَوْملِ[4]

شعر الفتوح: بقيت هذه الظاهرة حتى بعد ظهور الدين الإسلامي الحنيف، ولكن خفت حدتها بعد تمكن الايمان من قلوب الناس، فأصبحوا يعبرون عن القصيدة مباشرة دون التطرق للوقوف على الأطلال فأخذت الغربة تظهر بوضوح في قصائد الشعراء المجاهدين الذين فرجوا لتبليغ دين الله في شتى أقطار الأرض، فظهر باعث أخر وهو الجهاد في سبيل الله.

الجهاد في سبيل الله: حيث كان المجاهدون يودعون أوطانهم و أهليهم، ويغيبون لفترات طويلة مما يترك في قلوبهم لوعة البعد والفراق التي تجعل الشعراء منهم يعبرون عن ذلك أصدق تعبير، ومنهم من يصاب في المعارك أو يتعرض لمكروه منها حدث مع الشاعر مالك بن الريب الذي كان فارسا ينتمي لمجموعة الصعاليك ،فهناك روايتان في وفاته أحداهما أنه أصيب في احدى المعارك والأخرى أنه عندما وضع قدمه في خفه لدغته أفعى كانت في الخف، فأنشأ قصيدة تحمل في ثناياها لوعة الفراق والغربة عن الأهل وفيها يقول:

ألا ليتَ شِعري هل أبيتنَّ بجنب الغضَـاأ زجي الِقلاصَ النواجيا

1- أبو عثمان الجاحظ: الحنين إلى الأوطان، دار الرائد العربي ، بيروت، ط2، 1982، ص 6.
2- قدامه بن جعفر: نقد الشعر، تحقيق: د. محمد عبد المنعم خفاقجي، دار الكتب العلمية ، بيروت، د. ط ، د. سنة ، ص 134.
3 - ديوان طرفة بن العبد، تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط3، 2002، ص 19.
4 - ديوان أمرؤ القيس، تحقيق: الرحمان المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط2، 2004م، ص 21.

ليلـــــــــــــــةً
فَليتَ الغضا لم يقطع الركبُ عرْضَه ... وليت الغضى ماشى الرِّكاب لياليـــــــــا
تذكّرتُ مَنْ يبكي عليَّ فلم أجـــــــــدْ ... سوى السيفِ والرمح الرُّدينيّ باكيـــــــــا
ولمّا تراءتْ عند مَـــــرٍ ... وخلَّ بها جسمي، وحانتْ منيتـــــــــي ... وفاتـــــــــيا
فيا صاحبَيْ رحلي دنا الموتُ فانزِلا ... برابـــيةٍ إنّي مقـــــــيمٌ ليالـــــــــــــــــــــــيا
وخُطّا بأطراف الأسنّة مضجَعـــــي ... ورُدّا على عينيَّ فَضْـــلَ رِدائيـــــــــــــا
خذاني فجرّاني بثوبي ... فقد كنتُ قبل اليوم صَعْباً قِياديـــــــــا
إليكـــــــــــــما ... وأينَ مكانُ البُعدِ إلا مَكانيـــــــــــــــا
يقولون: لا تَبْعَدْ وهم يَدْفِنوننـــــــي
فيا صاحبا إما عرضتَ فبلِغن ... بني مازن والرَّيب أن لا تلاقيـــا
غريبٌ بعيدُ الدار ثاوٍ بقـــــــفزةٍ ... يَدَ الدهر معروفاً بأنْ لا تدانيـــــا[1]

هذه الأبيات تترك ألما أسى في نفس المتلقي فقد كان يحس بأنه سيفارق الدنيا فيتمنى أن يرجع إلى بلدته الأصلية حيث أن هذه الغربة تندرج تحت مسمى غربة الموت، فالشاعر بعيدا عن موطنه الأصلي.

تلك الأبيات السابقة له شبه قريب من غربة المنفى التي عاشها أحمد شوقي كذلك غربة الأسر فالأسير يعاني من المأسي، فقد حرم من الحرية ومن رؤية الأهل والأحبة، وهذا أبو فراس الحمداني يعيش تجربة الأسر عند الروم فأنشأ مجموعة من القصائد وهو أسير عرفت بالرومنسيات يبث فيها الأمه ويشكو أحزانه وغربته فيرسل بمجموعة من الأبيات لأمه من خلالها يواسي نفسه في وحدته فيقول:

مُصابـــــــي جَليـــــلٌ وَالعـــــزاءُ ... وَظَنّـــي بِأَنَّ اللهَ سَوفَ جَمـــــيلُ ... يُديـــــــــــــــــــــــــــلُ
جِراحٌ تَحاماها الأَساةُ ... وَسُقمانِ بادٍ مِنهُما مَخوفَـــــــــــــةٌ ... وَدَخـــــــــــــــــــــــــيلُ
وَأَسرٌ أَقاسيهِ وَلَيلٌ ... أَرى كُلَّ شَيءٍ غَيرَهُنَّ نُجومُـــــــــــــــــــهُ ... يَـــــــــــــــــــــــــــزولُ
تَطولُ بِيَ الساعاتُ وَهيَ قَصيـــــرَةٌ ... وَفي كُلِّ دَهرٍ لا يَسُرُّكَ طـــــــــــــــــــــــــولُ[2]

النفي عن الوطن:

إن المعاناة التي عاشها البارودي لتدل بكل وضوح على مرارة الغربة، فغربة النَفي عن الوطن قاسية فالوطن عندما يسلب من الإنسان كأن الروح تؤخذ معه، فتصبح الهموم والأوجاع كثيرة، فالبارودي يشتاق لمصر شوقا لا يوصف، ويجري على عادة القدماء في تخيل الرفيقين بجانبه، ويطلب منهما عدم الملامة ،لإن القريب لا يلام بسبب أحزانه و غياب عقله من شدتها فيذكر اشتياقه لمصر حيث يقول:

يَا نَدِيمَيَّ فِي سَرَنْدِيبَ كُـــــــفَّا ... عَنْ مَلامِي فَلَيْسَ يُغْنِي الْمَلامُ
أَنَا فِي هَذِهِ الدِّيَـــــــــــارِ غَرِيبٌ ... وَغَرِيبُ الدِّيَارِ لَيْسَ يُـــــــــــــلامُ
وَاذْكُرَا لِي فُسْطَاطَ مِصْرَ فَإِنِّي ... بِهَوَاهَا مُتَيَّمٌ

1 - ديوان مالك بن الريب، تحقيق: د. نوري حمودي القيسي، مجلة معهد المخطوطات العربية، مجلد15، ج1، ص 88-95،
- أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تحقيق: علي محمد البجاوي ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1981م، ص 207-214.

2 - ديوان ابي فراس الحمداني، تحقيق: خليل الدويهي دار الكتاب العربي بيروت ، ط2،-1994، ص 252

مُسْتَهـــــــــــــــــــــــــــامُ[1]

هناك باعث آخر مرتبط ألا وهو الهجرة: فالهجرة هي ترك الوطن، سواء كانت فردية أو جماعية فقد يشعر بعض الأفراد أو الجماعات أن حياتهم في أوطانهم قد أصبحت جحيما لا يطاق من جراء العراقيل والصعوبات في الحياة السياسية تعرض البلاد للسيطرة الأجنبية الغاشمة أو الحكم الفردي المستبد، وقد تتعرض البلاد للضعف والفساد والرشوة، أو توزيع الثروة توزيعها محجما مما يسبب لها اِنهيارا اقتصاديا يترتب عليه عدم قدرتها على توفير الحياة الكريمة فيضطرون إلى الهجرة طلبا للحرية أو سعيا وراء الرزق.[2]

ومن أبرز من عانى ويلات النفي شاعرنا أحمد شوقي، وأستاذه الشاعر الكبير محمود سامي البارودي فعندما قامت الثورة العربية وأحكمت سيطرتها على معظم مصر كان البارودي ممن ساعد في قيامها وأيدها واِعتبر من أحد قادتها فقام الانجليز بنفيه خارج مصر إلى جزيرة سيرلانكا (سرنديب ثم سيلان قديما)، وهناك عانى البارودي الأمرين مرارة الغربة وقهرها ومرارة الوحدة في بلد عز فيه الصديق إن احساسه العميق بالغربة سيطر على كيانه ووجدانه فعبر عن ذلك بكثير من الأشعار التي حملت بداخلها آلام الغربة والحنين إلى الوطن يقول في اِحدى قصائده:

أَظَلُّ فِيهَا غَرِيبَ الدَّارِ مُبْتَئِساً ... نابِى المضاجع من همٍّ وأوجاع
لا في " سرنديبَ " خِلٌّ أستعينُ بهِ ... عَلَى الْهُمُومِ إِذَا هَاجَتْ، وَلاَ رَاعِي
يَظنُّنى من يرانِى ضاحِكاً جَذِلاً ... أنِّى خَلي، وهَمِّى بينَ أضلاعِى
ولا، ورِبِّكَ ما وَجدِى بِمُندرِسٍ ... على البِعادِ ولا صَبرِى بِمِطواعِ
لَكنَّنِى مالِكٌ حَزمِي ومُنتَظِـــــــرٌ ... أَمْراً مِنَ اللَّهِ يَشْفِي برْحَ أَوْجَاعِي

أَكُفُّ غَرْبَ دُمُوعِي وَهْيَ جَارِيَة ... خَوْفَ الرَّقِيبِ وَقَلْبِي جِدُّ مُـــــــلْتَاع
فَإِنْ يَكُنْ سَاءَنِي دَهْرِي، وَغَادَرَنِي ... رَهْنَ الأَسَى بَيْنَ جَدْبٍ بَعْدَ إِمْرَاع
فَإِنَّ فى مِصرَ إخواناً يَسُرُّهـــــمُ ... قُرْبِي، وَيُعْجِبُهُمْ نَظْمِي وَإِبْدَاعِـي[3]

فالهجرة تقسم إلى نوعين: النوع الأول وهو هجرة إرادية بسبب سوء الأحوال المعيشية في البلد وقلة المصادر التي تكفل الحياة الكريمة للفرد، أو سوء الأحوال الأمنية بسبب سيطرة المحتل على الوطن أو شعور المهاجر بالاغتراب في وطنه مما يدفعه لترك الوطن، وهذا ما حدث مع شعراء المهجر الذين تركوا أوطانهم حيث كوّنوا مجموعتين الأولى في أمريكا الشمالية واسموها الرابطة القلمية والثانية في أمريكا الجنوبية واسموها العصبة الأندلسية أمّا النّوع الآخر من الهجرة فهو هجرة قسرية اجبارية وهذا ما حدث مع الشعب الفلسطيني عندما هجر من وطنه عنوة فقد قام الصهاينة بطرد أصحاب الأراضي واستولوا عليها وكونوا فوقها كيانهم المزعوم فهذا النوع من الهجرة يشبه الى حد كبير النفي بل أن النفي أهون من ذلك لأن الإنسان المنفي وطنه مازال موجودا ولم يطرد منه أهله بعكس الهجرة الجبرية التي مازلنا نعانيها لوقتنا الحاضر فتأثر بجميع أبناء الشعب الفلسطيني من هذه المأساة ومازالوا يعانون آلام الغربة وماسيها في الشتات، فالشعراء لسان قومهم يعبرون عن هذه المأساة فالغالبية العظمى من شعراء فلسطين تحدثوا عن الغربة في أشعارهم بل أصبحت سمة في شعرهم ومن أمثال هؤلاء الشاعر عبد الكريم الكرمي الذي يقول في قصيدته بعنوان (سنعود) أبيات يبكي مرارة الغربة ويؤكد على العودة القريبة حيث رسم طريق الجهاد والمقاومة لهذه العودة فيقول:

فلسطينُ الحبيبةُ كيف أحيا ... بعيداً عن سهولكِ والهضـــــــــابِ
تُناديني الشواطئ باكيـــــاتٍ ... وفي سَمْع الزمانِ صَدى انْتِحاب
تُناديني الـــــــلجداولُ شارداتٍ ... تَسير غريبةً دون اغـــــــــــتراب
تُناديني مدائنُك اليتامَـــــــى ... تُناديني قُراك مع القِبـــــــــــــابِ

1- ديوان محمود سامي البارودي، تحقيق: علي الجارم ومحمد شفيق معروف، دار العودة، بيروت، 1998م، ص624.
2- د. أمين العصمي، الغربة والحنين في الشعر الفلسطيني بعد المأساة، جامعة قاريونس، بنغازي، ط1، 1995، ص 27.
3- ديوان محمود سامي البارودي، تحقيق: علي الجارم ومحمد شفيق معروف، **مصدر سابق**، ص 341- 342.

وَيسألُني الرفاقُ ألا لقـــــــــــاءٌ وهَلْ مِنْ عودة بعدَ الغِيـــــــــــــابِ
غداً سنعود والأجيالُ تُصغي إلى وقع الخطى عِند الإيـــــــاب
نَعودُ مع العواصفِ داوياتٍ مع البَرْقِ المقدَّسِ والشِّـــــــهابِ
أجل!.. ستعودُ آلافُ الضحايا ضحايا الظلم تَفْتَحُ كُـــــــلَّ باب[1]

هناك بواعث لاغتراب المرتبط بالإنسان داخل مجتمعه ومن هذه العوامل العاهة الخلقية كالعمى مثلا إذا هذه العاهة قد تزيد من حدة العوامل النفسية الى جانب العوامل الأخرى التي يتعرض لها المرء. [2]

فالشاعر أبو العلاء المعري (رهيب المحبسين) قد أصيب بالعمى في سنواته الأولى الأمر الذي شكل رؤية فلسفية عند أبي العلاء فالعمى وسوء معاملة الناس له أثر على نمط حياته من لقب برهين المجسين، فيدافع عن نظرة الناس الأعمى فيما ينم عن شعور بالاغتراب حيث يقول:

إذا مرّ أعمى، فارْحـــموهُ وأيقِنوا وإنْ لم تُكَفّوا، أنّ كلّكمُ أعمَـــــــى [3]

وفي قصيدة أخرى يشكو حزنه والآم اغترابه فالألم جعله يعبر عما بداخله بالتوبة إلى الواعز الديني، فيذكر في هذه الأبيات أن الأعمال الخيرة عن الناس غريبة لانهم لم يتعودوا عليها فالإنسان منشؤه من تراب. وإليه سيأوي والبقاء لله -سبحانه وتعالى- فالكل إلى الزوال ويبقى وجه الملك الذي خلق الأرض والإنسان حيث يقول المعري:

وجدتُ سجايا الفضلِ، في الناس، غُرْبة وأعدَمَ هذا الدّهرُ مُغتربـــــــيـــــهِ
ووالدُنا هذا التّرابُ، ولم يَـــــــــــــــــزَلْ أبَرَّ يَداً من كلّ منتَسِبيـــــــــــــــــه
يؤدّي إلى مَن فَوقَهُ رزقَ ربّـــــــــــــــــهِ أميناً، ويُعطي الصّونَ مُحتَجبيه
ولا شيءَ مثلُ الخيرِ يُزمَعُ تركُـــــــــهُ ويُصبِحُ مَبذولاً لمُكتَسِبيـــــــــــــــه[4]

فعوامل الغربة كثيرة ومتغيرة من زمان الى اخر أما عند شوقي فجاءت ضمن أربعة عوامل رئيسية وهي عامل سياسي عامل اجتماعي عامل نفسي، عامل ثقافي.

- **العامـــل السياسي:**

كان هذا العامل الأثر الواقع في نشأة الغربة عند شوقي، فلم ينقطع شوقي عن السفر خارج مصر،فسافر إلى أماكن كثيرة سواء أثناء تلقيه تعليمه في فرنسا ومنها إلى الجزائر في رحلة علاجية وزيارة خاطفة لمدينة لندن، أم سفره المتكرر عندما عمل في الحكومة المصرية وكان ممثلا عندها في مؤتمر المستشرقين وزياراته مع الخيدوي عباس لمركز الحكم في الآستنانة، كل هذه الغربة والبعد عن الوطن كان بإرادة شوقي، ولم يكن مكرها عليه لذلك لم يترك الالم داخل قلبه وكيانه.

إن الغربة الحقيقية هي التي شعر بها شوقي عندما نفي الى اسبانيا عام 1914م فقد كان هذا الحدث بمثابة التحول الكبير في حياته فمن الحياة الامنة المطمئنة في ربوع الوطن، والتنعم بخيراته ،الى أقسى نوبات الشوق للوطن الذي سيطر عليه، فيشتاق الى الوطن لكنه لا يستطيع العودة، تلك أصعب الفترات التي عايشها شوقي، ولعله يبين ذلك في بعض الكلمات التي قالها على ظهر السفينة التي أبحرت به إلى المنفى : "فقلت: سيري عودتك بوديعة التابوت، وبصاحب الحوت، وبالحي الذي لا يموت، وأسري يابنة اليم، زمامك الروح، وربانك نوح، فكم عليك من منكوب و مجروح، إن للنفي لروعة وإن للنأي للوعة وقد جرت أحكام القضاء، بأن نعبر هذا الماء، حين الشر مضطرم، واليأس محتدم ،والعدو منتقم والخصم محتكم وحين الشامت جذلان مبتسم

1- ديوان أبي سلمى عبد الكريم الكرمي، دار العودة، بيروت، ط1-1978م. ص 173.
2- محمد الطربولي، المكان في الشعر الأندلسي، دار الرضوان، عمان، ط1، ص 33.
3- شرح اللزوميات : أبي العلاء المعري، تحقيق، زينب القوصي وفاء الاعصر سيدة حامد، منير المدني، ج3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، 1994م، ص 118.
4- اللزوميات: ابي علاء المعري، تحقيق: أمين عبد العزيز الخانجي، ج2، مكتبة الجانجي ، القاهرة، د.ط ، د. سنة، ص 430.

يهزأ بالدمع وإن لم ينسجم ،نفانا حكام عجم، أعوان العدوان والظلم، خلفناهم يفرحون بذهب اللجم، ويمرحون في أرسان يسمونها الحكم ضربوها بسيف لم يطبعوه ولم يملكوا أن يرفعوه أو يضعوه، سامحهم في حقوق الأفراد وسامحوه في حقوق البلاد وما ذنب السيف إذا لم يستح الجلاد".[1]

ولا ننسى الأبيات التي قالها شوقي واصفا فيها النفي والتشريد الذي مورس عليه وسلب منه أغلى ما في الوجود، فالنفي أخذ منه خمس سنوات لم يتمتع بها في وطنه، سنوات عايشها والوطن في أمس الحاجة لأمثاله، فيقول:

لولا عوادي النَّفْيِ أو عقباتُـــــه ... والنفي حالٌ من عذاب جَهَنَّم
لجمعتُ ألوان الحوادثِ صورةً ... مَثّلتُ فيها صورةَ المُستسلِـــم
وحكيتُ فيها النيلَ كاظمَ غيظِه ... حكيتُه مُتغيَّظًا لم يَكْظِـــــــم[2]

فالحياة التي عاشها شوقي في الأندلس مزجت فيها الام الحسرة والوحدة ومرارة البعد عن الوطن فتجربة النفي التي مرت به غيرت مجرى حياته ونظرته إلى الحياة ،فكانت الباعث الأول للغربة الخارجية التي سيطرت على وجوده.

إنّ الأحداث السياسية التي عايشها شوقي كان لها تأثير في حياته وما أكثرها الأحداث التي عاصرها شوقي، بدءا بالحرب العالمية الأولى التي بثت في شعره إشارات واضحة دلت على حالات من الاغتراب منها:

لا تذكرنّ الحرب أو أهوالهـــــا ... إلا بقلب خاشع يتوجـــــــع
واذرف على القلب الدموع فكلكم ... في آدم أهل وآدم يجمـــــــع[3]

ولا ينسي ما آلت اليه أحوال المسلمين بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، وإعلان مصطفى أتاتورك سقوط الخلافة الإسلامية، شعر المسلمون بفقدان جزءا مهما من عقيدتهم،وشوقي أحد المسلمين الغيورين على دينهم آلمه ما حدث وخيم الحزن على قلبه وأنشأ يقول في مناسبات عدة عن سقوط الخلافة:

الهِندُ والِهةٌ ومِصرُ حزينـــــــــــةٌ ... تَبكي عليكِ بمدمعِ سحـــــــــــاح
والشَّامُ تَسأَلُ والعِراقُ وفـــــــارسٌ ... أَمَحى من الأَرضِ الخِلافةَ ماحِ
وأنت لكِ الجُمعُ الجلائلُ مَأتَماً ... فقعدنَ فيه مقاعدَ الأَنـــــــــواحِ
ياللرِّجـــــالِ لَـــــــــحُرَّةٌ ... قُتلت بِغير جـــــرَيرةٍ مـــــــوؤودَةٌ وجـــــــناح[4]

ولا يتوقف الباعث السياسي عند هذه الأمور سابقة الذكر بل كان لمعاناة الدول العربية نصيب كبير في شعر شوقي، وأصدق هذه الأشعار ما نظمه شوقي في نكبة دمشق عندما فتك بها الفرنسيون عام 1926م ،وأنشأ شوقي تلك القصيدة وألقاها في حفل لمساعدة منكوبي سوريا حيث أقيم الحفل بحديقة الأزبكية بالقاهرة، يقول فيها:

سَـــلامٌ مِن صَـــبا بـــــــرَدى أَرَقُّ ... وَدَمـــعٌ لا يُكَفكَـــفُ يـــا دِمـــــــــــَشقُ
لَـــحاها اللهُ أَنبـــــاءً تَوالَـــــــــتْ ... عَـــلى سَـــمعِ الـــوَلِيِّ بِمـــــا يَـــــشُقُّ
تَـــكادُ لِـــرَوعَةِ الأَحداثِ فيها ... تُـــخالُ مِنَ الخُرافَـــــةِ وَهيَ

1- أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي، أسواق الذهب، مطبعة الهلال، مصر، د. ط، 1932، ص 28.
2- محمد صبري، الشوقيات المجهولة، دار المسيرة، بيروت ، ط 2،ج 1 ، 1979. ص 604-605.
3- المرجع السابق، ص 415.
4- ديوان أحمد شوقي الشوقيات ، تدقيق محمد فوزي حمزة ،مكتبة الأدباء، القاهرة ، ط2 ،2012، ص 204.

وَقـــــــــيلَ مَعالِمُ التاريخِ دُكَّتْ صِدقُ
أَلَستِ دِمَشقُ لِلإسلامِ ظـــئِرًا وَقـــيلَ أَصابَها تَلَفٌ وَحـــــــــرَقُ
وَمـــــرُضِعَةُ الأُبُـــوَّةِ لا تُـــــــــعَقُّ[1]

فالعامل السياسي تمثل في الأحداث التي مرت بها المنطقة فالحروب التي كانت تخوضها الدولة العثمانية مرورا باتجاه شوقي إلى العمل في السياسة من خلال عمله في الحكومة المصرية، واشتعال الحرب العالمية الأولى، وطرد الخديوي عباس، وتعيين السلطان حسين كامل على عرش مصر، وسيطرة الإنجليز على مقالد الحكم في مصر وسقوط الخلافة الإسلامية على يد مصطفى أتاتورك، والأحداث التي تعرضت لها بعض الدول العربية.

- **العامل الاجتماعي:**

الإنسان بفطرته كائن اجتماعي، يتأثر بمجتمعه ويؤثر فيه، فلا يمكن لأحد أن يعيش منفردا إلا إذا كان يعاني من حالة مرضية، فالحياة الاجتماعية مرتبطة بجميع نواحي الحياة، ولا يمكن التعامل معها منفردة.

من الظواهر الاجتماعية التي تدفع الإنسان للشعور بالاغتراب الظلم الاجتماعي كإرغام الأهل أبنائهم للزواج ممن يفوقون أعمارهم بكثير، هذه الظاهرة التي انتشرت بشكل واسع في مصر آنذاك، فقال شوقي محاربا هذه الظاهرة:

ظَـــلَمَ الـــرِجالُ نِساءَهُم وَتَـــــعَسَّفوا هَـــــل لِلنِساءِ بِمِصرَ مِن أنصارِ
يا مَعشَرَ الكُتّابِ أَينَ بَلاؤُكُـــــــــم أَيـــــنَ البَيانُ وَصائِبُ الأَفـــــــكارِ
أَيَهـــــمُكُم عَـــبَثٌ وَلَيسَ يَـــــــــهُمُّكُم بُـــــــــنيانُ أَخلاقٍ بِغَيرِ جـــــدارِ
عِندي عَلى ضَيمِ الحَرائِرِ بَينَكُـم نَبَأٌ يُثيرُ ضَمائِرَ الأَحـــــــــرارِ[2]

تأثر شوقي بالمجتمع المصري لاسيما عندما عاد من منفاه، فكان يواكب كل حدث إجتماعي داخل مصر ويقول في ذلك أشعارا، أما على صعيد حياته الاجتماعية فيمثل الاغتراب في فقدانه لأعز الناس على قلبه، فعندما علم بموت أمه في منفاه اشتعلت النيران في قلبه وكأنها السهام اصابته في سويداء القلب، شعور بفقدان أحب الناس إلى قلبه وفقدان الوطن العزيز عليه يقول في قصيدة تظمها رثاء لأمه:

إِلى اللهِ أَشكو مِن عَوادي النَوى سَهما أَصابَ سُوَيداءَ الفُؤادِ وَما أَصمى
مِنَ الهاتِكاتِ القَلبَ أَوَّلَ وَهلـــــــــــــــةٍ وَما دَخَلَت لَحماً وَلا لامَسَت عَظما
تَـــوارَدَ وَالـــناعي فـــأَوجَستُ رَنَّـــــــــةً كَلاماً عَلى سَمعي وَفي كَبِدي كَلما
فَـــــما هَتَفا حَتّى نَزا الجَنبُ وَاِنزَوى فَيا وَيحَ جَنبي كَم يَسيلُ وَكَم يَدمى
وَلَم أَرَ حُكماً كَالمَقاديرِ نـــــــــافِذاً وَلا كَلِقاءِ المَوتِ مِن بَينِها حـــــتما[3]

أكثر شوقي من الرثاء في ديوانه ولعل ذلك نابع من كثرة معارفه الذين تعرف عليهم، حتى أننا نجده يرثى الشخص في أكثر من قصيدة، كان تأثر شوقي بالمجتمع وشعوره أحيانا بضرورة تغيير الواقع للأفضل، وهذا ما نلمسه في أشعاره.

- **العامل النفسي:**

1- المدونة، ص 446.
2- محمد صبري، الشوقيات المجهولة، دار المسيرة، بيروت ، ط 2،ج 1 ، 1979. ص 333.
3- المرجع نفسه، ص 548.

يعتبر العامل النفسي من أكثر العوامل تأثيرا في شعر الغربة، فالعامل النفسي مرتبط بشعور الإنسان وتأثره بمن حوله ،ومرتبط ارتباطا كبيرا بالواقع الذي يعيشه الشاعر، فتمثل العامل النفسي في شـــــعر شوقي في مـــجالات ثلاث هي : تعلق شوقي ببلده مصر و جـــمالها و شيخوخة الشاعـــــــــــــــر ومرضه، وقلق الموت فهذه العناصر الثلاث تتبلور فيها النواحي النفسية التي بعثت الشعور بالغربة والحنين.

كان شوقي متيما بوطنه، مغرما بجمال مصر ونيلها، كل شيء في مصر كان له وقع حسن في نفسه ، ولعلّ الرّسالة التي أرسلها شوقي، وهو في منفاه في اسبانيا الى رئيس جريدة الأهرام يوضح فيها مدى اشتياقه وحنينه لمصر وللشرب من النيل هي تعبير صادق لما يجول في نفس الشاعر من حب صادق، ومشاعر جياشة لشخص عانى ويلات الغربة عن أعز ما في الوجود حيث يقول شوقي في هذه الرسالة:

يا ساكني مِصرَ إنّا لا نَزالُ على عَهـــــــدِ الوَفاءِ وإنْ غِبْنا مُـــــــــقِيمِينَا

هَلاَّ بَعَثتُمْ لنا من ماءِ نَهرِكُـــــــــمُ شيئاً نَـــبُلُّ به أَحْشاءَ صـــــــــــادِينَا

كـــلُّ المَناهِلِ بَعدَ النِّيلِ آسِنَـــــــــة مـــا أَبْعَدَ النِّيلَ إلاّ عَنْ أَمـــــــــانِينَا[1]

جاء نداء شوقي لأهل مصر ليؤكد لهم على شدة حنينه لمصر، مصر الشعب ،ومصر النيل، ومصر الحضارة، فيقرب لنا صورة الحنين المتجسد في بعد النيل عنه إلاّ بالأماني و حيث جاء شوقي لأهل مصر بأن يبعثوا له من مياه النيل لنيل شوقه وحنينه فهو لا يستسيغ المياه بعد نهر النيل ولو كانت مناهل . وتصل الحالة النفسية الى أعلى مستوياتها عندما يطأ شوقي بقدمه ثرى مصر بعد سنوات من الغربة، فللوطن مكانة تسيطر على النفس وحبه كامن بين ضلوع المرء، فأول كلمات قالها شوقي أثناء استقبال الجماهير له بعد عودته من المنفي: (الوافر)

و يَا وَطَنِي، لَقِيتُكَ بَعْدَ يَأْسٍ كأَنّي قَدْ لَقِيتُ بِكَ الشَّبَابَا

و لَوْ أَنّي دُعِيتُ لَكُنْتَ دِينِي عَلَيْهِ أَقَابِلُ الحَتْمَ المُجَابَا

أَدِيرُ إلَيْكَ قَبْلَ البَيْتِ وَجْهِي إذَا فُهْتُ الشَّهَادَةَ و المَتَابَا[2]

ومن البواعث النفسية عند شوقي تحسره على فترة شبابه، وحنينه لتلك الأيام، كل هذه الأحاسيس يجسدها إكثار الشاعر من ذكره فترة الشباب في قصائده، لاسيما تلك القصائد التي قالها عندما شارف الستين من العمر، ففترة الشباب أجمل فترات العمر وأحفلها بالأحداث العزيزة على قلب كل إنسان ،يذكر شوقي ذلك في شيخوخته، فيخاطب أيام صباه ،و أيام شبيبه بمجموعة من الأبيات المعبرة حيث يقول:

أقـــــــول لأيـــام الصبا كـــــــــلما نأتْ أمـــــا لكَ يا عهدَ الشباب مُعيد؟

وكيف نأتْ والأمسُ آخرُ عـــــهدِها لأمسُ كباقي الغابرات عـــــهيد

جزعتُ ، فراعتني من الشيبِ بسمة كأني على دَرْبِ المشيبِ لَـــبيد

ومن عبث الدنيا وما عبثت سدى شببنا وشبنا والزمانُ ولـــــــــــيدُ[3]

فالملاحظ من تلك الأبيات كثرة مدلولات الشباب ويقابلها مدلولات الكبر وذلك إيحاء من شوقي على عظم حزنه ومعاناته المصاحبة لفترة الشيب، ولعل أصدق تعبير منه قوله: (جزعت) التي تحمل دلالة الخوف الشديد لما هو قادم في مرحلة الشيب.

إن الشعور بانتهاء فترة الشباب والإقبال على مرحلة الضعف والوهن يترك في النفس ألـــــــــــــــــما وحسرة، فمرحلة الشيخوخة يحس الإنسان فيها بدنو الأجل ممّا يجعله يشعر بنوع من الاغتراب بعدما كان في قمة نشاطه وعنفوانه، فالقلب يخفق لتلك الأيام ويتمنى أن تعود، ولكن أنى ذلك فما مضى لا يمكن أن يعود، يقول شوقي عن ذلك:

1- المرجع السابق، ص688.
2- مقدمة الشوقيات، ديوان أحمد شوقي، تدقيق محمد فوزي حمزة ،مكتبة الأدباء، القاهرة ، ط2 ،2012، ص 512.
3- المدونة، ص 244-245.

خَلْقَ الشَبابُ وَلا أَزالُ أَصونُـــــــــــهُ وَأَنا الوَفِيُّ مَوَدَّتي لا تَـــــــــخلُقُ
قَلبي اِدَّكَرتَ اليَومَ غَيـــــــــــرُ مُوَفَّقٍ أَيّامَ أَنتَ مَعَ الشَبابِ مُـــــــــوَفَّقُ
فَخَفَقتَ مِن ذِكرى الشَبابِ وَعَهدِهِ لَهفي عَلَيكَ لِكُلِّ ذِكرى تَخفُقُ[1]

أمّا قلق الخوف من الموت فكان شديد الظهور في شعره، ولعلّ ذلك ما أظهر أسباب الاغتراب بشكل واضح عنده، لأن شعور الإنسان بأنه مفارق لهذه الحياة يجعله يشعر بأنه غريب فوق هذه الأرض، وهذا ما حدث مع شوقي ،حاله كحال كثير من الناس، لكن الشاعر يختلف عن العامة لامتلاكه ملكة الشعر التي يعبر من خلالها عما يجول بين ثنايا قلبه فهذا الشعور يغلب على الإنسان في مراحل متقدمة من العمر حيث يوصي شوقي أبناءه بعدما شعر بدنو الأجل واقتراب الموت منه يوصيهم بأن الدنيا لا أمان لها، وأنها فانية لا محاله فهي دار ممر وليس دار مقر، حيث يقول:

كأني بالحمام أصاب ركني فـــــــمال وأي ركن لا يـــــــــــميل
وأدركني ونجم صباي عال فخـــــر النجم وازدوج الأفـــــــــول
فلا يغرركما ولدي بـــــــعدي زها الدنيا ومـــــــنظرها الجميل [2]

- **العامل الثقافي**:

وللكشف عن هذا العامل عند شوقي يتضح ذلك من نهجه في نظم الأشعار وبث الحياة في الشعر العربي من جديد، والاستفادة من عراقة الشعر العربي القديم (الجاهلي، صدر الإسلام، العباسي، الاندلسي)، ولعل هذا يندرج تحت الثقافة الكبيرة عنده، فشوقي قد شعر بالواقع الأليم للأدب العربي الذي أصابه الوهن والضعف وابتعد كثيرا عن لمعانه وبرقيه بعدما كان في أزهى حال، وأنقى صورة، فعكف على استنتاج التجربة العظمية للشعر من جديد، فمعارضات شوقي الكثر من الشعراء في العصور الزاهية للأدب العربي ما هو إلا حنين لتلك الأيام، وشعور بالاغتراب في وقت ندر فيه من ينظم أشعارا ترتقي لهذا الأدب العظيم ،والملاحظ في ديوان شوقي كثرة هذه المعارضات، فقد عارض شوقي البحتري في سينيته المشهورة في وصف ديوان كسرى. وعارض ابن زيدون في نونيته المشهورة ، وعارض كعب بن زهير والبوصيري في قصيدته نهج البردة ومعارضاته المختلفة لأبي نواس، وكذلك تمثله للمتنبي في مواضع كثيرة من القصائد.

كانت معارضات شوقي وإحياؤه للتراث العربي من خلال اشعاره المرتبطة بالحقبة الزاهية للأدب العربي بمثابة دليل على معاناة شوقي من الانحطاط الذي وصل إليه الشعر، بعدما عمت الآفاق وتغنت به الدنيا.
إن بواعث الغربة عند شوقي تنوعت بتنوع الحياة التي عاشها ومع الفترة العمرية التي قضاها، فكل حدث مر بحياته ترك أثرا عليه حيث تنوعت هذه البواعث إلى سياسة واجتماعية ودينية ونفسية وثقافية.

ثانيا: أنـــــواع الغربـــــة

خلط بين مفهومي الغربة والاغتراب كثيرا، فالفصل بينهما أمر صعب، لكن الجامع بينهما أن كلا من الإنسان الغريب والمغترب بمرارة الأسى والحزن العميق في النفس، وفي كلا الأمرين يوجد إحساس بالألم والحرقة التي تحتاج لوقت كبير لكي يبرأ الإنسان من ذلك، وعلى ذلك فالغربة تنقسم الى قسمين في شعر شوقـــــــــي.

*** الغربة الداخلية: (الاغتراب):**

"وهي شعور الإنسان بالانفصال عن مجتمعات، وإحساسه بأنه غريب داخل وطنه، يعرفه، شيخ الإسلام الهروي الأنصاري بأنه:" أمر يشار به إلى الانفراد على الأكفاء"، فالاغتراب يكون بين الناس واغتراب المؤمنين بين المسلمين فالمؤمن الحق مغترب بين المسلمين، لأن الإسلام درجة والإيمان درجة ثم هناك أعلى درجات الاغتراب وأشهرها وحشة وهو اغتراب العلماء بين المؤمنين، فالعلماء أشد الناس غربة المعتزلة غرباء، والخوارج كذلك، وفلاسفة المسلمين غرباء، فقد تعرضوا للسجن والقتل وإحراق كتبهم". [3]

1- مقدمة الشوقيات، ديوان أحمد شوقي، تدقيق محمد فوزي حمزة ،مكتبة الأدباء، القاهرة ، ط2 ،2012، ص512.
2- محمد صبري، الشوقيات المجهولة، دار المسيرة، بيروت ، ط 2،ج 1 ، 1979، ص512.
3- فاطمة صحصح، الغربة والحنين في الشعر الأندلسي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط 1، 1995، ص 33.

فالاغتراب موجود في حياة الأمة الإسلامية، نشعر به في درجات فالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يقول: "بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء".

أما نظرة العالم الغربي للاغتراب فهي مختلفة باختلاف وجهاتهم الفلسفية، فيرى (هيجل): "أن الاغتراب في صميم بنية الحياة الكلية حيث يتجسد في ضياع الإنسان بشخصية الأولى وتحوله لإنسان آخر".

لكن ماركس يرى:" أن الاغتراب يرى في حالات اغتراب الإنسان عن عمله وزملائه بحيث لا يكون الإنسان ذاته ويفقد حريته واستقلاله الذاتي ويصبح ملكا لغيره. أما الاغتراب عند الوجوديين هو البعد عن الوجود العميق للإنسان، فينظرون الى الإنسان أنه حر لا يمكن ان يقيد".[1]

لقد تجسدت الغربة الداخلية عند شوقي في بعض المواقف التي كان يشعر فيها بشدة الشوق إلى تاريخ الأمة الإسلامية، وتأييده للمواقف العظيمة للقادة الأتراك وانتصاراتهم في بعض المعارك، فلعل السبب الرئيس للغربة الداخلية عند شوقي كامن في العامل النفسي المتعلق بأمور الدين وإحياء التراث العريق للأمة الإسلامية والعربية.

انقسمت حياة شوقي إلى قسمين: قسم قبل نفيه إلى إسبانيا، والآخر بعد النفي وعودته إلى أرض الوطن، فكانت تسيطر على القسم الأول حياة مسخرة لمدح السلطة الحاكمة، وانشغال بأمور الدولة من خلال سفره للعديد من المؤثرات خارج الوطن حيث كان مبعوثا من الحكومة المصرية.

لقد تجسد الاغتراب في شعر شوقي بالناحية النفسية وشعوره بنوع من الضيق النفسي لما مر عليه في فترات حياته، حيث ركز شوقي في القسم الأول من حياته على أموره الشخصية وفي القسم الآخر سخرها للأمة الإسلامية والعربية، لذا نجد الاغتراب عند شوقي انطلق من عدة نواح تمثلت في غربة الموت التي تحدث عنه كثيرا في ديوانه، فيقول في موت أمه مجموعة من الأبيات التي تعبر عن شعوره بالغربة حيث يقول:

إِلى اللهِ أَشكو مِن عَوادي النَوى سَهما ... أَصابَ سُوَيداءَ الفُؤادِ وَما أَصـــمى

مِنَ الهاتِكاتِ القَلبَ أَوَّلَ وَهـــــــلَةٍ ... وَما دَخَلَت لَحماً وَلا لامَسَت عَظما

تَـــــوارَدَ وَالناعي فَأَوجَستُ رَنَّـــــــةً ... كَلاماً عَلى سَمعي وَفي كَبِدي كـــلما

فَما هَتَفا حَتّى نَزا الجَنبُ وَانـــــزَوى ... فَيا وَيحَ جَـــنبي كَم يَسيلُ وَكَم يَدمـــى

إِذا طُوِيَت بِالشُهبِ وَالدُهمِ شَـــــقَّةٌ ... طَوى الشُهبَ أَو جابَ الغُدافِيَّةَ الدُهما

وَلَم أَرَ كَالأَحداثِ سَهماً إِذا جَرَت ... وَلا كَاللَيالي رامِياً يُبعِدُ المـــــــــرمى

وَلَم أَرَ حُكماً كَالمَقاديرِ نافِـــــذاً ... وَلا كَلِقاءِ المَوتِ مِن بَينِها حَـــــــتما[2]

إن الأبيات السابقة الذكر تبين مرارة الغربة فهذه الأبيات أنشأها شوقي وهو في منفاه عندما وصل خبر وفاة أمه عام 1918م، فلم يتمالك نفسه من الحزن، ففقدان الأحبة في حد ذاته أمر ثقيل على النفس، وهل أحب على القلب من الأم؟، إن شوقي في هذه الأبيات يشعر بألم الفراق ومرارة البعد عمن يجب وقد وارى الموت أقربهم لقلبه وهو في المنفى.

ينظر شوقي إلى الموت بأنه أمر يجب على الإنسان أن يتعظ منه فهو ينطلق من قول الرسول صلى الله عليه وسلم- :"كفى بالموت واعظا"[3]، ويجسد ذلك صراحة في حديثه عن الموت فيقول:

أرى الموت علـــــــى الغبرا ... هـــــو الجامعـــــــــة الـــــــكبرى

هـــــو الدرب إلـــــى الدنيا ... هـــــو الدرب إ لـــــــــــى الأخرى

فإن لـــــــم يك غير المو ... ت مـــــــن عاقبـــــــــــة

1- المرجع نفسه، ص 33-34.

2- محمد صبري، الشوقيات المجهولة، دار المسيرة، بيروت ، ط 2،ج 1 ، 1979.ص 548-549.

3- المرجع نفسه ، ص 294.

تـــــــدرى
ولامـــــا يمنع الـــــــموت ولا ما يصل
الـــــــــــــــــعمرا [1]

لقد أكثر شوقي في الأبيات السابقة من ذكر الموت، فلم يخل بيت منها من ذكره أو الإشارة إليه وهذا راجع إلى الجانب النفسي في حياة شوقي، المتأثر بما يواجهه من أزمات ومتغيرات تلقي بظلالها على احساسه بالاغتراب.

و يقول في يوم وفاة والده وكان يوم ميلاد ابنته أمينة، حيث يذكر حال الدنيا أنها غير ثابتة وبها العبر والعظات:

يـــــــــــا ليلة سمَّيتها ليلتي — لأنـــــــــــــــها بالناس ما مَرَّتِ
أذكرُها، والموتُ في ذكرها — علـــــــــى سبيلِ البَثِّ و العِبْرَة
ليعلمَ الغافلُ مـــــا أمســـُه ؟ — ما يومُهُ ؟ ما مُنْتَهى العِيشـــة ؟
وتلك في مصر عـلى حالها — وذاك رهـــــــــن الموت والغربةِ
هذا فتى يبكى على مثله — وهـــــــــــــذه فـي أول النشأةِ[2]

الموت هادم اللذات ومفرق الجماعات، هذا الإحساس عندما يخيم على المرء يشعر بأن الدنيا لا مخلد فيها وأننا إلى زوال عبر شوقي عن هذا الإحساس بقوله:

بطلُ الموتِ في الرواية ركنٌ — بُنِيَتْ مـــــــــــــنه هيكلاً وفصولا
كلما راح أَو غـدا الموتُ فيها — سَقط السِّترُ بالدموع بَـــــــليلا
ذكرياتٌ من الأحبة تـــــمحى — بيـــــــــــدٍ للزمان تمحو الطلولا
كلُّ رسمٍ من منزلٍ أو حبيبٍ — سوف يمشي البِلَى عليه مُحيلا[3]

فالموت حق على كل البشرية، فهو نهاية كل إنسان فمهما لها وتمتع بخيرات الدنيا لا بد من أن يدوق طعم الموت، يقول شوقي في ذلك :

والموت حق في البرية قاهرٌ — عـــــــــجبي لحق قام باستبداد
لا جدّ إلا الموت والإنسان في — لعب الـــــــــحياة ولهوها متماد
من ذم من ورد الشبيبة شوكه — حمل المشيب إليه شوك قتاد
حرص الرجال على حياة بعدها — حرص الشحيح على فضول الزاد[4]

نرى إحساس شوقي بألم الفراق والشعور بالوحدة والاغتراب بعد فراق أبيه، وذلك في قصيدته التي رثى فيها أباه فيقول:

لَيتَ شِعري هَل لَنا أَن نَلتَقي — مَـــرَّةً أَم ذا اِفتِراقُ المـــــلَوَين[5]

1- جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي، الفتح الكبير في ضم الزيادة الى الجامع الصغر، تحقيق: يوسف النبهاني، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1423- 2003م، ص 298.
2- محمد صبري، الشوقيات المجهولة، دار المسيرة، بيروت ، ط 2،ج 1 ، 1979. ص 193.
3- المرجع نفسه ، ص 490.
4- المرجع نفسه ، ص 708.
5- المرجع نفسه، ص 708.

ويخاطب أيام الصبا، تلك اللحظات الجميلة في حياته، عندما رأى الشيب يغزو حياته فينشئ الأبيات الآتية:

أقول لأيـــــــــــــــام الصبا أما لكَ يا عهدَ الشباب مُعيد
كلما نأتْ
وكيف نأتْ والأمسُ آخـــرُ عهدِها لأمسُ كباقي الغابرات عهيد
جزعتُ ، فراعتني من الشيبِ بسمة كأَني على دَرْبِ المشيبِ لَبيد
ومن عبث الدنيا وما عبثت سدى شببنا وشبنا والزمانُ وليـــدُ[1]

وعندما دنا أجل شوقي بدأ يشعر بالاغتراب الحقيقي، اغترب المفارق لهذه الدنيا، فأخذ ينصح أبناءه بأن الدنيا فانية، وألا يغروا بها حيث يقول:

كأني بالحمام أصاب ركني فمال وأي ركـــــــــن لا يميل
وأدركني ونجم صباي عال فخر النجم وازدوج الأفـــــول
فلا يغرر كما ولدي بعدي زها الدنيا ومنظرها الجميل[2]

نعم هذا الشعور الذي غزا فكر الشاعر وأحساسيه جعل اللسان ينطق بتلك النصائح الثمينة التي تظهر حكمة شوقي، لأنه بدأ يقطف ثمار تجارية في الحياة، فما هو يستنكر على أهله صمتهم وهدوءهم وهو طريح فراش الموت فيقول في ذلك:

يا وَيحَ أَهلِيَ أَبلى بَينَ أَعيُنِهِم وَيَدرُجُ المَوتُ في جِسمي وَأَعضائي
وَيَنظُرونَ لِجَـــــنبٍ لا هُدوءَ لَهُ عَلى الفِراشِ وَلا يَـــــدرونَ ما دائي[3]

إن شعور شوقي بدنو الأجل في مرضه الأخير أظهر جليا تلك الغربة التي سيطرت عليه في نهاية العصر، فجعل يعبر عن تلك الأحاسيس في قصائد أو ضمن أبيات محددة.

لقد ألقى الجانب النفسي بظلاله على إحساس شوقي بالاغتراب، فطفق يعبر عما سيطر على تفكيره ووجدانه، وعما يجول في صدره من أسى وحزن يذكرها في الأبيات الآتية، فيقول:

الخَدُّ من دمعي ومن فَيْضه يشرب من عين ومن جَـــــــدْول
والشوقُ نارٌ في رَماد الأَسَى والفكرُ يُذكِي، والحشَا يَصطلي
والقلب قَوَّامٌ على أَضْـــلُعي كأَنه الناقـــــــــوسُ في الهيكل[4]

يشعر شوقي بالوحدة، والفراق لمن أحبهم وأن الليالي أبعدتهم عنه، فيتذكر الليالي الجميلة التي عاشها معهم، ويحن لتلك الأيام، فيبكي هذه الليالي التي مرت مرور البرق فينشئ مجموعة من الأبيات:

أَبكي لياليَنا القِصار وصحبة أخذتْ مخيلتها تجيشُ وتبرقُ[5]

ويقول أيضا في تحمله مصائب الدهر:

صبراً على الدهر إن جلت مصائبه إن المصائب مما يوقظ الأَمَمُ[6]

لا يقف شوقي عند هذا الحد في وصفه لحالته النفسية، بل يصل به الأمر إلى التضرع لله تبارك وتعالى بأن يخفف عليه ما يعاني، وأن يعينه على الصبر ويأتي له بالفرج لأن الدنيا ضاقت عليه، حيث يقول في أكثر من موضع داعيا الله عز وجل:

1- المرجع السابق ، ص 244- 245.
2- المرجع نفسه ،ص512.
3- المرجع نفسه، ص 532.
4- المرجع نفسه، ص 532.
5- المرجع السابق، ص 450.
6- المرجع نفسه ، ص 473.

يا ربنا الخطب جليل فكن معينا يا جليل
واعطنا الصبر الجميل يا خير من يولي الجميل
فسق إلينا الفرجا فما عليك مستحيل [1]

تجعل الحالة النفسية للمرء يفكر في أمور كثيرة، تخيم الحيرة على تفكيره وخياله وذلك بسبب الإحساس بالعزلة في مجتمع متقلب، ولا تضبطه السلوكيات، مجتمع متغير من حال إلى حال، فشوقي يعبر عن ذلك في قصيدة له بعنوان (حيران)، يذكر همومه التي منعته النوم، وسيطرت عليه الأحزان ومن هذه القصيدة الأبيات الآتية:

ذاد الكرى عن مقلتيك حمامُ لباه شوقٌ ساهرٌ وغرام
حيرانُ، مشبوبُ المضاجع، ليلُه حربٌ، وليلُ النائمين سلام
بين الدُّجى لكما وعادية الدّجى مهجٌ تُؤلِّفُ بينها الأسقام
تتعاونان وللتعاون أمة لا الدهرُ يخذلها ولا الأيام
يا أيها الطيرُ الكثير سميره هل ريشة لجناحيه فيقام ؟
عانقت أغصاناً وعانقت الجوى وشكوتَ ، والشكوى علىَّ حرام
أمحرمَ الأجفانِ إدناء الكرى يَهْنِيكَ ما حرَّمتْ حين تنام[2]

ويخاطب قلبه في قصيدة أخرى بألاّ يجزع لمتغيرات الدنيا، وأن يصبر على حوادث الدهر فحوادث الدهر مستمرة ما استمرت حياة الإنسان، فيقول:

عَمَدَت إلى قَلبي بِسَهمٍ نافِذٍ فيهِ لِمَحتومِ القَضاءِ سِهامُ
يا قَلبُ لا تَجزَع لِحادِثَةِ الهَوى وَاِصبِر فَما لِلحادِثاتِ دَوامُ
عَرَفَت قُلوبُ الناسِ قَبلَكَ ما الجَوى وَأَذاقَها قَدَرٌ لَهُ أَحكامُ
أَكُنتُ أَعلَمُ وَالحَوادِثُ جَمَّةٌ أَنَّ الحَوادِثَ مُقلَةٌ وَقَوامُ[3]

ويقول أيضا في معرض حديثه عن تغير الأحوال واختلالها:

يا طير مالك لا تهيج لك الجوى نسمات أسحار خطرن رقاق
مات الحمولى والغرام فلا الصَّبا في العالمين صَبًا ولا العشاق[4]

إن الحزن عندما يملا الحياة الإنسان يشعر بألم نفسي عميق، ويؤثر هذا على مجرى حياته فالقلب يدمع والليل يصح طويلا حيث يقول شوقي في ذلك قصيدة مطلعها (القلب يذوب):

قلبٌ يذوب، ومدمعٌ يجري يا ليلُ ، هل خيرٌ عن الفجر
حالت نجومك دون مطلعه لا تبتغي حِوَلاً، ولا

1- ديوان أحمد شوقي الشوقيات ، تدقيق محمد فوزي حمزة ،مكتبة الأدباء، القاهرة ، ط2 ،2012، ص 540.
2- المدونة، ص 597.
3- ديوان أحمد شوقي الشوقيات ، تدقيق محمد فوزي حمزة ،مكتبة الأدباء، القاهرة ، ط2 ،2012 ، ص 575.
4- المدونة، ص 448.

يـــــــسري
وتطاولَتْ جُنْحاً، فخُيِّل لي أَن الصباحَ رهينة الحشر[1]

ويخاطب شوقي الزمان الذي غمرا الحياة الاجتماعية بالمصائب في ذلك العصر في مجموعة من الأبيات مخاطبا فيها الزمان ان يخفف من وطأته على الناس، فمصائبه تنسف الجبال فكيف بالإنسان؟ حيث يقول:

قل للزمان يصبّ من أحداثه أو لا يصب فما بنا إشفاق
غمرت مصائبه فأغرقنا بها والغمر فيه تستوى الأعماق
لا بد من يوم تميد لهوله شم الجبال وتظلم الآفاق
فهناك إما طالت العناق ما طالت وإما زالت الأعناق[2]

يصل شوقي إلى قناعة أن الدهر مختلف وستقلب، وأنه غير ثابت فالزمان يعضك أياما تسعدك وتفرحك وستأتيك أزمان تثقلك بمصائبها، لذلك على المرء أن يتأقلم مع هذا الأمر فهناك أيام جميلة تمر عليه، وأيضا أيام مريرة فعليه أن يكون ابن يومه، وألا يكدر حياته بتغيرات الدهر، فيقول:

وأعلم أن للدهر اختلافا وأن الجدّ ينهض أو يزل
وأن النفس للإنسان كل إذا بقيت عـــليه وزال كل
عرفت سجية الدنيا فدعها تمرّ على سجيتها وتحلو[3]

ويقول شاكيا حزنه وباثا شجونه، وإحساسه بالألم في واقع مرير:

أتشغل قلبي الراح عن بعض ما به وأشغال قلبي لو علمت كثير
ومضطرب لا يهدأ الايك تحـــــــــته له مثل ما بـــــــــــي أنة وزفير
برى البين ظَفريه وأذهب ريشه وهدّ جناحيه فكيف يطير
يكاد يلين الجذع من زفراته ويبس منها الفرع وهو نضير
كلانا غريب في المضاجع ليله طويل وليل العالمين قصير
أقول له والغُدر بيني وبينه ومن مدمعينا جدول وغدير[4]

أما الاغتراب ذو المنشأ السياسي والديني، فيمثل في تأثر شوقي بما يجري حوله ،و أكثر من دلك فيما يخص الشؤون اللإسلامية أنداك .

إن الأسى الذي سيطر على شوقي لما حدث جعله يعبر أصدق تعبير عن الحادثة التي هزت كيان العالمين :العالم العربي و الإسلامي ، فالكل حزين يعتصره الألم على هده المصيبة التي لا عزاء لها.

فسقوط الخلافة أسدل الستار على إحساس شوقي، هذا الإحساس الصادق الذي ما فتئ يستنهض الهمم من أجل إرجاع هذه الخيمة العظيمة التي كانت تظل المسلمين بظلها، وتجمعهم بقيمها فيقول شوقي مجموعة من الأبيات في بعض المؤتمرات التي عقدت لإرجاع الخلافة حيث عقد مؤتمر بالقاهرة وآخر بمكة:

بعثوا الخلافة سيرة فـــــــي النادي أين المبايع بالإمام ينادي
من بات يلتمس الخلافة في الكرى لم يلق غير خلافة الصياد
اليوم لا سمر الرماح بعـــــــدّة تغنى ولا بيض الظبا بعــتاد
هيهات عز سبيلها وتقطـــــعت دون المراد ـــــائل المرتاد
حلت على ذهب المعز طلاسم ومشت على سيف المعز عوادي
أين الكرامة والوقار نبشوا عليها القبر بـــــــــــعد لـــــــــــــــجثة فساد[5]

1- المدونة، ص 575.
2- المدونة، ص 445.
3- المدونة، ص 502.
4- محمد صبري، الشوقيات المجهولة، دار المسيرة، بيروت ، ط 2،ج 1 ، 1979، ص 327.
5- ديوان أحمد شوقي الشوقيات ، تدقيق محمد فوزي حمزة ،مكتبة الأدباء، القاهرة ، ط2 ،2012، ص 267.

إن الملاحظ في الأبيات السابقة يرى كمية الأحزان الكامنة في قلب شوقي بسبب سقوط الخلافة ويرى بكاءه على صرح الخلافة الذي تعرض للهدم بإيعاز من قوى الكفر والعصيان، ورثائه المر لما وصل إليه حال الأمة الإسلامية بعد ضياع الخلافة، فهذا مصاب جلل أحاط بالمسلمين وبوحدتهم، كل ذلك جعل شوقي يستنهض همم الغيورين على الدين بقوله:" أين المبايع بالإمام ينادي"، وفي الأبيات السابقة يذكر المسلمين بعزهم ومجدهم، تلك الأيام التي ساد فيها المسلمون مشارق الأرض ومغاربها، وأصبحوا منارة العلم وملجأ العلماء.

كل ذلك جعل شوقي مرتبطا بالخلافة فمن المسلم به أن الشعور بالاغتراب ملأ وجدان شوقي فكان وقعه عليه كالصخرة العظيمة المنحدرة من علو على صدره. و يقول شوقي في حادثة أخرى عندما سقطت (أدرنة) وهي مدينة استولى عليها البلغار سنة 1912م ثم أعيدت تحت الحكم التركي عام 1923م :

يا أُختَ أندَلُسٍ عَلَيكِ سَـــــــــلامُ هَوَتِ الخِلافَةُ عَنكِ وَالإِسلامُ
نَزَلَ الهِلالُ عَنِ السَماءِ فَلَيتَها طُوِيَت وَعَمَّ العالَمينَ ظَلامُ
جُرحانِ تَمضي الأُمَّتانِ عَلَيهِما هَذا يَسيلُ وَذاكَ لا يَلتـــــــــامُ
بِكُما أُصيبَ المُسلِمونَ وَفيكُما دُفِنَ اليَراعُ وَغُيِّبَ الصَمصامُ[1]

لقد جعل شوقي من نفسه مدافعا عن هموم أمته العربية و الوقوف معها في السراء و الضراء.

إن التغيرات التي أصابت الأمة الاسلامية لم يستطع شوقي السكوت عنها، فأثارها أشعلت في صدره نارا عندما رأى خير أمة أخرجت للناس تبتعد عن الطريق الذي رسمه (عز وجل) فالقوم لم يلتزمون بتعاليم دينهم، فلا إسلام باقي ولا إيمان.

يلاحظ مما سبق أن الغربة الداخلية عند شوقي متمثلة في عدة نواح، عبر عنها ضمن قصائده المتناثرة بين ثنايا ديوانه فشعوره بالاغتراب تركز في ذكره للموت وتعبيره المستمر عن ذلك في رثاء عدد كبير من الشخصيات وأيضا الحالة النفسية عنده ونظرته لما يحدث معه، وكل إنسان يتأثر بواقعه، فوجدنا عددا من الأبيات التي تحمل مضمونا الاغتراب ذي المنشأ النفسي، كما كان للواقع السياسي للعالم الإسلامي والعربي ومتغيرات الدنيا التي لا تثبت على حال أثر شعوره بالوحدة.

***الغربـة الخـارجيـة:**

تختلف العربة الخارجية عن الغربة الداخلية (الاغتراب) فالمرء فيها يشعر بألم الفراق عمن يحبهم من أهل ووطن وأصدقاء فالغربة الخارجية الألم فيها كبير، لأن الإنسان مجبر عليها، فشوقي عندما نفي الى اسبانيا بدأت مرحلة جديدة في حياته، مرحلة قلبت الموازين في كيان هذا الشاعر، فراح يصرح بأقوى الأشعار في شوقه للوطن وحنينه له.

عاش شوقي تجربة الغربة عن الوطن مرات عديدة، وكان ذلك في بداية حياته عندما سافر لطلب العلم في فرنسا، ومنها إلى بريطانيا وزيارته التاريخية للجزائر عندما كان مريضا ورحلاته المتكررة مندوبا عن الحكومة المصرية في المؤتمرات التي عقدت في بلاد أوربا، وكذلك مرافقته أحيانا للخديوي عباس في زيارته للآستنانة في تركيا، لكن تجربة الغربة تلك كانت بمحض إرادته، فغربته محدودة الأجل لذلك لم تنتج قريحته الشعرية أدبا خلال تلك الفترات بين مدى إحساسه بالغربة وشعوره بالألم والمرارة لفراق أهله ووطنه.

لقد ذاق شوقي مرارة الغربة منذ ركوبه البحر متجها إلى منفاه في اسبانيا، ومنذ اللحظة الأولى بدت عليه ملامح الأسى والحزن ،لأنه يعرف أن مقامه سيطول في تلك البلاد، فيقول شوقي في ذلك:

وسلا مصرَ: هل سلا القلبُ عنها أَو أَسا جُرحَه الزمان المؤسّي
كلما مرّت الليالي عليه رقَّ، والعهدُ في الليالي تقسِي
مُستَطارٌ إذا البواخِرُ رنَّتْ أَولَ الليلِ، أَو عَوَتْ بعد جَرْس[2]

1- ديوان أحمد شوقي الشوقيات ، تدقيق محمد فوزي حمزة ،مكتبة الأدباء، القاهرة ، ط2 ،2012، ص 593.
2- محمد صبري، الشوقيات المجهولة، دار المسيرة، بيروت ، ط 2،ج 1 ، 1979، ص 384.

قد سببت الغربة جرحا غائرا في قلب شوقي يزداد كلما طال بعده عن مصر ويزيد من شوقه وحنينه، فالقلب لم ينسها بل إنه يستطار عندما يسمع صوت البواخر قادمة، لعلها تصحبه معها عائدة به إلى الوطن الغالي.

عندما نزل شوقي في اسبانيا - وكان مقامه على إحدى شواطئها اشتعلت بداخله نار الحنين إلى الوطن والشوق له وأخذت الغربة منه كل مأخذ فيخاطب البحر بينما هو سائر على الشاطئ ويرى السفن تغدو وتروح تنقل المسافرين والبضائع، فليس باستطاعته الصعود إلى إحداها لتحمله الى وطنه وكأن الدنيا تعود إلى البحر الذي تتحرك فوقه السفن، فيقول:

يا بْنَةَاليَمِّ ما أبوكِ بَخِيلٌ مَالَهُ مُولَعًا بمَنْع وحَــبْسِ
أَحـرَامٌ على بَلابِلِهِ الدَّوْحُ حـــــــلالٌ للطَّيْرِ مِنْ كُلِّ جِنْسِ
كُلُّ دَارٍ أَحَـقُّ بالأَهْلِ إلا في خبيثٍ مِنَ المَذاهِبِ رِجسِ[1]

إن الحياة التي عاشها شوقي امتازت براحة البال والهدوء والطمأنينة ،لأنه عاش في كنف القصر والسلطة، فكم جلس على النيل وتمتع بجماله الساحر، كل ذلك الخواطر تركت أثرا عميقا في قلب الشاعر يتذكر ذلك وقت الغربة فنشأ عواطفه فينشئ الأبيات الاتية:

هجتنَّ لي لوعة في القلب كامنة والجُرْحُ إنْ تَعْتَرِضْه نَسْمَة يَثُر
ذكرت مصر، ومن أهوى، ومجلسنا على الجزيرة بين الجسر والنَّهَر
واليومُ أَشْيَبُ، والآفاقُ مُذْهَبـــــــة والشمس مصفرة تجري لمنحدر[2]

يكتوي قلبه بنار البعد وألم الغربية فيخاطب الحمام خطاب العاشق المحب للوطن بعدما ضاقت عليه الدنيا، ليصرح بما يجول في صدره فيقول أجمل الأبيات في حب الوطن والتعلق به:

أَبُثّكَ وَجْدي يا حَمامُ، وأَودِعُ فإنك دونَ الطيرِ للسرّ موضعُ
وأنت مُعينُ العاشقين على الهوى تئِنُّ فنُصْغي، أو تحنُّ فنَسْمَع
أراك يَمانِيّاً، ومصرُ خميلتي كلانا غريبٌ، نازحُ الدارِ، مُوجَع
هما اثنان: دانٍ في التغرُّب آمنٌ وناءٍ على قربِ الديار مـــــــروع
ومن عجبٍ، يأسَى إذا قلت: مُتْعَبٌ ويطرَبُ إن قلت: الأسيرُ المُمنَّع[3]

نرى مدى الألم المسيطر على شوقي الأبيات السابقة فالعشق كله لمصر التي غرب عنها وأبعد فوجع الغربة جعل البكاء ينهمر من عينه وصقل ربة الشعر عنده ولتعبر تعبيرا صادقا عما يشعر به

ولعل أصدق تعبير عن العزلة الخارجية في شعر شوقي نجده في القصيدة الرائعة التي اتجاها في منفاه في اسبانيا (أَنْدَلُسِيَّة) هذه القصيدة اشتملت على أبيات عبرت عن الأسى والحزن الكبيرين داخل قلب الشاعر، حيث تسيطر عليه ذكريات الأندلس، ويشبه ما لقيته الأندلس من ضياع واندثار الماضي المسلمين فيها، وما لاقاه من غربة وضياع، فكلاهما سلب منه ما يحب ،فجاء رثاء شوقي نفسه مرا قاسيا في مطلع القصيدة قائلا :

يا نائح الطلح أشباه عوادينا نشجى لواديك أم نأسى لوادينا؟
ماذا تقص علينا غير أن يـدا قصت جناحك جالت فى حواشينا
رمى بنا البين أيكا غير سامرنا أخـا الغريب: وظلا غير نادينا
كلٌّ رمَتْه النَّوى: رِيشَ الفراقُ لنا سَهْماً، وسلّ عليكَ البينُ سِكِّينا
إذا دعا الشوق لم نبرح بمنصدع مـن الجناحين عي لا يلبينـا
فإن يك الجنس يابن الطلح فرقنا إن المصائب يجمعن المصابينـا[4]

1- ديوان أحمد شوقي الشوقيات ، تدقيق محمد فوزي حمزة ،مكتبة الأدباء، القاهرة ، ط2 ،2012 ، ص 384.
2- المدونة، ص 344.
3- محمد صبري، الشوقيات المجهولة، دار المسيرة، بيروت ، ط 2،ج 1 ، 1979، ص 413.
4- ديوان أحمد شوقي الشوقيات ، تدقيق محمد فوزي حمزة ،مكتبة الأدباء، القاهرة ، ط2، 2012 ، ص 680.

فشوقي هنا بدأ بالثناء ليفصح عما بداخله، فالبدء بالنداء يجذب انتباه السامع ليشاركه في المأساة التي يعيشها الشاعر وخاطب النائح، لأنهما يشتركان في المأساة نفسها فكلاهما مبعد ومعذب فالمعاناة التي يعيشها مريرة، فما يزيد الشاعر ألمًا أنه مقيم فوق أرض كانت للمسلمين، وعمروها لثمانية قرون كانت في أزهى الأماكن في بلاد المسلمين وها هو نازح إلى هذا المكان العزيز على قلب كل مسلم فتوجع شوقي لا يوصف فالمأساة عظيمة ،والمصيبة كأنهما مصيبتان وذلك واضح في قوله:

آهــا لنا نازحي إيك بأندلـس وإن حللنا رفيفاً من روابينــا

عاش شوقي من سنوات النفي التي تحمل فيها ألم الغربة ، فأجبر على الصبر و التحمل[1] حيث يذكر صبره على ألم الغربة ويعبر عن النائبات التي حلت عليه بعد الرخاء والهناء في وطنه فيقول:

جئنا الى الصبر ندعوه كعادتنا فى النائبات فلم يأخذ بأيدينــا
وما غلبنا على دمع ولا جلد حتى أتتنا نواكم من صياصينـا
ونابغـى كان الحشر آخـره تميتنـا فيه ذكراكم وتحييننــا[2]

فهمومه كثيرة حتى أن الدمع تحجز في مقلتيه، فينادي على الصبر لكن الصبر لم يسعفه، فالفراق والبعد قد غلبه فلم تستطع عينه على الدمع فأصبح ليله كليل النابغة الذبياني ليل طويل لكثرة همومه، فالنابغة يقول في وصف الليل:

كليني لهمٍ، يا أميمة ناصبِ وليلٍ أقاسيهِ، بطيءِ الكواكبِ
تطاولَ حتى قلتُ ليسَ بمنقضٍ وليسَ الذي يرعى النجومَ بآيبِ[3]

من أصعب لحظات الغربة عندما تفقد شخصا عزيزا عليك وقد طواه الموت ،وأنت لا تستطيع أن تودعه بسبب نفيك خارج وطنك، هذا ما حصل مع شوقي عندما فقد والدته وهو في المنفي، فلم يستطع أن يودعها، الأمر الذي ترك مزيدا من الأسى بقلبه، وزاد من شعوره بالغربة، فيبكي أمه في قصيدة جسدت الآلام الغائرة في قلبه، يشكو فيها إلى الله الغربة التي أبعدته عن أعز من في الوجود فيقول:

إِلى اللهِ أَشكو مِن عَوادي النَوى سَهما أَصابَ سُوَيداءَ الفُؤادِ وَما أَصمى
مِنَ الهاتِكاتِ القَلبَ أَوَّلَ وَهلَةٍ وَما دَخَلَت لَحماً وَلا لامَسَت عَظما[4]

تعرف الاندلس بجمالها وسحر طبيعتها ومناظرها الخلابة التي قلما تجد في الكون مثيلا، ولكن شوقي لا يذوق لذلك طعما، فمن نشأ بمصر وابتعد عنها عنوة لا يمكن أن ينسي أجواءها وحياتها الرغيدة ،فكل الجنان لا تساوي هذا الوطن، يبين شوقي في القصيدة نفسها التي بكى فيها أمه حيث يقول:

نَزَلتُ رُبى الدُنيا وَجَنّاتِ عَدنِها فَما وَجَدَت نَفسي لِأَنهارِها طَعما[5]

بلغ إحساس شوقي بالغربة مبلغا عظيما، فما هو يعاهد أهل مصر أنه باق على العهد والتمسك بالوطن، فالوطن مغروس في سويداء قلبه، لا يستغني عنه رغم كل محاولات العدو لطمس تاريخه وتهجير أبنائه، فيرسل شوقي برسالة لداود بركات رئيس تحرير جريدة الأهرام تحمل في طياتها حنينا للوطن وتعبيرا عن آلام الغربة، فيتمنى أن يشرب من النيل ويروي عطشه ويبل شوقه لوطنه فالماء لا طعم له بدون النيل، ثم يتألم في آخر الرسالة بأن النيل أصبح بعيدا كل البعد عن أمنياته حيث يقول:

يا ساكني مِصرَ إنّا لا نَزالُ على عَهْدِ الوَفاءِ وإنْ غِبْنا مُقِيمِينَا
هَلاّ بَعَثْتُمْ لنا من ماءِ نَهرِكُمُ شيئاً نَبُلُّ به أَحْشاءَ صادِينَا
كلُّ المَناهِلِ بَعدَ النِّيلِ آسِنَة ما أَبْعَدَ النِّيلَ إلاّ عَنْ أَمانِينَا[6]

1- محمد صبري، الشوقيات المجهولة، دار المسيرة، بيروت ، ط 2،ج 1 ، 1979، ص 681.
2- المرجع نفسه ، ص 680.
3- ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط3 ،1996، ص 29.
4- محمد صبري، الشوقيات المجهولة، دار المسيرة، بيروت ، ط 2،ج 1 ، 1979، ص 548.
5- مقدمة الشوقيات، ديوان أحمد شوقي، تدقيق محمد فوزي حمزة ،مكتبة الأدباء، القاهرة ، ط2 ،2012، ص 550.
6- المدونة ، ص 688.

تترك هذه الأبيات جروحا في قلب إبراهيم (شاعر النيل) الصديق المقرب لأحمد شوقي، فينشئ مجموعة من الأبيات يبين مدى شوق مصر ونيلها لشوقي، ويصفه بالبلبل المغرد الذي يطرب النيل وأهله، فشوقي في القلب مهما فرقت بينهما المسافات، وتحكم به المحتل الغاشم، إن حافظ إبراهيم في هذه الأبيات يخفف من آلام شوقي، ويشعره بأنه في قلوب المصريين، وأن مصر لن تنساه، وأنهم على العهد باقون قائلا :

عجبتُ للنيل يدري أن بُلبُله صادٍ ويسقي رُبَا مصر ويسقينا
والله ما طاب للأصحاب مَوْردَه ولا ارتضوا من بعدكم من عيشهم لينا
لم تنأ عنه وان فارقت شاطئه وقد نأينا وان كنا مقيمينا[1]

إن أبيات شوقي المرسلة ورد حافظ عليها تبين مدى قوة العلاقة بين هذين الشاعرين الكبيرين، فكلاهما يقاسي من ظلم المحتل وبطشه بمصر وأهلها لكن ألم الغربة المسيطر على شوقي يختلف عمن يقيم بداخله، فنار الغربة يصعب السيطرة عليها، لأن وقودها موجودة أثاره باقية أمام ناظري الشاعر، فهذه الجراح لا يمكن أن تبرأ بسهولة، وما هذه الأبيات إلا نتاج طبيعي لما يقاسيه الشاعر في غربته .

عاد شوقي من منفاه بعد خمس سنوات عانى فيها من ألم الغربة والحنين للوطن، أنشأ الكثير من القصائد التي حملت بداخلها همومه وأحزانه، فغلب عليها طابع الحالة النفسية لما قاساه هناك كان المضمون لهذه القصائد واحدا لأنه خرج من معاناة واحدة، فكانت العودة للوطن بمثابة عودة الروح للجسد.

أكمل شوقي بقية حياته في وطنه، لكن الشعور بالغربة لم يفارق نفسه وشعوره، لأن الفترة التي قضاها في الأندلس عاصرت أحداثا جساما مرت بها مصر، فكان ينتهز ذكرى هذه الأحداث ليطلق لقلمه العنان في التعبير عما يكن من أحاسيس تجاه الوطن، ففي قصيدة الحرية الحمراء التي أنشأها في احتفالات يوم 13 نوفمبر لسنة 1927م في المهرجان السنوي الذكرى ثورة 1919م بعث برسالة تجاه هذه الذكرى التي حرم من معايشتها حيث كان في منفاه فيقول:

يومُ البطولة لو شهدْتُ نهارَه لنظمْتُ للأجيالِ ما لم يُنْظَم
غُبِنَتْ حقيقتُه، وفات جمالُها باعَ الخيالِ العبقريَّ الملهَم
لجمعتُ ألوان الحوادثِ صورةً مَثَّلتُ فيها صورةَ المُسْتسلِم
وحكيتُ فيها النيلَ كاظمَ غيظِه وحكيتُه مُتغيِّظًا لم يَكْظِم[2]

هذه المرحلة التي طبعت مظاهر الأسي والحزن على حياة شوقي يراقب من بعيد ما يجري في وطنه ويتمنى أن يشارك هذا الوطن مقاومة المحتل لكن العدو أبعده عن مراجع طفولته، وأزهى بقعة في المعمورة بالنسبة للشاعر، فيذكر في تلك الأبيات هذه المرحلة التي منعته من التعبير عما يعانيه الوطن.

لقد اختار شوقي إسبانيا منفى له ،هذا البلد الجميل الذي يحمل عبقا من تاريخ أمتنا الاسلامية في عصرها الذهبي، لكن ألم الغربة أفسد عليه التمتع بجمال هذه المناظر الرائعة، فشوقي لم ينس أن يقدم الشكر للأندلس عندما سمح له بالعودة إلى الوطن فأخذ يودع الأندلس بمجموعة من الأبيات التي تحمل الوفاء والعرفان حيث يقول:

وداعا ارض أندلس وهذا ثنائي إن رضيت به ثوابا
وما أثنيت إلا بعد علم وكم من جاهل أثنى فعابا
تخذك موئلا فحللت اندى ذرا من وائل وأعز غابا
مغرب أدم من دار عدن قضاها في حماك لي اغترابا [3]

تلك أبيات ترسم صورة من حياة شوق التي جسدت الغربة أبعادها، فشوقي متيم بالأندلس وبجمالها، لكن إحساسه بالغربة وأنه مكره على البقاء ترك في نفسه غمة من علقم منعته من التلذذ بهذا الجمال، فلقد أبدى شوقي الثناء والشكر والعرفان لبلاد الأندلس التي ضمته في أحضانها خمس سنوات من غربته عن وطنه.

بعد سبع سنوات من انتهاء مأساة شوقي نجد بقايا آلامه التي تركتها الغربة غائرة في صدره، فنسيان تلك المرحلة محال، فقول: "والنفي حال من عذاب جهنم" ما هم إلا تفريغ لانفعالاته القديمة التي حرمته من وطنه خمس سنوات، يبين من خلال تلك الأبيات أنه كان يتمني مشاركة وطنه تلك الأحداث، ليرسم بكلماته هذه

1- ديوان أحمد شوقي الشوقيات،تدقيق محمد فوزي،مكتبة الآداب ،القاهرة، ط2 ،2012، ص 688.
2- المدونة، ص 604-605.
3- ديوان أحمد شوقي الشوقيات،تدقيق محمد فوزي،مكتبة الآداب ،القاهرة، ط2 ،2012، ص 105.

الحوادث التي لا تنسى من تاريخ بلده، فهذه القصيدة جزء من قصائد قالها شوقي بعد غربته حيث عبر عن الغربة بأبيات متناثرة في عدد من قصائده، ففي مقتل أحد عشر طالبا مصريا من طلاب بعثة للعلم في أوروبا عام 1920م سقطوا بسبب اصطدام للقطار هناك، استقبلت البلاد جثمانهم استقبالا حافلا شاركت فيه جميع أطياف الشعب المصري، حيث يقول ضمن هذه القصيدة أبيات عن الغربة وأحوالها:

ألا في سبيل الله ذاك الدم الغالي والمجد ما أبقى من المثل العالي
وبعض المنايا همة مـــــــــن حياة لأقوام ودنيا ورائها
الأجـــــــــــــــــــــيال
أعيني جودا بالدموع علـــــــى دم كريم المصفي من شباب وأمال
تناهت به الأحداث من غربة النوى إلى حادث من غربة الدهر قتال [1]

إن الغربة أخرجت الأحاسيس الكامنة داخل شوقي، فالشعر يزدهر في الأحزان والالام، والنفي الذي تعرض له شوقي جعل ربة الشعر تشتغل داخل هذا الشاعر الكبير، فأصبح شوقي بعد غربته يتأثر بكل إنسان مغترب قد داق من الغربة ألوانا، حيث يقول في تكريم للموسيقار سامي الشوا: (البسيط)

ذكّرت خلقا وراء البحر مغتربا مآلفا وصباباتٍ وأوطانا[2]

لقد عاش شوقي نوعين من الغربة، كانت الغربة تلك واضحة جلية، حيث عاشها في المنفى لمدة خمس سنوات امتلأت بتعابير وأحاسيس صادقة ومختلطة بالحرقة والألم، وظهرت ضمن مجموعة قصائد أنشأها في الأندلس المسماة بالأندلسيات، حيث اشتملت على خليط من مشاعر الغربة والحنين للوطن، وذكر لماضي الأندلس إبان الحكم الإسلامي فيها، فجاءت أبياتها معبرة عن إحساسه بالغربة في المنفى، ورفضه الواقع المرير الذي يعيشه، وبعض الأبيات التي قالها بعد عودته للوطن والتي اشتملت على معاني الغربة، أما الغربة الثانية التي وجدت ضمن حياة شوقي ولم ترتبط بمكان معين فهو شعوره بالاغتراب أحيانا، وظهر ذلك في بعض قصائده حيث اختلط هذا الإحساس بأحاسيس أخرى في مجمل حياته، وكان شعوره بالاغتراب كامنا في حالات نفسية سيطرت على الشاعر، وذكره الموت ودنو الأجل، وحديثه عن واقع الأمة الإسلامية قبل سقوط الخلافة وبعدها.

1- محمد صبري، الشوقيات المجهولة، دار المسيرة، بيروت ، ط 2،ج 1 ، 1979، ص 524.
2- المرجع السابق، ص 696.

المبحث الثالث: أنواع الحنين و تجلياته في شعر أحمد شوقي

إن الحنين هو شوق عارم وانفعال شديد لتلك الأحاسيس الداخلية للإنسان تثيرها مجموعة من العوامل، فتدفع ربة الشعر لقول أصدق الأقوال والألفاظ وأعذبها تعبير لما هو موجود داخل نفس الشاعر هذا الحنين الذي ظهر جليا في شوقي في مراحل عدة من حياته ولعل أبرز تلك المراحل هي غربته عن وطنه.

تعددت أغراض الحنين عند شوقي وتنوعت، وبعضها أخذ نصيب الأسد من هذا الغرض فكانت النسبة متفاوتة بينا تلك الأنواع ،فالحنين إلى الوطن خيم على أشعار المنفى التي أنشأها وهو في منفاه حيث اتسمت هذه الاشعار بطابع الشوق الجارف والحنين الملتهب للوطن العزيز على قلب الشاعر، فالحديث يطول عن هذا الغرض حيث جاء على عدة أنواع كالآتي:

أولا: الحنين الى الوطن

يرتبط لفظ الحنين للوهلة الأولى للوطن، وذلك للعلاقة الوطيدة بين الإنسان ووطنه، فتعلق المرء بالوطن أمر فطر عليه البشر بل كل الكائنات فالطيور مثلا تهاجر وترجع الى وطنها الأصلي، وباقي الكائنات الحية، " ومنذ القديم ارتبط الشوق والحنين بالوطن فصار الحنين إلى الأوطان شائعا في كل العصور سواء للوطن والقبيلة والحي والأمة الكبيرة، وسواء أكان مسقط رأس أم لم يكن فالحنين إلى الأوطان انتماء وولاء وحب وحنين "[1]

بدت مظاهر هذا الغرض عند شوقي وانجلت معالمها بعد نفيه عن وطنه الى آخر يوم في حياة هذا الشاعر الكبير ،عاش شوقي بداية حياته حياة هادئة مطمئنة تتمتع فيها بخيرات وطنه، وأخذ يسافر لعدد كبير من البلاد العربية والغربية، كانت هذه المرحلة قبل نفيه عن وطنه واتخاذه لإسبانيا مكانا للنفي، في تلك الفترة لم يجرب شوقي البعد الحقيقي عن الوطن، فكان الحنين للوطن أمرا طبيعيا عند مثله كمثل أي إنسان يعيش على ثرى وطنه ،هذا الأمر جعل من شعره في الحنين للوطن يقتصر على مناسبات تحدث فيها عن الوطن وجماله وسحره الخلاب الذي يسلب النفس .

لقد برز الحنين إلى الوطن في شعر شوقي بروزا ظاهرا جليا خلال فترة النفي، خمس سنوات قضاها امتلأت حياته فيها حنينا وشوقا ولوعة للوطن، هذا الحنين من الدهر غذى ربة الشعر عند شوقي و أنبتها نباتا حسنا فأخذ شوقي يصدح بأعذب الأشعار في حنينه للوطن معبرا عن آلام البعد عن وطنه، فحنين شوقي إلى وطنه انقسم الى قسمين: قسم إبان نفيه إلى الأندلس، وكان هذا القسم أقوى وعاطفته أشد، وقسم آخر قاله بعد عودته من المنفى وعبر عن صدق المشاعر تجاه وطنه بعدما ذاق ويلات الغربة والبعد عن الوطن.

تجلى الحنين إلى الوطن في قصائد عديدة، أكثرها وضوحا ما قاله في المنفى من قصائد عرفت بالأندلسيات، فالشاعر لم ينس بلاده، ومتعلق بها تعلق شديدا، حيث يقول في ألم البعد عن الوطن وشدة الشوق له:

وسلا مصرَ هل سلا القلبُ عنها ... أو أسا جُرحَه الزمان المؤسّي

كلما مرّت الليالي عليه ... رقَّ، والعهدُ في الليالي تقسّي

مُستَطارٌ إذا البواخِرُ رنَّتْ ... أولَ الليلِ، أو عَوَتْ بعد جَرْس

راهبٌ في الضلوع للسفنِ فَطْن ... كلما ثُرْنَ شاعَهن بنَقس[2]

لقد عانى شوقي من الغربة وامتلك الحنين لوطنه كل خياله، فطفق ينشئ تلك الأشعار لكي يصبر نفسه، لكن هيهات هيهات فالجرح غائر، والعدو ظالم، فشوقي يتخيل أن له صاحبين يخاطبهما ويطلب منها أن يسألا وطنه سؤالا غرضه النفي المطلق هل نسيها قلبه العاشق المحب ،أو استطاع الزمان المداوي أن يعالج جروحه، فجواب شوقي النفي المطلق ومن المعروف أن طول فترة البعد عن الوطن يمكن أن تنسي الإنسان بعض الذكريات في وطنه لكن شوقي كسر هذه القاعدة فما زادته طول الليالي إلا شوقا وحنينا وتعلقا بالوطن، فمصر

1- د. يجي الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي، دار مجدلاوي،عمان، ط 12، 2008، ص10 .
2- ديوان أحمد شوقي الشوقيات ،تدقيق محمد فوزي،مكتبة الآداب ،القاهرة، ط2 ،2012 ،ص 384.

محفورة في قلبه لا يستطيع نسيانها أو أن يتخيل الحياة بدونها لقد عاش شوقي بجانب شاطئ البحر وكانت إقامته بجانب إحدى الموانئ في إسبانيا فكان كلما سمع صوت البواخر تجدد أمل العودة عنده إلى مصر، فقلبه يخفق عندما يسمع تلك البواخر لعلها تصحبه معها الى مصر لكن يصاب بحسرة شديدة عندما تذهب من غير أن تأخذه معها فيشبهها بالذئب المخادع الذي حمل له الفزع وقطع الأمل في العودة إلى وطنه، ولقد تحول قلب شوقي الى راهب متعبد باق عهده لمصر بالحب والشوق يتابع حركات السفن فهي السبيل الوحيد لإرجاعه الى وطنه.

لم ينته حنين الشاعر بل أخذ يخاطب السفن لعلها ترأف بحاله وتعطف عليه فيقول:

يا بْنَةَ اليَمِّ ما أبوكِ بَخِـيلٌ مَالَهُ مُولَعًا بمَنْع وحَـبْسِ
أحـرَامٌ على بَلابِلِهِ الدَّوْحُ حلالٌ للطّيْرِ مِنْ كُلِّ جِـنْسِ
كُلُّ دَارٍ أَحَـقُّ بالأَهْلِ إلا في خبيثٍ مِنَ المَذاهِبِ رِجْسِ
نَفَسِي مِرْجَلٌ وقَلْبِي شِـرَاعٌ بهما في الدُّموع سِيري وأَرْسِي
وَاجْعَلِي وَجْهَكِ الفَنَارَ ومَجْراَ ك يَدَ الثَّغْرِ بينَ رَمْلٍ وَ مَكْسِ[1]

إن حنين المغترب إحساس لا يوصف يدفع صاحبه إلى مخاطبته الجمادات ليواسي نفسه، فشوقي هنا يخاطب السفينة ويذكرها ان أباها البحر كريم مع جميع الناس فلماذا يبخل عليه ويجعله حبيسا في أرض المنفي؟ لكن شوقي يحدد أصل هذه المعاناة ألا وهو الاستعمار الظالم الذي يسلب خيرات الوطن ويستبيح كل شيء، ويمنع أصحاب الأرض تلك الخيرات بل ويطردهم عنها ، فشعور شوقي بالضلم جعله يؤصل لحكمة مفادها أن أصحاب الأرض لهم الحق الكامل بأرضهم وخيراتها، وكل وطن أحق بأبنائه، ولا ينكر هذا إلا من تنكر للإنسانية واتبع المذاهب النجسة، فشوقي عندما عرف الحقيقة المرة بأنه لن يعود إلى وطنه بهذه السهولة اكتفى بإرسال التحيات مع السفن بحيث يجعل من أشواقه وقودا ومن دموعه بحرا تسير فيه وترسي تلك السفن على شواطئ مصر حاملة الأشواق والتحيات من شاعر تعلق بمصر وشواطئها.

إن جمال الطبيعة في الأندلس خلاب يسلب العقول والنفوس، هذه الأجواء عايشها شوقي في تلك البلاد لكن هم الغربة والشوق الجارف والحنين اللامتناهي لوطنه حرمه من تلك الأجواء حيث يقول:

وَطَني لَو شُغِلتُ بِالخُلدِ عَنهُ نازَعَتني إِلَيهِ في الخُلدِ نَفسي
وَهَفا بِالفُؤادِ في سَلسَبيلٍ ظَمَأً لِلسَوادِ مِن عَينِ شَمسِ
شَهِدَ اللَهُ لَم يَغِب عَن جُفوني شَخصُهُ ساعَةً وَلَم يَخلُ حِسّي[2]

يظهر من تلك الأبيات عظيم الشوق والحنين الذي ملك كيان الشاعر ووجوده، فقد بالغ شوقي مبالغة كبيرة في حبه للوطن حيث النفس المتعلقة بالوطن التي لا نرضى به بديلا، حتى لوكان في جنات الخلد لتمنى العودة للوطن، وهذا من الخيال لكنه يبين مدى شوق الشاعر وحنينه لوطنه، فشوقي استخدم حرف الشرط لو وهو حرف امتناع لامتناع ، ثم رسم لنا شوقي تلك الصورة الرائعة في مدى حنينه للوطن ، ففؤاده ظَمْآن لمناطق عدة في مصر، وقلبه مشتاق ليروي العطش الشديد لمصر وأهلها وضواحيها لا سيما (عين شمس) التي قضي فيها فترة من ريعان شبابه ثم يشهد الله (عز وجل) على ما في قلبه من حنين الى مصر، فمصر لم تغب عن إحساس شوقي وبصره.

إن الحياة التي قضاها أحمد شوقي في منفاه لم تنسه مصر و أهلها، بل زاد الحنين من تعلقه بوطنه مما جعله يرسم أجمل أبيات الشوق والحنين إلى الوطن، فيجلس مع نفسه ويذكر هذا البلد العظيم، يتذكر لياليه وحياته بين ربوع مصر وخيراتها فينشئ قائلا في قصيدة ملئت شوقا وحنينا:

لكنّ مصرَ وإن أَغضتْ على مِقَةٍ عَيْنٌ من الخُلْدِ بالكافور تَسقينا
على جوانبِها رَفَّتْ تَمَائِمُنَا وحولَ حافاتِها قامتْ رَواقينا
مـــــــــــلاعِبٌ مَرِحَتْ فيها وأَربُعٌ أَنِسَتْ فيها أَمانينا مَآرِبُنا
ومَـــــــــــطْلَعٌ لِسُعودٍ من أَوَاخِرنا ومَغْرِبٌ لجُدُودٍ من أَوَالينا
بِنَّا، فلم نَـــــــــخْلُ من رَوْحٍ من بَرِّ مصرَ، وَرَيْحَانٍ يُغادِينا

1- المدونة، ص 384.
2- ديوان أحمد شوقي الشوقيات ، تدقيق محمد فوزي حمزة ،مكتبة الأدباء، القاهرة ، ط2 ،2012، ص 384.

يُراوِحُنـا
كـأمِّ موسَـى، عـــــلى اسمِ اللـه تكْفُلنا وباسـمهِ ذهبـتْ فـي اليَـمِّ تُلقِينـا
ومصـرُ كـالكَرْمِ ذي الإحسـان: فاكهةٌ لحـــاضِرينَ، وأكـوابٌ لبَادينـا[1]

لقد جاءت تلك الأبيات بعيد حديث شوقي عن الأندلس ورثائها، فيستدرك قوله بأن مصر تلك الأم الحنون هي جنة الله في أرضه ، هذا الشعور الممزوج بالحنين والشوق لمصر أباح عن مفارقات كثيرة في وصف مصر بأوصاف تعجز الكلمات عن توضحيها ، إن نظرة شوقي لمصر مليئة بالعرفان للوطن الأم، فإن تقطعت السبل به فأمه الحنون (مصر) تسقيه من أعذب العيون، ثم يكمل شوقي تلك الصورة التي تجسد الحنين لمصر بذكر خيراتها وتذكر ماضيه الجميل بها ، يصرح شوقي بما يجول في صدره بأن الفراق لم ينسه تلك الليالي فرائحة مصر الزكية تملأ انفه وفكره، وريحانها مازال يجدد له الأمل في عودته الحتمية لمرابع طفولته وصباه، يشبه شوقي مصر بأم موسى (عليه السلام) عندما ألقت ابنها موسى (عليه الصلاة والسلام) في اليم لا تريد الهلاك له بل أن هذه الطريقة الوحيدة لنجاته وكذلك مصر حنونة على أبنائها تكفلهم اسم الله وتدعو لهم بالسلام والأمان، فهي كريمة معهم، تعطي ولا تنتظر والواجب على أبنائها أن يردوا هذا الإحسان وذلك ما يذكره شوقي في مواطن أخرى لرد الجميل لوطنهم الأم مصر.

لقد نبت الحزن وتغلغل داخل شوقي في منفاه ليخفف من الضغط النفسي الرهيب الواقع إلى إحساس شوقي ووجدانه حيث يقول:

يـا سـاريَ الـبرقِ يَرمِي عن جوانِحنا بعدَ الهـدوءِ، ويهمِـي عـن مآقينـا
لمـا تَرقـرق فـي دمـع السماءِ دمًا هـاج البك، فخَضبْنَـا الأرضَ باكينـا
الليـلُ يشــهد لـم نهتِـك دَيَاجِيَـهُ عـلى نيـامٍ، ولـم نهتِـف بسـالينا
والنَّجـمُ لـم يَرَنـا إلاّ عـلى قـدمٍ قيـامَ ليـل الهـوى، للعهـد راعِينـا[2]

يدعو شوقي البرق ليشاركه تلك الأحزان، فالحنين أخذ منه كل مأخذ ، بل أن قلب شوقي يخفق كما يخفق البرق لذلك يطلب شوقي من البرق أن يساعده في التحقيق مما أثقل جوانحه وأن ينوب عنه بالبكاء ، فدمع الشاعر يكاد يجف من شدة المصيبة وهولها، عمد شوقي إلى عناصر الطبيعة لتشاركه أحزانه مرة أخرى، فها هي السماء تبكي لمأساة الشاعر فيختلط دمع السماء ودمع الشاعر الذي سال دما مخضبين الأرض التي اكتست بلون أحمر.

انتقل الشاعر شوقي بعد وصف شدة حنينه الوطن وذكر مآسيه ومشاركة الطبيعة له، ليدل على العلاقة بين عناصر الطبيعة وتاريخ مصر العريق، فالليل يشهد على أن أجدادهم لم يغدروا أحدا بل كانوا مثالا للفارس الحق وللشجاعة فلا يستغلون الليل لغفلة الناس فهم شجعان يتحلون بصفات العزة والوفاء، فشوقي يفتخروا بأجداده المسلمين بوفائه للعهود ليدل على أنه مثلهم، فهو باق على عهده مع أحبابه ومع أم الأحباب كلهم مصر العزيزة على قلبه، فمصر أرض الأبوة والميلاد وفيها قضي الشاعر أجمل لحظات حياته، يصف ذلك في أبيات تحمل بداخلها الشوق الجارف لمصر قائلا:

أرضُ الأبُــوةِ والميــلادِ طيَّبهــا مَـرُّ الصِّبا في ذيول من تصابِينا
كــانت مُحَجَّلــةً فيهــا مواقِفُنــا غُـرًّا مُسَلْسَلَةَ المَـــــــجْرى قوافينا
لـو استطعنا لخُضْنَـا الجـوَّ صاعِقةً والـبرَّ نـارَ وَغًى، والبحرَ غِسْلينا
سَـعْيًا إلـى مصـرَ نقضِي حقَّ ذاكرنا فيهــا إذا نَسِـيَ الوافي، وباكِينا
كَـنْزٌ (بحُلوان) عنـدَ اللـهِ نطلبُـهُ خـيرَ الـودائِع مـن خير المؤدِّينا
لـو غـاب كلُّ عزيـزٍ عنـه غَيْبَتَنا لـم يَأتِـه الشوقُ إلاّ مـن نواحينا
إذا حمَلْنـا لمصـرٍ أو لـه شَـجَنا لم نـدْرِ: أيُّ هوى الأمَّيْن شاجِين؟[3]

إن ذكر شوقي المتكرر لوطنه لهو خير دليل على شدة الحاجة التي ألمت به فإحساس شوقي المرهف وحنينه لوطنه جسد هذا الشعر المليء بالإحساس والعاطفة الفياضة، يذكر أيام صباه وفترة شبابه المليئة بالذكريات الغالية عليه ، لكنه يتذكر أن مصر محتلة والعدو استباح خيرانها فهو مستعد لمواجهته بشتى السبل

1- المدونة، ص 681.
2- ديوان أحمد شوقي الشوقيات ، تدقيق محمد فوزي حمزة ،مكتبة الأدباء، القاهرة ، ط2 ،2012، ص 671.
3- ديوان أحمد شوقي الشوقيات،تدقيق محمد فوزي،مكتبة الآداب ،القاهرة، ط2 ،2012، ص 671.

ويعلن الحرب عليه نارا تلتهم أركان هذا المحتل الظالم الذي سلب العباد والبلاد حريتهم كل ذلك من أجل مصر التي تحمل الذكري، فهي في قلبه حتى لو نسي كل واف وباك، يعتصر قلب الشاعر ألما وقهرا فالفرق لم يكن لمصر وحدها، فهناك أمه التي ربته وأنشأته خير نشأة، فهوى الأمين ملأ قلبه الأم مصر أمه البيولوجية حيث نسب الشوق والحنين لنفسه فهو الذي غاب عن الوطن مكرها مبعدا منفيا.

إن الحسرة التي ألمت بشوقي عززت فيه حبه لوطنه ، فقد جسد بشعره أنموذجا يحتذى في التعلق بالوطن وعدم التفريط فيه، وعلى الرغم ان شوقي نفي الى اجمل الأماكن (اسبانيا) ذات الطبيعة الخلابة إلا أن حنيته منعه من التمتع بتلك الخيرات والتلذذ بالجمال الساحر للطبقية هناك، حيث يقول :

نزلْتُ رُبَى الدنيا، وجَنّاتِ عَدْنِها فما وَجَدَتْ نفسي لأنهارها طعما
أَرِيحُ أَرِيجَ المِسْكِ في عَرَصاتِها وإن لم أَرِحْ مَرْوانَ فيها ولا لَخْما
إذا ضحكتْ زهواً إليَّ سماوها بكيتُ النَّدى في الأرض والبأسِ والحزما
أطيفُ برسمٍ أو ألمُّ بدمنة أخال القصور الزُّهر والغُرَفَ الشُّما[1]

لقد زار شوقي اماكن كثيرة تميزت تلك المناطق بالمناظر الخلابة والطبيعة الساخرة حيث الجنان والأنهار، لكنه لم يتمتع لها وكيف يشعر بالمتعة والوطن يرزع تحت يتر المحتل الذي أبعدته عنه ؟ تلك حالة من التناقص اذن حلت بشوقي، يتحول في أجمل مناطق العالم فلا يطعم هذا الجمال فالألم المان في تلك المنطقة حيث الغربة عن الوطن والتاريخ العريق للمسلمين في الاندلس هذا الملك الضائع التي يحمل عبقات من المسك والطيب، يحمل عبقات من المسك والطيب، يحمل رائحة المسلمين في كل مكان في تلك المناطق فالأجواء جميلة ممتعة تسعد أي نفس، لكن الام شوقي لا يمكن معالجتها بهذه السهولة ولعل خبر موت أمه الذي وصله الذي وصله وهو في المنفى نزل عليه كالصادقة، حيث فقد احدى الأمين اللتين تشكلان خارطة الطريق نحو المستقبل فها هو يعبر عن ذلك قائلا:

فما برحَتْ من خاطري مصرُ ساعةً ولا أنتِ في ذي الدارِ زايَلْتِ لي هَمّا
إذا جَنَّنِي الليلُ كهْتَزَزْتُ إليكما فجنحا إلى سعدى ، وجنحا إلى سلمى
وحَنَّتْ نواقيسٌ، ورَنّتْ مآذنٌ ورَقّتْ وجوهُ الأَرضِ تَستقبلُ السلمى
أتى الدهرُ من دونِ الهناءِ، ولم يزلْ ولوعاً ببنيانِ الرجاءِ إذا تمّا![2]

فمصر لم تفارق خياله ووجدانه وكذلك أمه الغالية عليه، وكلما حلّ الليل وأرخى سدوله الحنين معه والاشتياق لكل شبر من مصر وأهلها أن الحنين الذي يفوح من جميع أجزاء ذاكرة شوقي يجعل منه نبراسا ينير له الطريق المظلمة في غربته فكل شيء يحن لمصر ويتمنى العودة القريبة ليعم الهناء والفرح والسعادة، وتنعم بسحر الوطن الغالي، إن الهجرة التي فرضت على شوقي غيرت من إحساس شوقي تجاه وطنه فإحساس شوقي بمكانة قبل النفي لم تكن كبعده، وذلك واضح في أشعاره فالوطن ذلك المفهوم الغامض الذي لا يمكنه أن تشعر بقيمة الا عندما بسبب منك وهذا ما يذكره شوقي حيث يقول في حنينه للوطن وفرحة عند الآيات اليه:

يا من هجرت إلى الأوطان رؤيتها فرُحْتُ أشوقَ مُشتاقٍ لأوطان
أتذكرين حنيني في الزمان لها وسَكْبِيَ الدّمعَ من تذْكارها قاني[3]

فالشوق الكبير للوطن ابان نفيه، والحياة البائسة التي قضاها بعيدا على وطنه والدمع المسكوب على فراق الوطن والأحبة الذي تحول للون الدم من شدة الألم والتوجع لدليل لكل انسان على أهمية الوطن، فيتذكر حنينه في بلاد الغربة بعدما إلى وطنه تلك فترة من عمره اصلبت الوطنية العظيمة في قاموس شوقي، بحيث أضحى شوقي رمزا للوطنية في ذلك العصر، واعتبر من شعراء الوطنية الأوائل الذين ضحوا من أجل مصر، وعبروا عن ذلك أصدق تعبير من خلال تضحياتهم واشعارهم في حب الأوطان وحنينهم الجارف الى مصر وخيراتها وتحديهم للعدوان المستمر دفاعا عن هذا الحب الأصيل تجاه اوطانهم. آن شوقي ما فتى يتذكر وطنه عندما يشاهد شيئا يحرك فيه ذكرياته في بلده ويذكر ذلك في قالب شعري ممتلئ بالتعبير الصادق ومن ذلك قوله:

هجتنَّ لي لوعةً في القلب كامنة والجُرْحُ إنْ تَعْتَرِضْه نَسْمَة يَثُر
ذكرت مصر، ومن أهوى، على الجزيرة بين الجسر والنَّهَر

1- المدونة، ص 550.
2- المدونة، ص 550.
3- ديوان أحمد شوقي الشوقيات،تدقيق محمد فوزي،مكتبة الآداب ،القاهرة، ط2 ،2012، ص 704.

ومجلسنا

واليومُ أَشْيَبُ، والآفاقُ مُذْهَبة والشمس مصفرة تجري لمنحدر[1]

لقد بقي شوقي على العهد الذي قطعه على نفسه بأن يبقى على الحنين الكامل لمصر، وألا يفضل مكانا على وطنه، فهو يرى أشياء تعترضه تحرك لوعة الفراق الغائرة في قلبه، فجرحه لم يندمل بعد بل معرض للتجديد عن أي إثارة له، فيذكر مصر وأحبابه فيها ومناطق طالما جالسهم عليها.

مثلث السفينة في حياة شوقي رموزا كثيرة أقواها على الإطلاق عندما كان ينظر أليها أنها المخلص له من بعده عن مصر، فخاطبها مرارا وتكرارا علها تقدم له ما يريد من عودة سالمة إلى ثرى الوطن، فها هو يشكرها شكرا لا يوصف حيث يقول في عودته إلى الوطن بعد ويلات الغربة :

شَكَرتُ الفُلكَ يَومَ حَوَيتِ رَحلي فَيا لِمُفارِقٍ شَكَرَ الغُرابا

فأنت أرحتني من كل أنف كأنف الميت في النزع انتصابا[2]

لقد قدم شوقي الشكر الجزيل للفلك لأنها أسهمت في إنهاء معاناة استمرت خمس سنوات عانى فيها الكثير بعيدا عن مصر، هذا الشكر الممزوج بالحنين إلى وطنه بلور رسالة لكل محتل أن حنين المغترب عن الوطن لا يقدر ولا يوصف، وأن الأوطان مهما فعل المحتل لا تمحى من وجدان أهلها.

إن أصدق تعبير عما شعر به شوقي تجاه الوطن تلك اللحظة التي وصل فيها إلى وطنه بعد نفيه خاطب مصر خطاب الطفل المشتاق لأمه بعدما ابتعدت عنه ولم يرها لسنوات فمصر هي الأم الثانية لشوقي الأم التي ما فتئ شوقي يتغنى بها بعدما تألم كثيرا في بعده عنها ، حيث يقول حينما وصل إليها:

وَيا وَطَني لَقَيتُكَ بَعدَ يَأسٍ كَأَنّي قَد لَقيتُ بِكَ الشَبابا

وَكُلُّ مُسافِرٍ سَيَئوبُ يَومًا إذا رُزِقَ السَلامَةَ وَالإيابا

وَلَو أَنّي دُعيتُ لَكُنتَ دِيني عَلَيهِ أُقابِلُ الحَتمَ المُجابا

أَديرُ إِلَيكَ قَبلَ البَيتِ وَجهي إذا فُهتُ الشَهادَةَ وَالمَتابا [2]

فشوقي في هذه الأبيات يجسد الشوق العظيم لوطنه، والذي يخاطبه بعد طول غياب وشوق شديد لرؤيته، فشوقي كان ضائعا يبحث عن وطنه ولم يترك منفذا حتى فتش فيه، واليوم يلاقيه بعدما يئس من العثور عليه، ويشبه هذا بعودة الشباب لإنسان هرم فكيف يكون ذلك؟ الأمر الذي يعد نوعا من المعجزات، هذه الصورة التي توضح مدى الحنين الكامن بقلب شوقي تجاه وطنه، ويذكر شوقي في هذه المناسبة حكمه مفادها أن كل مسافر لا بد له من عودة لوطنه سالما غانما، فشوقي عندما قال هذه الأبيات التي غالى فيها كثيرا في وصفه لحبه الشديد لمصر وحنينه لوطنه، والذي عد حب الوطن ركنا رئيسا من الدين جعله بمثابة البيت الحرام ولعل ذلك نابع من المرارة التي عايشها شوقي في الغربة وتملك الحنين إلى الوطن بالتفكير الشعوري واللاشعوري، يصف شوقي عودته إلى وطنه، العودة المجللة أجمل تيجان الفرح والسعادة فركائب الشاعر تسير مرفوعة الرأس مطمئنة النفس فرحة، يذكر ذلك المشهد المعبر عن الفرح الكبير الذي غمر فكر الشاعر ووجدانه قائلا:

وَقَد سَبَقَت رَكائِبِيَ القَوافي مُقَلَّدَةً أَزِمَّتَها طِـــــــــرابا

تَجوبُ الدَهرَ نَحوَكَ وَالفَيافي وَتَقتَحِمُ اللَيالِيَ لا العُبابا

وَتُهديكَ الثَناءَ الحُرَّ تاجًا عَلى تاجَيكَ مُؤتَلِقًا عُجابا

هَدانا ضَوءُ ثَغرِكَ مِن ثَلاثٍ كَما تَهدي المُنَوَّرَةُ الرِكابا

وَقَد غَشِيَ المَنارُ البَحرَ نورًا كَنارِ الطورِ جَلَّلَتِ الشِعابا

وَقيلَ الثَغرُ فَاتَّأَدَت فَأَرسَت فَكانَت مِن ثَراكَ الطُهرِ قابا

فَصَفحًا لِلزَمانِ لِصُبحِ يَومٍ بِهِ أَضحى الزَمانُ إِلَيَّ ثابا [3]

فشوقي في غاية السعادة والسرور لأنه كحل ناظريه برؤية وطنه من جديد، فركائبه تختال طربا وشوقا لبلوغها المراد، تسير محملة بالحنين الذي يكنه شوقي لوطنه فهي تجوب الدهر والأماكن والصحراء والتضاريس المختلفة وتقطع الأزمان لكي تصل هذا البلد الذي حرمه الشاعر حينا من الزمن حيث تهديه الثناء والشكر ليوضع تاجا عرفانا منها لفضل الوطن على جميع أبنائه فالوطن يضئ الطريق لفلذات أكباده لكي

1- المدونة، ص 344.

2- ديوان أحمد شوقي الشوقيات،تدقيق محمد فوزي،مكتبة الآداب ،القاهرة، ط2، 2012، ص 105.

3- المدونة، ص 105-106.

يعرفوا المنهج القويم ليسيروا عليه ويخدموا وطنهم ويعملوا على رفعته، يصف النور الذي أنار البحر هاميا لمن ركبوا البحر الطريق، فوطنه منار لكل ضال، فالسفينة التي ركبها شوقي عرفت الطريق من شدة النور المشع من مصر، عبر شوقي عن فرحته المطلقة بتلك العودة الميمونة واضفا الزمان بأنه وفي معه وصادق حيث أعاده إلى وطنه سالما غانما. إن عودة شوقي لمصر التي انتظرها على أحر من الجمر جعلته ينشئ أشعارا صادقة نابعة من ذلك الحنين الكامن بين ثنايا القلب حيث كتب كلمات في مصر خلدها التاريخ وذلك وقت وصوله لها، واصفا هذا المشهد بقوله:

أَنادي الرَسمَ لَو مَلَكَ الجَوابا وَأَجزيهِ بِدَمعِيَ لَو أَثابا
وَقَلَّ لِحَقِّهِ العَبَراتُ تَجري وَإِن كانَت سَوادَ القَلبِ ذابا
سَبَقنَ مُقَبِّلاتِ التُربِ عَنّي وَأَدَّينَ التَحِيَّةَ وَالخِطابا
فَنَثري الدَمعَ في الدِمَنِ البَوالي كَنَظمي في كَواعِبِها الشَبابا
وَقَفتُ بِها كَما شاءَت وَشاؤوا وُقوفًا عَلَّمَ الصَبرَ الذِهابا
لَها حَقٌّ وَلِلأَحبابِ حَقٌّ رَشَفتُ وِصالَهُمْ فيها حَبابا
وَبَينَ جَوانِحي وافٍ أَلوفٌ إِذا لَمَحَ الدِيارَ مَضى وَثابا[1]

لقد تعب شوقي من مخاطبة وطنه عندما كان بعيدا عنه، حاول بكل الطرق ان يوصل رسائله وأشواقه الحارة لمصر لكن دون جدوى، فأخذ يراسلها عبر السفن المغادرة من منفاه لعلها تفي بالغرض المأمول لكنه اليوم يقف فوق ثرى الوطن ملازما لمصر وأهلها في استقبال حافل لهذا الشاعر الكبير ينادي شوقي على وطنه الذي أحبه حبا جما صادقا، يأتي هذا النداء ليخبر به مصر عما يكن لها؟ فيسأل إذا كان الوطن باستطاعته الإجابة والرد عليه فهو مستعد لمخاطبته بالدموع لو أراد فالدموع لا تجري إلا لأجلك يا مصر لقد جف الدمع من تلك العيون بكاءا على فراق الوطن حتى أن سويداء القلب قد ذابت من شدة اللوعة والحنين، فاليوم تسبقه الدموع لتؤدي قرابين الطاعة لمصر والولاء لها، تؤدي التحية الممزوجة بدمع القلب لثرى الوطن الغالي أما القسم الاخر من حنين شوقي إلى وطنه فقد ظهر بعيد عودته من المنفى حيث أصبح داخل وطنه متنعما بنعمة الوطن وكفى بها من نعمة القد أرسلت مرحلة النفي قواعد الحنين العظيمة بقلب شوقيا، فعرف ان الوطن نعمة لا تقدر بثمن، هذه النعمة لا يستشعرها الا من حرم منها، فكان شوقي كلما أراد السفر لغرض ما يستشعر الحنين الكبير لمصر ولكل شيء عزيز فيها، حيث يقول في رحلة سفر:

مصرُ العزيزة مالي لا أُودِّعُها وداعَ محتفظٍ بالعهد مذكر
خلّفْتُ فيها القَطا ما بين ذي زَغَبٍ وذي تمائمَ لم ينهض ولم يَطِرِ[2]

ها هو شوقي يستنكر على كل شخص أن يلومه في حبه لمصر، فمصر غالية على قلبه لقد أخذت منه العهود والمواثيق ،لا تفوته فرصة لإظهار الشوق لمصر ولكل شيء جميل فيها ما أكثرها تلك الأشياء إلا وكان خير معبر عن هذا الحنين الصادق .لقد سكن جمال مصر في خلايا شوقي، فكان كلما رأى شيئا جميلا فاضل جمال مصر عليه، حيث نلاحظه يمتدح ذلك المكان ويثني عليه لكن في نهاية حديثة يربط ذلك بجمال وطنه ، و من ذلك ما قاله في وصف البوسفور وهو مضيق يتميز بجماله الخلاب وكان تحت حكم الدولة العثمانية، حيث يقول:

لِأَجلِكِ سِرتُ في بَرٍّ وَبَحرِ وَأَنتِ الدَهرَ أَنتِ بِكُلِّ قُطرِ
حَنَنتِ إِلى الطَبيعَةِ دونَ مِصرٍ وَقُلتِ لَدى الطَبيعَةِ أَينَ مِصرُ[3]

إن النفس تعشق كل جميل، فالإنسان بطبعه يهوى الطبيعة الساحرة، فشوقي عندما الأستانة مر على مضيق البوسفور وهناك سحر بجمال الطبيعة ، لكنه لا يستطيع مقاومة حنينه لمصر لأنها ملكت العقل والوجدان.

تنوع حنين شوقي إلى وطنه بعد العودة من المنفي، فبعدما كان هدفه الرجوع إلى مصر، ومسامرة الأهل والأحباب والتمتع بخيرات وطنه الكثيرة، اتجه إلى الهدف الأسمى وهو استنهاض الهمم من أجل الدفاع عن الوطن ومقاومة المحتل وطلب الحرية الكاملة من سيطرة العدو على مناحي الحياة المختلفة آنذاك، فأوضاع

1- ديوان أحمد شوقي الشوقيات، تدقيق: محمد فوزي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2012، ص 104-105.
2- ديوان أحمد شوقي الشوقيات، تدقيق: محمد فوزي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2012، ص 345.
3- المدونة، ص 313.

مصر لا تسر الصديق بل كانت تمر بمؤامرات خبيثة تحاك ليل نهار لإفساد هذا البلد لقد وقف شوقي سدا منيعا أمام تلك المؤامرات فبدأ يبث الروح المعنوية في نفوس الشباب لكي يواجهوا تلك المخططات حيث يقول:

يا مِصرُ أشبالُ العَرينِ تَرَعرَعَت وَمَشَت إِلَيكِ مِنَ السُجونِ أسودا
يا فِتيَةَ النيلِ السَعيدِ خُذوا المَدى وَاستَأنِفوا نَفَسَ الجِهادِ مَديدا
وَتَنَكَّبوا العُدوانَ وَاجتَنِبوا الأذى وَقِفوا بِمِصرَ المَوقِفَ المَحمودا
الأَرضُ أَليَقُ مَنزِلًا بِجَماعَةٍ يَبغونَ أَسبابَ السَماءِ قُعودا [1]

يخاطب شوقي مصر ويطمئنها بأن شبابها نزلوا الوغى أسودا لا يخافون بطش المحتل وغطرسته، فهم لا يبالون من القتل والسجن ، هؤلاء الشباب أخذوا على عاتقهم تحرير الوطن، ومقاومة المحتل بشتى السبل، وهنا يناشدهم شوقي بالاستمرار في هذا الدرب ،وأن يستعدوا للمواجهة ويستأنفوا نفس الجهاد ويلقنوا كل من تسول له نفسه تخريب مصر واستغلالها دروسا في كيفية التعامل مع مصر، فمصر تختلف عن أي بلد، إن إحساس شوقي بالخطر المحدق التي تتعرض له مصر دفعه لحمل راية الجهاد في مواجهة الأوضاع الصعبة التي حلت بوطنه فالوطن أن لم يقف الجميع مدافعين عنه أصبح لقمة سائغة للطامعين ، لذلك نرى شوقي يطالب الجميع بتحمل مسؤولياتهم وأن يقفوا لمصر ذلك الموقف المحمود.

إن بث الحمامة في نفوس أبناء الوطن وعناصره الفتية سمة بارزة عند شوقي، فكثيرة تلك الأشعار التي ساقها شوقي في هذا المجال كانت هذه الأشعار ذات المنشأ النفسي عند شوقي، فهذه الطريقة ما هي إلا ترجمة لشوقه وحبه الشديد للوطن حيث كثرة مخاطباته للشباب للذود عن حمى الوطن واستنكاره عليهم التكاسل والتباطؤ في هذا الأمر، يقول شوقي باعثا الهمم ومستنكرا التقاعس على أبناء وطنه في خدمة وطنهم:

بنى الأوطان هبّوا، ثم هبّوا فبغضُ الموتِ يجليه السبات
مشى للمجد خطفَ البرقِ قومٌ ونحن إذا مشينا السلحفاة
يعدّون القوى براً وبحراً وعدتنا الأماني الكاذبات[2]

يستنكر شوقي على أبناء مصر الركون إلى الراحة والاعتماد على الغير فالغرب متقدمون في كل شيء يقدمون لأوطانهم خدمات جليلة يسيرون في تقدمهم بسرعة البرق، وأبناء مصر مشيهم للمجد كمشي السلحفاة غاية في البطء فوجب على أبناء الوطن أن يتركوا الأماني الخادعة التي تصيب الإنسان بالإحباط والفشل وأن يعمدوا إلى المجد والمثابرة لرفعة الوطن ورقيه وجعله في مصاف الدول المتقدمة.

لقد أفرد شوقي أمكنة كثيرة في شعره للحديث عن مصر، تحدث عن مصر العروبة، ومصر الوحدة ، ومصر التاريخ والحضارة، ومصر الجميلة وهذه بعض الأوصاف التي ذكرها متحدثا عن أمه الثانية التي يحن إليها وهو مقيم على ثراها، يصرح بحبه لها والعلاقة القوية التي تجمعه بها فيقول:

أحبُّك مصرَ من أعماقِ قَلبي وحُبُّك في صَميمِ القلبِ نامي
سيجمعني بك التاريخ يوماً إذا ظهر الكرام على اللئام
لأجلك رحت بالدنيا شقيا أصد الوجه والدنيا أمامي
وأنظر جَنَّةً جمعتْ ذِئابًا فيصرُفُني الإباءُ عن الزحام
وهبتك غير هياب يراعا أشد على العدو من الحسام[3]

يؤكد شوقي على حبه لمصر، فمصر في قلبه لا يمكن أن تنسى وحبها مثل شجرة تنمو وتكبر داخل قلبه فهي التاريخ ، والحاضر، والمستقبل من وجهة نظره، حيث إن تاريخه مرتبط بتاريخها يواجه كل من يعاديها بشعره الذي يلهب النفوس ويبث فيها روح العزيمة والإصرار على تقديم الغالي والنفيس من أجل مصر، لقد عبر شوقي بالحب الكبير لوطنه بكلماته وتعبيراته التي وقعها على المحتل أشد من السلاح ، وهذا ما دفع المحتل قبل ذلك لنفيه إلى الأندلس لكي يتخلص من عنصر مهم في تشجيع أبناء مصر للمقاومة والتحدي لقد كان شوقي لا يترك أي مناسبة وطنية إلا ويضفي عليها بصمته الشعرية معبرا عن محبته لوطنه وشوقه الشديد لثرى الوطن، ومؤكدا على أهمية الوطن لجميع المصريين فواجب عليهم التضحية من أجل وطنهم مصر، فها هو شوقي يختار مناسبة عيد الجهاد ليؤكد على مبادئه التي جبل عليها في استعداده للدفاع عن الوطن ومجاهدة المحتلين الذين يحاولون سلب خيرات مصر حيث يقول:

1- المدونة، ص 228-229.
2- ديوان أحمد شوقي الشوقيات، تدقيق: محمد فوزي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2012، ص 177.
3- المدونة، ص 604.

خَطَوْنا في الجِهادِ خُطاً فِساحا وهادَنَّا، ولم نُلقِ السِّلاحَا
رضينا في هوى الوطنِ المفدَّى دمَ الشهداءِ والماَ المطاحا
ولمّا سلّـّت البيضُ المواضي تقلدنا لها الحقَّ الصراحا
فحطّمْنا الشَّكيمَ سِوَى بقايا إذا عَضَّتْ أَرَيْناها الجِماحا
وقمنا في شِراع الحق نَلْقَى وندفع عن جوانيه الرياحا
نعالج شدةً، ونروض أخرى ونسعى السعيَ مشروعاً مباحا[1]

إن حنين شوقي لمصر معين لا ينضب وشعور صادق يبرهن على ذلك شعوره والعاطفة الجياشة والتجربة الشعورية النابعة من إحساس مرهف، يظهر ذلك في تغنيه بوطنه واعتزازه بذلك الوطن فالفداء عنوان لهذا الحنين والتضحية سبيل لرفعة الوطن وتقدمه فلقد أكد شوقي على أهمية الوطن من خلال ذكره فضائل الوطن على كل من يعيش فوق ثراه، فالمصريون يتنعمون بتلك الفضائل ويعيدون محاسن أسلافهم وتاريخهم العظيم وكل فرد يشارك في رفعة هذا الوطن ليصبح عزيزا له مكانته بين الدول وصرحا شامخا مخا يشار إليه بالبنان، فيحرص شوقي على ضرورة تقديم كل فرد من أبناء الوطن مزيدا من الأعمال لرفعة مصر والتأكيد على أن تاريخ مصر حافل بالمنجزات الجبارة، التي شيدها من قبلهم على مر العصور، فواجب على كل فرد من أبنائه إكمال هذا الطريق الذي بدأه الآباء وجعل مصر عنوان الحضارة ومنارة العلم، لأن مصر فيها كل مقومات الحضارة والرقي.

إن حرص شوقي على بناء وطنه والعمل على رقيه نابع من المكانة العظيمة لمصر داخل كيان شوقي وشعوره الكبير بعمق المسؤولية الملقاة على عائقة في تشجيع شباب مصر على الجد والاجتهاد حيث يقول:

أَبني الأَوطانَ أَلا هِمَمُ كَبِناءِ الأَوَّلِ يَبنينـــــــــــــــــا
سَعياً أَبَداً سَعياً سَعياً لِأَثيلِ المَجدِ وَلِـــــــــــــــلعَليا
وَلنَجعَل مِصرَ هِيَ الدُنيا وَلنَجعَل مِصرَ هِيَ الدُنيا[2]

هذا هو الهدف المنشود عند شوقي، جعل مصر هي الدنيا ومنارة العالم أجمع فيناشد أبناء وطنه لتحقيق هذا الهدف ورفع الهمم للوصول الى المجد والعلياء.

لا يقف نداء شوقي لأبناء وطنه عند أمر محدد بل إن نداءه متجدد ومستمر، يخاطبهم في كل وقت وحين ويستنهض همهم، فيؤكد مرة أخرى على هذا في نشيد مصر الذي يحفظه كل مصري فيقول:

بني مصرٍ مكانكمُو تهيَّا فَهَيَّا مَهدُوا للمُلكِ هيَّا
خذوا شمسَ له حليَّا أَلم تَكُ تاجَ أَوّلِكم مَلِيَّا
على الأخلاقِ الملكَ وابنوا فليسَ وراءَها للعِزِّ رُكن
أليس لكم بوادي النِّيل عدنُ وكوثرها الذي يجري شهيّا
لنا وطنٌ بأَنفسِنا نَقيه وبالدُّنيا العريضةِ نَفتديه
إذا ما سيلتِ الأرواحُ فيه بذلناها كأَنْ لم نعطِ شيَّا[3]

يطالب شوقي أبناء مصر العمل على تكوين ملك عظيم لمصر والمحافظة على الأخلاق التي هي أساس تكوين أي دولة، فمصر خيراتها كثيرة لا تعد ولا تحصى، فعلى سبيل المثال لا الحصر هناك نهر النيل يجري كوثرا في أراضي مصر، هذا النهر الذي يبعث الحياة لسكان مصر، لقد أكثر، شوقي في شعره من التأكيد على ضرورة فداء، مصر وحمايتها من الكروب والأخطار المحدقة التي تكاد تفترسها، لذلك نجد هذا الحس الوطني لا يفارق شوقي في معظم قصائده عندما يتحدث عن الوطن فأرواح أبناء مصر رخيصة من أجل فدائها والتضحية في سبيلها، حتى عندما تسال الدماء يبذلها كل مصري ويشعر بأنها لا تساوي شيئا أمام فضائل مصر

1- ديوان أحمد شوقي الشوقيات، تدقيق: محمد فوزي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2012، ص 198.
2- المدونة، ص 774.
3- ديوان أحمد شوقي الشوقيات، تدقيق: محمد فوزي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2012، ص 687.

عليه ، يرسم شيء في صورة التي تشمل عدة مناح في الحياة، فمصر نموذج للحياة الهادئة المطمئنة التي تشمل شرائح الشعب كافة، الكل يعيش حياته المليئة بالسعادة حتى لو كانت حياة ضنك وضيق، يصف شوقي ذلك قائلا:

لنا الهرَمُ الذي صحِبَ الزمانا ومن حَدَثانِه أَخذ الأَمانا
ونحنُ بنو السَّنا العلي، نمانا أَوائلُ عَلّموا الأُمَمَ الرُّقِيا
تطاولَ عهدهمْ عزا وفخرا فلما آل للتاريخ ذُخْرا
نشأنا نشأةً في الجدِ أخرى جَعَلنا الحقَّ مَظْهرَها العَلِيّا
جعلنا مِصْرَ مِلّةَ ذي الجَلالِ وألفنا الصليبَ على الهلالِ
وأقبلنا كصفٍّ من عوالِ يشدُّ السَّمْهَرِيُّ السَّمْهَرِيّا
نرومُ لمصرَ عزًّا لا يرامُ يرفُّ على جوانبه السَّلامُ
وينعَمُ فيه جيرانٌ كِرامُ فلن تجدَ النَّزيلَ بنا شقيًّا
نقومُ على البناية ِ محسنينا ونعهَدُ بالتَّمامِ إلى بنينا
إليْكِ نَموتُ ـ مِصْرُ ـ كما حَيينا ويبقى وجهكِ المفديُّ حيًّا[1]

هذا الجو الوحدوي بين أبناء مصر الذي بينه شوقي رمز لمقومات الحياة فيها، فالجد عنوان كل فرد فيها يجد ويجتهد لخدمة الوطن، لا تقف عجلة التطوير بل هي مستمرة بتكاثف الجميع، فالمسلم والقبطي يكملان المسيرة نحو المجد الذي وضعه الفراعنة الأوائل الذين وضعوا حجر الأساس لبناء حضارة كبيرة على ضفتي نهر النيل مازالت آثارها حاضرة تستقطب جميع العالم ليتعرفوا على دقة البناء وبراعة الهندسة المعمارية قبل ألاف السنين.

إن الحنين إلى الوطن فطري عند كل إنسان ، لكن هذا الشعور تختلف مخرجاته من شخص لآخر فهو مرتبط بما يعتري الإنسان من أزمات تظهر مدى الحنين الكامن في إحساس الإنسان تجاه وطنه، فحنين شوقي إلى وطنه مصر تجسد في عدة أشكال تنوعت بتغير الظروف المحيطة به، فالنشأة التي نشأها شوقي لم تظهر بوادر هذا الحنين إلا في مواطن قليلة، لأن شوقي اشتغل في البداية بأمور القصر الحاكم ولم يكترث بأمور وطنه إلا قليلا،، أما الشكل الآخر الذي أظهر الحنين الكبير إلى الوطن عند شوقي ما لاقاه من نفي عن الوطن وغربة قاسية عانى فيها معاناة البعد وحاجاته الشديدة إلى حنان الوطن، وكانت تلك المرحلة مفجرة الحنين للوطن عند شوقي، فالبعد ومرارة الغربة قادرة على إظهار كل إحساس كامن تجاه الوطن، لأن الصدق عنوان لتلك الحالة التي تسيطر على الإنسان المغترب والشكل الأخير الذي أظهر حنين شوقي إلى وطنه دفاعه المتواصل عن الوطن، وحث الشباب بمواصلة الجهاد لتحرير مصر من الاستعمار والعمل على رفعة الوطن ورقيه.

ثانيا: الحنين إلى الاهل والأصدقاء

إن حنين المرء إلى أصله وأصدقائه حالة طبيعية متأصلة في النفس البشرية، فالعائلة والأصدقاء هما الإطار العاطفي والنفسي لكل إنسان هذا الإطار التي تدور فيه معظم العلاقات الإنسانية، والحالة الشعورية التي تعتري الإنسان نتيجة بُعد وفراق لمن أحبهم من أهله وأصدقائه تُغذي الحنين وتقوي روافده، وليس شرطا أن يكون الإنسان مغتربا عن أهله وأصدقائه لكي يشعر بالحنين إليهم فالحنين مرتبط ارتباطا شرطيا بالحب الصادق النابع من القلب تجاه الأهل والأصدقاء.

لقد ظهر هذا النوع من الحنين عند شوقي، وذلك في حنينه الكبير لمن أحبهم ممن قضى معهم أغلب فترات حياته، فشوقي ما فتئ يذكر الأهل كلما تذكر أهمية العائلة وكذلك الأصدقاء الذين عايشوه فترات مهمة في حياته.

من السمات الشخصية لشوقي أنه شاعر يقدر العلاقات الاجتماعية ويتعامل مع أهله معاملة قائمة على الود والحب المتبادل فكان يذكر لكل ذي فضل فضله، ومن حبه لهم أنه كان لا يتحمل الأذى عليهم ولا يستطيع أن يراهم يتألمون عندما تلم بهم وعكات صحية ،هذا شوقي الإنسان الذي يحن لكل شخص أدخل الفرح و السعادة إلى قلبه يومًا ما ، فحنين شوقي إلى الأهل تنوع بين أمه وأبيه وجدته وأبنائه، إن حنين شوقي الى أمه كبير لا يوصف ، والحنين الكامن في شوقه لأمه برز في معاملته الصالحة لها طوال حياتها، فشوقي لم يتحدث

1- المدونة، ص 774-775.

كثيرا عن أمه، بل كان حنينه لها مرتكز على المعاملة الطيبة والتقدير والعرفان بفضلها عليه، بقي حنين شوقي لأمه أفعالًا ولم يترجم إلى أقوال إلا بعدما وصله خبر وفاتها وهو في منفاه بالأندلس فانفجر حنينه أشعارًا لإحساسه بالفراق الحقيقي ذلك الفراق الذي أثار لوعة في قلبه أنجبت شعر صادقا معبرا عن حنين كبير يقول في قصيدة رثى فيها أمه:

إلى اللهِ أَشكو مِن عَوادي النَوى سَهما أَصابَ سُوَيداءَ الفُؤادِ وَما أَصمى
مِنَ الهاتِكاتِ القَلبَ أَوَّلَ وَهلَةٍ وَما دَخَلَت لَحماً وَلا لامَسَت عَظما
تَوارَدَ وَالناعي فَأَوجَستُ رَنَّةً كَلاماً عَلى سَمعي وَفي كَبِدي كَلما
فَما هَتَفا حَتّى نَزا الجَنبُ وَانزَوى فَيا وَيحَ جَنبي كَم يَسيلُ وَكَم يَدمى
طَوى الشَرقَ نَحوَ الغَربِ وَالماءَ لِلثَرى إِلَيَّ وَلَم يَركَب بِساطاً وَلا يَمّا [1]

إن لجوء شوقي إلى الله تبارك وتعالى لدليل على عظم المصيبة التي يعيشها، وهل هناك مصيبة أعظم من فقدان الأم؟ حيث يشبه شوقي ذلك الخبر الصادم بسهم قاتل أصاب سويداء القلب، هذا الحب الجم الذي يُكنه شوقي لأمه أنتج لونا مختلفا من الحنين الممزوج بالأسى والحزن لفراق جزء رئيس من قلبه كانت هذه القصيدة بعدما أعلن عن هدنة الحرب العالمية الأولى حيث كانت الفرحة ظاهرة وبادية على محيا شوقي، لأنها سبيل لعودته إلى أمه ووطنه فجاء الخبر مع البرق، ذلك الخبر الذي أفسد عليه حياته خبر وفاة مهجة فؤاده التي أُبعده عنها وعن وطنه حيث أرادت الأم البقاء في مصر ورفضت الخروج مع ابنها إلى المنفى الذي فرض عليه وشوقي يذكر هذا المأساة التي حلت به وكأنها الصاعقة يبين ذلك في وصفه للمصيبة بأنه المدمر للقلوب بلا رحمة ولا تهاون ، حيث سيطرت على شوقي حالة من الحزن الشديد وصلت به لحد الانهيار، فقد كان يمني النفس بالعودة الى أمه ووطنه، لكن الموت سلب منه فرحة غائرة في القلب لم يستطع أن يظهرها فمصيبته بفقدان أمه عظيمة يصفها بالسهم الذي دمر كبده وحنينه وقلبه، فقد وصله خبر الوفاة قاطعا الشرق نحو الغرب، حاملا معه أحزان تهدّ جبالا فما بالنا بشاعر مرهف الإحساس والوجدان.

لقد عايش شوقي مأساة كبيرة بعدما كانت مصيبة واحدة أصبحت مصيبتين، فالأمر لم يقف على نفيه عن الوطن بل وصول خبر وفاة أمه التي تشكل رقما صعبا في حياته لا يمكن أن يندثر هكذا بكل سهولة ، هذا الألم لا يعرف شوقي كيفية الخلاص منه، فيلجأ إلى الدعاء ويدعو لأمه دعاء مرا حيث يقول:

لَكِ اللهُ مِن مَطعونَةٍ بِقَنا النَوى شَهيدَةَ حَربٍ لَم تُقارِف لَها إِنما
مُدَلّهَةٍ أَزكى مِنَ النارِ زَفرَةً وَأَنزَهِ مِن دَمع الحَيا عَبرَةً سَحما
سَقاها بَشيري وَهيَ تَبكي صَبابَةً فَلَم يَقوَ مَغناها عَلى صَوبِهِ رَسما
أَسَت جُرحَها الأَنباءُ غَيرَ رَفيقَةٍ وَكَم نازِعٍ سَهماً فَكانَ هُوَ السَهما [2]

إن دعاء شوقي لأمه بالرحمة والمغفرة ينم على حب كبير لأمه داخل قلبه ، فهو لم يستطع الذهاب لإلقاء نظرة الوداع على أمه لأن الاحتلال منعه من ذلك، فلا يملك سوى الدعاء لأمه بقلب صادق بالرحمة والمغفرة.

لقد عانى شوقي من لوعة الفراق التي نزلت به بعد فقدانه أمه، وحرمانه من المشاركة في تمثيلها فلم يستطع فعل شيء سوى إرسال الدعوات الصادقة لروح أمه ورسم صورة لهذه الجنازة المهيبة، وتشييع هذا الجسد الطاهر، أظهرت الصورة التي رسمها ليوم وداع والدته مدى التفاعل الشعبي المشارك في تشييعها من جميع فئات الشعب المصري، فيصف ذلك قائلا :

فَلَما بَدا لِلناسِ صُبحٌ مِنَ المُنى وَأَبصَرَ فيهِ ذو البَصيرَةِ وَالأَعمى
وَقَرَّت سُيوفُ الهِندِ وَارتَكَزَ القَنا وَأَقلَعَتِ البَلوى وَأَقشَعَتِ الغُمّى
وَحَنَّت نَواقيسٌ وَرَنَّت مَآذِنٌ وَرَفّت وُجوهُ الأَرضِ تَستَقبِلُ السُلمى
أَتى الدَهرُ مِن دونِ الهَناءِ وَلَم يَزَل وَلوعاً بِبُنيانِ الرَجاءِ إِذا تَمّا
إِذا جالَ في الأَعيادِ حَلَّ نِظامَها أَوِ العُرسِ أَبلى في مَعالِمِهِ هَدما
لَئِن فاتَ ما أَمَّلتِهِ مِن مَواكِبٍ فَدونَكِ هَذا الحَشدَ وَالمَوكِبَ الضَخما
رَثَيتُ بِهِ ذاتَ التُقى وَنَظَمتُهُ لِعُنصُرِهِ الأَزكى وَجَوهَرِهِ الأَسمى [1]

1- ديوان أحمد شوقي الشوقيات، تدقيق: محمد فوزي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2012، ص 548.
2- المدونة ص 549.

إن الوداع الذي جسده شوقي في قصيدته التي رثى فيها أمه يعبر عن مدى حنينه لها، وصدق العواطف الجياشة لأمه، فقد صور آلامه وأحزانه وبثها في قالب شعري رائع، وضح حنينه الكبير المكون بين ثنايا قلبه ،حنين الإبن المنفي البعيد عن أمه ووطنه ، تموت أمه فلا يراها، فيغلبه الحنين لها والحزن على فراقها ولوعة نزلت بقلبه ولكن حسبه من ذلك الحشد الكبير المشارك في جنازة أمه حيث تكون من فئات عديدة، مرموقة من أبناء شعبه.

يُذكر أن شوقي بعدما كتب رثاء أمه عندما وصله خبر وفاتها وهو في الأندلس كانت تعتريه حالة من الحزن الشديد لم يقوَ على مقاومتها ،فظلت هذه القصيدة حبيسة دفاتره وقراطيسه حتى أنه عندما طُلب منه أن يقرأها لم يستطع من شدة حنينه لأمه، وبقيت تلك القصيدة في كتبه إلى أن فاضت روحه الطاهرة الى بارئها ونشرت بعد وفاته في الصحف، ودونت في ديوانه تحت قسم المراثي.

يحن شوقي لأبيه كذلك، حيث يعبر عن ذلك الحنين عندما يرثي أباه: " فالرثاء الذي يفصح فيه الشاعر عن مواجده وأشواقه إلى المرثي، فلا يعدد المناقب والخصال فحسب، بل يتجاوزها الى بكاء حار يعبر فيه عن حرقة الفؤاد، ونيران الفقد"[2]، فذلك من الحنين الصادق للمرثي ومنه قول شوقي في رثاء أبيه:

لَيْتَ شعْري هَلْ لنا أنْ نتلقي مَرّةً أم ذا افتراقُ المَلَوَين
وإذا متُّ وأُودعتَ الثرى أنلقَى حُفرة أم حُفْرتين[3]

فهذا الرثاء النابع من القلب متجذر في وجدان شوقي، وفيه صدق العاطفة المليئة بالمودة فحنين شوقي لأبيه يتمثل في العلاقة القوية بينهما، وتلاحم أسري كبير الأبن وأبيه، فيتمنى بقاء أبيه بجانبه لا يفارقه أبدا فرثاء شوقي لأبيه تعبير صادق عن شحنات الألم التي تعصر القلب من هذا التباعد والفراق الذي فرضه عليهم الموت.

أما حنينه لجدته فقد كان ظاهرا بين ثنايا شعره، فهذه الجدة التي لم تفتأ تقدم الغالي والنفيض لحفيدها، وتدافع عنه أمام والديه كلما فعل شيئا لا يرضيهما حيث يقول شوقي في تغلقه بها وحنينه الدائم لها:

لي جدَّةٌ ترأفُ بي أحنى عليَّ من أبي
وكلُّ شيءٍ سرَّني تذهب فيه مَذهبي
إن غضبَ الأهلُ عليَّ كلّهم لم تغضبِ[4]

إن حنين شوقي لجدته لم يتوقف عن هذه الكلمات، فقد كان تطبيقها عمليا في عواطف الطيبة معها، ومعرفته لفضلها في دعمه وتشجيعه حتى علا صيته بين الناس، فكان يقدرها ويجلها حتى عندما فارقت الحياة رثاها بأبيات صادقة عبر فيها عن حنينه الكبير لجدته حيث يقول في رثائها:

صلاة الله يا تمزارُ تجزِي ثَراكِ عن التِّلاوة والصَّلاة
وعن تسعين عاماً كنتِ فيها مثالَ المحسناتِ الفصليات
بَررتِ المؤمناتِ، فقال كلٌّ لعلكِ أنتِ أمُّ المؤمنات
وكانت في الفضائل باقياتٌ وأنتِ اليومَ كلُّ الباقيات
فلم أرَ قبله المريخَ ملقى ولم أسمع بدفن النيرات
هناكَ وقفتُ أسألكِ إتئاداً وأمسِكُ بالصفات وبالصّفاة
وأنظرُ في ترابكِ، ثم أغضي كما يُغضِي الأبِيُّ على القَذاة
وأذكر من حياتِكِ ما تقضَّى فكان من الغداة إلى الغداة[5]

أما حنين شوقي لأبنائه فقد كان منقطع النظير، حيث الأب الحنون الذي يخاف على أبنائه من نسمات الهواء العليل، فكان يصاب بحالة من الحزن الشديد عندما يمرض أحد أبنائه ومن شدة خوفه عليهم لا يحتمل الأذى الواقع بهم فكان يسافر إلى الإسكندرية هربا من المعاناة التي تسببها له آلامهم وتألمهم من المرض، هذا الإحساس الرقيق الذي سيطر على شوقي تجاه أبنائه، فكان كثير التغني بهم وبحبهم الشديد الكامن داخل قلبه

1- ديوان أحمد شوقي الشوقيات، تدقيق: محمد فوزي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2012، ص 550.
2- مي إبراهيم عمرو، الحنين في الشعر الزنكي والأيوبي، رسالة ماجيستير من جامعة الخليل، 2011 م، ص 82.
3- المدونة، ص 708.
4- ديوان أحمد شوقي الشوقيات، تدقيق: محمد فوزي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2012، ص 150.
5- المدونة، ص 192-193.

والظاهر للعيان، فيقول في قصيدة يرد بها على من ادعوا أنه يفرق بين أبنائه ويفاضل بينهم حيث يقول رادا عليهم:

يقولون لم تطرى عليا وأخته وتنسى حسينا والحسين كريم
فقلت فؤادى للثلاثة منزل هما طُنُباه والحسين صميم
ثلاثة أسباب لأنسى ولذتي يبارك فيها مانِحِى ويديم
إذا ما بدا لي أن أفاضل بينهم أبى لي قلب عادل ورحيم
أحبِ صغار العالمين لأجلهم ويعطف قلبي ذو أب ويتيم[1]

هذا الحب الكبير الذي يكنه شوقي لأبنائه ينبع من حنين جارف لتلك الوردات المتفتحة في حياته، فشوقي كثير التعلق بأبنائه لا يفارق بينهم ولا يفاضل، يثني على كل واحد منهم، فكلهم يحتلون سويداء قلبه، وهم أسباب سعادته في هذه الدنيا، هذا الحب الذي جعله يحب صغار الناس، لأنه يقدر تلك العلاقة بين الأبناء وآباءهم.

حازت ابنته أمينة على نصيب الأسد في شعره هؤلاء ولعل ذلك يكمن في أنها البنت الوحيدة له فقد كان له ثلاثة من الولد وابنة واحدة، فأنشد شوقي لابنته أشعارا كثيرة ففي ذكرى مولدها الأول غرد قائلا:

أمينتي في عامها الأوّلِ مثلُ الملكِ
صالحةٌ للحبِّ منْ كلٍّ، وللتَّبَرُّك
كم خفقَ القلبُ لها عِندَ البُكا والضَّحِك
وكم رَعَتْها العَيْنُ في السكونِ والتَّحرُّكِ
فإن مَشَتْ فخاطِري يسبقها كالممسكِ
ألحَظُها كأنها من بَصَرِي في شَرَك
فيا جَبينَ السَّعْدِ لي ويا عُيُونَ الفَلَك
ويا بياضَ العيشِ في الأيامِ ذاتِ الحلكِ
إنَّ الليالي وهيَ لا تَنْفَكُّ حَرْبَ أَهلِكِ
لو أنصفتكِ طفلة لكنت بنت الملك [2]

لقد رسم شوقي حنينه لابنته عبر صورة حسية بالغة في الدقة، حيث الحنان الفطري الذي فطر الله تبارك وتعالى البشر على حب الأبناء حيث يقول تعالى: "المال والبنون زينة الحياة الدنيا" [3] فشوقي يتابع ابنته التي أكملت عامها الأول في كل صغيرة وكبيرة فعندما تبكي يتعرف على سبب بكائها ويزيله وعندما تضحك يخفق القلب فرحا بفرحها، وعندما تمشي ترعاها العين خوفا من أي مكروه يصيبها فابنته تمثل عنصر السعادة في حياته لقد عبر شوقي في تلك المناسبة عما يشعر به تجاه ابنته أمينة وفي عامها الثاني يدعو لها بالسلامة حيث يقول:

أَمينَةُ يا بِنتِيَ الغالِيَه أَهَنّيكِ بِالسَنَةِ الثانِيَه
وَأَسأَلُ أَن تَسلَمي لي السِنينَ وَأَن تُرزَقي العَقلَ وَالعافِيَه [4]

إن حرص شرقي على تهنئة ابنته أمينة بعيد ميلادها للسنة الثانية يوضح مدى المكانة التي تحتلها في قلبه والحنين الذي يكنه لها، حيث يدعو لها بالخير والعافية وأن تسلم من غدر الزمان ومصائبه ، وأن يرزقها الله العقل الراجع فكان شوقي يلبي كل طلباتها التي تتمناها عليه، حيث طلباتها مجابة يقول في ذلك:

ولي طفلةٌ جازت السنتين كبعض الملائك، أو أطهرُ
بعينيْن في مثل لون السماء وسنيْن يا حبذا الجوهرُ
أتتنيَ تسألني لعبةً لتكسرها ضمن ما تكسرُ
فقلت لها: أيهذا الملاكُ تحب السلام، ولا أنكرُ [5]

1- المدونة، ص 590.
2- ديوان أحمد شوقي الشوقيات،تدقيق محمد فوزي،مكتبة الآداب ،القاهرة، ط2 ،2012، ص 470-471.
3- سورة الكهف، الآية 46.
4- المدونة، ص 766.
5- ديوان أحمد شوقي الشوقيات، تدقيق: محمد فوزي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2012، ص 237.

لقد أعطى شوقي لبنته اهتماما كبير منذ صغرها، فكان كثير التغني بها ووصفها، حيث يصفها بأجمل أوصاف، فوصفه لها بأنها ملاك ذات عينين سماويين، وسنين كأنها اللؤلؤ والجواهر يبين مكانتها عنده ،ولعل تلك المكانة الكبيرة لابنته والحنين الجم لها ما أوضحه لنا عندما كان على ظهر سفينته مسافرا حيث يقول عندما رأى بنتا صغيرة ذكرته بابنته أمينة حيث يقول في تلك الحادثة:

هَـذِهِ نـورُ السَفينَـه هَـذِهِ شِبـهُ أَمينَـه
هَذِهِ صورَتُـها مُـن بِنَـةَ عَنهـا مُبينَـه
هَـذِهِ لُؤلُـؤَةٌ عِـن دي لَها مِثـلٌ ثَمينَـه
مِن بَناتِ الرومِ لَكِـن لَم تَكُن عِندي مَهينَـه
أَنا مَن يَتـرُكُ لِلـدَيان في الدُنيا شُؤونَـه
يا مَلاكَ الفُلكِ لي صِنوُكِ في تِلكَ المَدينَـه
نتِ في الفُلـكِ بَهـاءٌ وَهوَ في حُلوانَ زينَه
ناجِهِ وَاذكُر لَـهُ وَجـَ ذ أَبـيـهِ وَحَنينَـه
وَأفِدهُ أَنَّنـي فـي البَحرِ مذ دُستُ عَرينَه
لَستُ بِالنَفسِ ضَنينـاً وَبِهِ نَفسـي ضَنينَـه
أَسأَلُ الرَحمَنَ يُرعيكَ وَإِيّـاهُ عُيـونَـه[1]

إن قوة الحنين تظهر عندما يبتعد الإنسان عمن أحبهم وعشقهم ، فشوقي عندما رأى هذه البنت الغربية تذكر ابنته وغالبه الحنين ليذكر أوصافها من خلال وصفه لهذه البنت الغربية حيث وصفها بالملاك، وأنها زينة المدينة حلوان، ثم يرسل التحيات والأشواق الحارة لابنته عبر محاكاته لمن راها على الفلك، فهي ساكنة في القلب متربعة على العرش، فوجده لها لا يوصف وحنينه عظيم لها يخبرها أنه في أشد شوق لرؤيتها ومجالستها يسأل الله بقلب صادق أن يرعاها ويحفظها من أي مكروه. أما حنينه للأهل عامة فتتمثل في ذكره لهم بالخير، وحفظه للعلاقة الطيبة التي تجمعه بهم، والمعاملة التي تقوم على الحب المتبادل فكانوا نعم الأهل لنعم الابن، وشكلوا في حياته لونا جميلا زاهيا على حياته الفرح والمرح، والقيم والسرور، حيث يصف هذه العلاقة في أبيات يذكر فيها هؤلاء الأهل قائلا:

وما جاملتموا أهلا ولكن ذهبتم مذهبا وهو الجميل
وكنت إذا التمست لكم بديلا أعاتبكم به عز البديل
حفظت الودّ والودّ انتقال وإن الحافظين له قليل
وبت أصون في الحب اعتقادي ورأى لا تغيره أصيل [2]

فقد حفظ شوقي ود أهله ، فلا يمكنه الاستغناء عنهم حيث مكانتهم كبيرة في قلبه، يذكرهم دائما بالخير ويصون حبهم فهم عنوان الحياة الكريمة التي تفيأ ظلالها معهم ردحًا من الزمن تلك المكانة كانت منبعا لحنين شوقي لأهله ،هذا الحنين نهل من وجدانه وأشعاره الشيء الكثير فجسد شعرا يطرب النفس ويسليها، ومن تلك الأشعار التي أوضحت حنين شوقي ونيته تجاه أهله حيث يقول:

وأحباب سقيت بهم سلافا وكان الوصل من قصر حبابا
ونادمنا الشباب على بساط من اللذات مختلف شرابا
وكل بساط عيش سوف يطوى وإن طال الزمان به وطابا
كأن القلب بعدهم غريب إذا عادته ذكرى الأهل ذابا
ولا ينبيك عن خلق الليالي كمن فقد الأحبة والصحابا[3]

إن شوقي لا يقوى على البعد عن الأهل والأحباب والأصدقاء فكلما تذكرهم فاض القلب حنينا لهم ولتلك الأيام التي عايشهم فيها، فالإنسان لا يستطيع تحمل فقدان الأحبة والأهل لأنهم عنصر يساعده على التمتع بالحياة ونعيمها ،لقد أكثر شوقي من ذكره للأهل والأصدقاء وجعل ذلك تعبيرا لما يكنه لهم من حب ومودة فكان

1- المدونة، ص 665.
2- ديوان أحمد شوقي الشوقيات، تدقيق: محمد فوزي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2012، ،ص513.
3- المدونة، ص 76.

فقد عزيزا عليه لم يستطع إلا أن يعبر عن ذلك الحب تعبيرا صادقا نابعا من علاقة وطيدة تجمعه به، فلنا في رثاء شوقي الشيء الكثير ومنه رثاؤه لصديقه الشاعر حافظ إبراهيم حيث يقول:

لكنْ سبَقْتَ، وكلٌّ طولِ سلامةٍ قدرٌ، وكلُّ مَنِيَّـةٍ بقضـاءِ
الحقُّ نادَى فاسْـتجَبْتَ، ولم تَزلْ بالحقِّ تحفِلُ عندَ كلِّ نِـداءِ
ووددْتُ لو أني فداكَ من الرَّدَى والكاذبون المُرْجِفونَ فِدائي[1]

إن رثاء شوقي لحافظ إبراهيم مثال على الحب الكبير الذي يكنه شوقي لأصدقائه فكان يتمنى الموت قبل حافظ حتى لا يتفجع بموت صديقه ،حتى أنه لم يكمل مدة قصيرة بعد وفاة صديقه ففاضت روحه إلى بارئها، لقد عانى شوقي في صباه من البعد عن الأصدقاء والعيش وحيدا بعيدا عن أنسه وفرحه، هذه المعاناة التي تحدث عنها كثيرا، وعبر عن فترات احتاج فيها إلى الشعور بجو ممتلئ بالصداقة والود، يذكر شوقي ذلك في قصيدة قالها و هو في منفاه امتلأت بالعاطفة الصادقة والحنين الكبير لمن أحبهم حيث يقول:

إلـى الذى وجدنـا ود غيرهـم دنيـا وودهم الصافي هو الدينا
يا من نغار عليهم من ضمائرنا ومن مصون هواهم في تناجينـا
ناب الحنين إليكم فى خواطرنا عن الدلال عليكم فى أمانينــا
جئنا الى الصبر ندعوه كعادتنا فى النائبات فلم يأخذ بأيدينــا
وما غلبنا على دمع ولا جلد حتى أتتنا نواكم من صياصينـا
ونابغـى كان الحشر آخـره تميتنـا فيه ذكراكم وتحيينــا
نطوى دجاه بجرح من فراقكمو يكاد فى غلس الأسحار يطوينا
إذا رسى النجم لم ترفأ محاجرنا حتى يزول ، ولم تهدأ تراقينـا
يبــدو النهار فيخفيه تجلدنـا للشامتين ويأسوه تأسينـــا
سقيا لعهد كأكناف الربى رفـة أنا ذهبنا وأعطاف الصبا لينـا[2]

إن الرسالة التي يبرقها شوقي في هذه الأبيات تحمل في طياتها حنينا جارفا لمن أحبهم من أهل وأصدقاء وأحبة لدليل واضح على عمق العلاقة بين شوقي وأصدقائه ،فالإحساس الصادق الذي عرفه شوقي في وده لأصدقائه جعله يركن للتعبير بصدق عما يجول بداخله، فهو لا يقوى على الصبر أمام هذا البعد ، كما أن الصبر لا يحتمل المصائب التي عايشها شوقي ،فمرارة الغربة عن الوطن والعيش وحيدا جعله يبكي بكاء أمر مرريرًا على حاله ، فالليل طويل يرخي سدوله بالأحزان والمآسي عليه وحسبه من ذلك الذكرى التي تدق في نواقيس فكره ووجدانه ، وهي التي تترك بصيص أمل للقاء الأحباب والتنعم بالوطن وخيراته.

ثالثا: الحنين الى الذكريات الماضية

تمر على الإنسان في حياته مراحل و أوقات لا يمكن أن ينساها لشدة تأثيرها على النفس ووقعها الحسن على قلب الإنسان ، تلك الفترات يعايشها المرء ولا يتمنى أن تنتهي وأن تبقى ما بقي من الدهر، فهذه الأوقات لا يمكن للإنسان أن ينساها هكذا بكل سهولة ، بل تبقى ناقوسا يدق في تفكيره وخياله، وهاجسا يراوده كلما عنّ له ذلك الماضي الجميل، ولعل أجمل تلك اللحظات ما يعايشه المرء في فترات شبابه مثلا، أو رحلات لها في النفس وقع وأثر، فالباعث الرئيس للحديث عن تلك الفترات والحنين المتواصل لها شعور الإنسان بدخوله مرحلة نهاية العمر، وإحساس بفقد الشباب المفعم بالنشاط والحيوية المليء بالأحداث التي تدخل السرور والبهجة على النفس كلما تذكر ذلك، فيتحدث الشاعر عن تلك الأيام الخوالي لعله يتناسى ما آل إليه وضعه وحالته النفسية، فيجد في ذلك الحديث أنسًا وطمأنينة وتسلية لنفس سلبتها الشيخوخة لهوها وإنشغالها بجماليات الشباب.

تمثّل حنين شوقي ذكرياته الماضية إلى كل ما هو جميل قد عايشه في فترة من فترات حياته، ومن أكثر تلك الذكريات فترات الشباب الجميلة التي قضاها شوقي في حله وترحاله بين مصر ولبنان وفرنسا وتركيا وبعض الدول الأخرى.

1- المدونة، ص 116.
2- ديوان أحمد شوقي الشوقيات، تدقيق: محمد فوزي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2012، ص 682.

إن أجمل فترات العمر عند الإنسان هي مرحلة الشباب وما يصاحبها من عنفوان وأوقات جميلة يتذكرها المرء ويتمنى عودتها، لأن فترة الشباب تمثل القوة والسعادة والمرح والفرح في النفس البشرية وكم من شاعر لم يتمالك نفسه عند الحديث عن فترات العمر الحافلة بالمنجزات الجبارة في نظره، أما شوقي فكان حنينه لمرحلة الشباب لا يوصف، حيث أنه أكثر الحديث عن تلك المرحلة وكلما ذكر تلك المرحلة يزداد شوقه لها يقول في قصيدة ذاكراً تلك الأيام الجميلة باكيًا ومودعاً أجمل اللحظات التي أصبحت أحلاما طوى الدهر أحداثها :

شَيّعتُ أَحْلامي بقلبٍ باكِ ولَمَحتُ من طُرُق المِلاحِ شِباكي
ورجعتُ أدراجَ الشباب ووِرْدَه أمشي مكانَهما على الأشواكِ
وبجانبِي واهٍ كأَن خُفوقَه لَما تلفَّتَ جَهْشَةُ المُتباكي
شاكِي السلاحِ إذا خلا بضلوعه فإذا أهيبَ به فليس بشاكِ
قد راعه أَني طوَيْتُ حبائلي من بعد طول تناولٍ وفكاكِ
وَيْحَ ابنِ جَنْبي ؟ كلُّ غايةِ لذّةٍ بعدَ الشبابِ عزيزةُ الإدراكِ
لم تَبقَ منَّا ، يا فؤادُ ، بقيّةٌ لفتوّةٍ ، أو فَضلةٌ لعِراكِ[1]

إن الألم والحسرة التي سيطرت على شوقي في تلك الأبيات وليدة حنين كبير لفترة شبابه، فتشييع شوقي لتلك الأحلام التي كانت حقيقة يوما ما، عايشها وتمتع بأجوائها وبأحوالها تبين مدى تعلقه بتلك اللحظات، هذه اللحظات التي قضاها في أجمل المناطق في مدينة زحلة بلبنان وزارها وهو كبير فحن لتلك الأيام ورجع مستذكر أيام شبابه فالقلب خفاق يكاد يطير مثل عصفور بلله القطر، يبكي أزهى مراحل حياته ولم يبق إليه إلا الأطلال التي تركت في صدره أثر لا يمكن أن يندثر فقد " شبه شبابه وذكرياته بمفقود توارى لا أمل في عودته، لم يبق منه إلا الذكرى التي قد تخفف عنه صعوبة واقعه القاسي، الذي لا حيلة ولا مقدرة تخفف عنه تلك المأساة فكأنه أعزل يجابه أعتى الخطوب فلما عجز عن مقاومتها، تغنى بسلاح الصبر، سلاحه الوحيد في مقاومة بلوى الدهر".

فهذه الأبيات قالها وهو على أبواب الشيخوخة فعاد إليه شبابه ، جلس في واد ظله ظليل ونسميه عليل، فذكر عيشته الأولى التي عاشها، ذكر نعيمه وترفه، ذكر لهوه وعبثه فتمثلت له أشباح حياته فأسف وتلهف ،فتزهد مرة وتغزل مرة، وشب حينا ومناخ حينا، عادت إليه صور العناق والهوى والصبابة والشباب، فانتفضت روحه من مكمنها ودب فيه نشاط الحياة ونعيمها وسرورها "[2].

يخاطب شوقي أيام شبابه مخاطبة المترجي لها بالعودة المتمني أن تسحبه إلى مضمارها لعله يعيد تلك الأوقات الجميلة فيقول:

أقول لأيام الصبا كلما نأتْ: أما لكَ يا عهدَ الشباب مُعيد؟
وكيف نأتْ والأمسُ آخرُ عهدِها؟ لأمسُ كباقي الغابرات عهيد [3]

إن أيام شباب شوقي لا تفارقه يخاطبها ويتمنى عودتها فهي حاضرة في فكره ووجدانه مهما نأت وابتعدت إلا أن الذكرى خالدة بداخله، يعيش في أجوائها كلما عنّ له ماضي تلك الأيام، يتذكر رحلاته في فصل الربيع والزهور الجميلة التي تسحر النفس برائحتها وبجمالها فيقول:

إِنّي لَأَذكُرُ بِالرَبيعِ وَحُسنِهِ عهدَ الشَّبابِ وَطِرفِهِ المِمراحِ
هَل كانَ إِلّا زَهرَةً كَزُهورِهِ عَجِلَ الفَناءُ لَها بِغَيرِ جُناحِ [4]

فالذكرى التي حلت بشوقي لماضيه الجميل، وربط ذلك بفصل الربيع الذي يمثل الجمال بعينه والسحر والرونق، ففترة الشباب كما يصفها شوقي زهرة هذا الفصل الجميل بمناخه وأجوائه الرائعة، هذه الزهرة التي مازالت عالقة بقلب الشاعر يغديها من دمائه، لتبقى تنبت له شذى الشباب وحلاوة العمر وتذكره بأفضل الأوقات ، فلقد عانى شوقي من مهاجمة المشيب له واغتيال تلك اللحظات من حياته ومن ذلك قوله في وصف هذا الهجوم على الشباب:

وغال الحداثةَ شرخُ الشباب ولُوشِيَتِ المرد في الشَّيّب

1- ديوان أحمد شوقي الشوقيات ،تدقيق محمد فوزي حمزة ،مكتبة الأدباء، القاهرة ، ط2012،2، ص466.
2- شفق جيري، دراسة عن شوقى، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1 ،1997 ، ص 65.
3- ديوان أحمد شوقي الشوقيات، تدقيق محمد فوزي حمزة ،مكتبة الأدباء، القاهرة ، ط2 ،2012، ص 244- 245.
4- المدونة، ص 203.

سرى الشيب متّئدا في الرؤوس سُرى النار في الموضع المعشب
حريق أحاط بخيط الحياة تعجبتُ كيف عليهم غبي
ومن تظهر النار في داره وفي زرعه منهم يرعب [1]

يصف شوقي المشيب وفعله الإنسان وصفاء دقيقا، فالمشيب يسري في الرأس وينتشر بسرعة كما النار المشتعلة في الهشيم، فهو مقدمة لنهاية العمر حيث يرسم طريقا لملاقاة الله تبارك وتعالى - فكل إنسان عندما يشتغل رأسه شيبا يدرك النهاية التي باتت قريبة جدا ،لأن ذلك من سنة الله في خلقه و من ذلك الحنين إلى شبابه ما أنشأه من أشعار باكيًا فيها انقضاء شبابه وذهابه إلى غير رجعة حيث يصف حنين قلبه لتلك الأيام التي مرت عليه، وقد شكلت له جمالا كبيرا، وتركت في نفسه شوقا وتوقا لتلك الذكريات حيث يقول:

أبكي الصِباء رخيًّا من أعنته جرى بنا لمدى اللذات يقطعه
صحا الفؤاد على آثار كبوته إلا أمانيّ لا تنفك تخدعه
إذا تمثلته في اللب طار له ورفرف القلب حتى خِفت يتبعه
أقول للنفس عنه لا أغالطها مضى به زمن هيهات يرجعه
إذا صِبا المرء ولى غير مرتجع فما له بالتصابي لا يودعه [2]

يصل شوقي إلى الحقيقة المرة أن عهد الصبا لا يمكن أن يرجعه الزمان، ومع ذلك يبقى يذكر ذلك، لأن القلب لم يحتمل فقدان تلك الأيام فأصبح يعيش في ذكرياتها، ويخفق كلما سمع بأخبارها ويرفرف كالطير الجريح من آلام الفقد والوجد. إن شوقي عند حديثه عن أيام الصبا فإنه يخاطب قلبه، ومخاطبة القلب ومناجاته دليل على الشوق والحنين لأيام مضت، قضى فيها أجمل الأوقات وأثمنها، تلك الحالة الشعورية المسيطرة على شوقي كلما تذكر ذكرياته الجميلة تجبره عن الحديث عنها والغوض في أمنياته التي يأمل أن تعود ،وهو في ذلك يوصل فكرة جميلة عن تلك الفترات مفادها أن الإنسان مجرد ذكرى فعليه أن يستغل تلك الأوقات حيث يقول في ذلك:

أقول لقلبي والهوى يزحم الهوى حوالي الصبا والوجد بالوجد يلتقى
إذا أنت لم تعط الشبيبة حقها ندمت على ما فات بعد التفرّق
وإنك حيّ ما خفقت مؤمّل وإن حياتي في حياتك فاخفق [3]

فواجب على المرء أن يتمتع بفترة شبابه، وأن يعيش في جو تلك الفترة، فشوقي يوصي أن تستغل تلك الأوقات فيما ينفع، لأن الإنسان سيندم على كل لحظة ضيعها من فترة شبابك ،و عليه أن يغتنمها فما مضى لا يمكن أن يعود ، فأيام الشبيبة تحمل في طياتها المرح والسرور فالمرء لم يرتبط بعد بمشاغل الحياة وشؤونها ولم تلق على عاتقه المسؤوليات المختلفة بل أنه متفرغ طول الوقت إلا من بعض مقومات الحياة.

إن من حنين شوقي الماضي تعلقه ببعض المناطق التي زارها وأثنى عليها ثناء حسنا والملاحظ لهذا الإطراء عن تلك الظاهرة التي أسهب فيها شوقي في تذكر أيامه، يرى أن الماضي الجميل عنده ترك أثرا واضحا في اشعاره والأمثلة تطول على هذا الغرض ومن ذلك قوله:

يا غابَ بولون، ولي ذِمَمٌ عليك، ولي عُهودُ
زمنٌ تقضَّى لِلهوَى ولنا بِظلّكَ، هل يعود؟
حلمٌ أريد رجوعه ورجوع أحلامي بعيدُ
وهبِ الزمانَ أعادها هل للشبيبة من يعيدُ؟
يا غاب بولونٍ وبي وجدٌ مع الذكرى يزيدُ
خفقت لرؤيتك الضلوعُ وزُلزل القلبُ العميدُ
وأراك أقسى ما عهدت فما تميل ولا تميدُ
كم يا جماد قساوةً كم هكذا أبدًا جحودُ؟
هلا ذكرْت زمان كُنّا والزمان كما نريدُ؟ [1]

1- المدونة، ص 99.
2- ديوان أحمد شوقي الشوقيات تدقيق محمد فوزي حمزة ،مكتبة الأدباء، القاهرة ، ط2 ،2012، ص 416.
3- المدونة، ص 459.

لم يتمالك شوقي نفسه عندما أخذ يتحدث عن مكان أحبه وتفيأ ظلاله بعدما زاره بعد عمر طويل يلتفت الى أيام شبابه الجميلة التي قضاها في هذه الأمكنة ، فيرجع بألم وحسرة على تلك الأوقات ،هذه الأحلام التي يتمنى شوقي عودتها وأن يعيش في أكنافها مرارا وتكرارا لكنه، يقر ببعد الرجوع لهذه الأزمان، ويفترض جدلا أن الزمان أعاد تلك الأوقات فلا يمكن أن يعود الشباب، فيكتفي بمخاطبة (غاب بولون) بأن وجده يزيد بزيارة الذكرى، هذا المكان الذي مكث فيه أزهى الأوقات وأجملها حيث الراحة والطمأنينة والنشاط العاطفي ، فغاب بولون مقصد للعشاق والمحبين لشدة جمالها وسحرها ومناظرها الخلابة، فقلب شوقي يتزلزل كالجبل الأشم من الذكرى ، ومن الحنين لتلك الأيام والعهود التي قطعها شوقي على نفسه ، لكن المكان الذي قصده شوقي بعد طول غياب لم يقابله نفس الشعور الذي يكنه لأنه جماد، فينكر عليه شوقي هذا الجحود ويذكره بالأيام الخوالي التي قضاها في ربوعه، و ليس ببعيد عن فرنسا يخاطب شوقي مدينة باريس التي قضى بها وقتا للدراسة فتنقل بين أماكنها الجذابة التي تسحر العيون والقلوب فهي عنوان الجمال على مر العصور ومن تلك المخاطبة التي توحي بنوع من الحنين لأيام قضاها في مدينة الأضواء:

يا مَكتَبي قَبلَ الشَبابِ وَمَلعَبي وَمَقيلَ أَيّامِ الشَبابِ النوكِ
وَمَراحَ لَذّاتي وَمَغداها عَلى أُفُقٍ كَجَنّاتِ النَعيمِ ضَحوكِ
وَسَماءَ وَحيِ الشِعرِ مِن مُتَدَفِّقٍ سَلِسٍ عَلى نَولِ السَماءِ مَحوكِ[2]

لقد عاد شوقي بذكرياته إلى مدينة باريس فغلبه الشوق والحنين لتلك الأيام، فأخذ يعدد جماليات تلك المدينة، ويذكر أيامه فيها فكانت ملعبه وأنسه ومن بين أرجائها غذيت ربة الشعر عنده، فكانت سببا في بروز تلك الملكة الشعرية الفذة.أما حنينه لأيام قضاها بالأستانة التي كانت عامرة بالخلافة الإسلامية ومرجعا لكل مسلم، فقد كان حنينه مختلفا لتلك الأيام حيث الجمال الروحي والجمال الحقيقي المنتشر بين أطرافها، ووصفه لها بأنها جنة الدنيا بداخله الشيء الكثير تجاهها ومن ذلك ما جاء في أشعاره المختلفة حيث يقول:

تجلد للرحيل فما استطاعا وداعا جنة الدنيا وداعا
عسى الأيام تجمعني فإني أرى العيش افتراقا واجتماعا
ألا ليت البلاد لها قلوب كما للناس تنفطر التياعا
وليت لدى فروق بعض بثي وما فعل الفراق غداة راعا
أما والله لو علمت مكاني لأنطقت المآذن والقلاعا
حوت رق القواضب والعوالي فلما ضفتها حوت اليراعا
سألت القلب عن تلك الليالي أكن لياليا أم كن ساعا
فقال القلب بل مرت عجالا كدقاتي لذكراها سراعا[3]

فشوقي لم يستطع نسيان تلك الأيام في الأستانة لما شملته من جمالها الساحر وأجوائها التي تبعث في النفس الراحة والاطمئنان، فهو متعلق بالذكرى لتلك الليالي التي مرت سريعا مرور البرق، يسأل نفسه هل هي بالفعل كانت ليالي أم كانت ساعة ؟ سؤال يوحي بسرعة الأوقات التي مرت فالأوقات الجميلة تنقضي بشكل سريع، فالذكرى ساكنة في أعماق قلبه ومن حنين شوقي ما يقوله في وصف احدى الليالي الخالية

يا ليلة البال ما خالوك راقصة إلا وأنت جمال الدهر والحقب
كم لذة بك ولت وانقضت وخلت وذكرها فيه لم يبرح ولم يغب[4]

تلك الليالي التي أحيت الحنين في قلب شوقي وكيانه، فذكراها خالدة مخلدة في تفكيره فهي مثال للجمال وللذات التي قضاها في أيام شبابه حيث جعلها من الأمور التي يسلي النفس بها كلما مرت عليه ضائقة ما، أو عندما يريد أن يبحر في ماضيه الجميل.

رابعا: الحنين الديني

غلبت على شوقي الدينية، فلقد كان كثيرا الحديث عن شؤون المسلمين وما يحدث لهم من طوارئ في الحياة فقد وصفه الدكتور محمد حسين هيكل غي مقدمة الديوان بأنه: " مؤمن عامر النفس بالإيمان مسلم يقدس

1- المدونة، ص275.
2- ديوان أحمد شوقي الشوقيات، تدقيق: محمد فوزي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2012، ص 275.
3- المدونة، ص 409.
4- ديوان أحمد شوقي الشوقيات، تدقيق: محمد فوزي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2012، ص 171.

أخوة المسلمين، ويجعل من دولة الخلافة قدسا تفيض عليه شؤونه وحوادثه وحي الشعر وإلهامه حكيم يرى الحكمة ملاك الحياة وقوامها محافظ في اللغة العربية تتسع لكل صورة ولكل معنى ولكل فكرة ولكل خيال"[1].

ثم يردف قائلا: فشوقي شاعر الإسلام والمسلمين، كما أنه شاعر مصر وشاعر الشرق، وعاطفة المسلم تتجه حتى العصور الأخيرة إلى جهتين، ثم إلى قومين : فهي تتجه صوب مكة مسقط النبي -صلى الله عليه وسلم- ومقام إبراهيم عليه السلام-كعبة المسلمين وقبله أنظارهم ومكة في بلاد العرب والنبي عربي والقرآن عربي. وهي تتجه أو كانت تتجه صوب الأستانة مقر الخلافة الإسلامية ومقام الخليفة من آل عثمان- والأستانة عاصمة الترك، وخليفة المسلمين كان في تركيا ، فكل مسلم تعنيه وحدة المسلمين كان يتجه ببصره- إلى حيث ألغيت الخلافة. نحو مكة ونحو الاستانة يستمد من الأولى المدد الروحي، ومن الثانية مدد السيف والمدفع" [2].

وتذكر سعاد عبد الوهاب عبد الكريم هذه النزعة الواضحة في شعر شوقي فتقول : "أما شوقي فقد تفوق على أقرانه من الشعراء، في شعره الإسلامي، وأصبح هذا التيار وضحا في صوره الشعرية، وأصبحت هذه القيم الدينية في قداستها تشكل جانبا من وعيه الشعري لقد تمثل الحنين الديني عند شوقي في عدة محاور، وعند حديثه عن أي منها كانت تفوح رائحة الشوق والحنين لكل منها فهي متعلقة بالدين الإسلامي الحنيف، ووجد شوقي في التيار الإسلامي معجما ثريا يستمد منه مادته التعبيرية والتصويرية"[3]،

لقد تمثل الحنين الديني عند شوقي في عدة محاور فهو شاعر الإسلام والمدافع عن أمور المسلمين، ومن الأمور الدالة على الحنين عند شوقي:

* المدائح النبوية
* حنينه إلى الديار المقدسة
* حنينه لمجد المسلمين و تاريخهم و حضارتهم

خامسا: الحنين الى المحبوب

يعتبر الحنين إلى المحبوب ترجمة للأحاسيس العاطفية تجاه الطرف الآخر، وهذا أمر فطري في النفس ، وفيه يعبر الإنسان بما يشعر تجاه من يحب فالحنين إلى المحبوب: موقف شعوري صادق تغذيه التجربة بالألم ، وترفده المشاعر ورهافتها، فيفيض على لسان الشاعر قصائد ومقطوعات عذبة، تنم عن شفافية الإحساس وزحم العواطف المتقدة في صدره ويقصد بالمحبوب هو الحبيبة أو المعشوقة التي تراءت في حنين الشاعر فأحس بفقدها وانعكست ذكرياته معها على اشعاره.

يندرج غرض الحنين إلى المحبوب تحت غرض الغزل، وشوقي طرق جميع أغراض الشعر العربي، ومنها الغزل جاء غزله على نوعين: "أحدهما يبدأ به القصيدة على عادة القدماء ويتخذه قنطرة للوصول إلى الغرض الأصلي منها، كما كانوا يفعلون. والآخر لم يتخذه صلة ولا قنطرة، وإنما قصد به الغزل نفسه، وترجمة شعور ووجدانه، وتصوير ما يعتمل في نفسه من عواطف مشبوبة وأحاسيس متقدة"[4]. ولعل أصدق الغزل ما يقال في ذاته وليس وسيلة للدخول في موضوع ما، أو جريا على عادة الأوائل.

ظهر حنين شوقي إلى المحبوب بشكل واضح في أشعاره الغزلية، فعبر عن هذا الحنين تعبيرا صادقا مترجمة بلغة توحي بالتأثير الكبير للحب والعشق في قلبه، حيث يقول في ترحيبه:

فدتك الجوانحُ من نازلِ وأهلاً بطيْفكَ من واصِل
بذلت له الجفنَ دون الكرى ومَنْ بالكرى للشجِي الباذِل؟
وقلت: أراك برغم العذو فنابَ السهادُ عن العاذل
فوَيْحَ المتيَّمِ!! حتى الخيالُ إذا زارَ لم يَخْلُ من حائل
يَحِنُّ إليك ضلوعٌ عَفَتْ من البيْن في جَسَدٍ ناحل
وقلبٌ جوٍ عندها خافقٌ تعَلّقَ بالسَّنَدِ المائل
ومن عبثِ العشقِ بالعاشقين حنينُ القتيل إلى القاتل[5]

1- سعاد عبد الوهاب عبد الكريم، اسلاميات أحمد شوقي دراسة نقدية، مطابع الحيرة، القاهرة ،ط1، 1985، ص 54.
2- عبد العزيز التبني، مقدمة القصيدة عند شعراء مدرسة الإحياء و البعث رسالة ماجستير جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية 2010، ص 28.
3- المرجع السابق، ص 4-5.
4- عباس حسن، المتنبي وشوقي، دراسة ونقد وموازنة، مطبعة الحلي، القاهرة ،ط1، 1951، ص 350.
5- ديوان أحمد شوقي الشوقيات ، تدقيق محمد فوزي حمزة ،مكتبة الأدباء، القاهرة ، ط2 ،2012، ص 537.

يصف شوقي في الأبيات السابقة شوقه وحنينه لمحبوبه، حيث الفداء للمحبوب الذي حل نازلا و واصلا له ،فلقد ركب الصعب وتحمل المشقات في حبه وعشقه له، فالحنين أهلك ضلوعه وأضعف جسده ، فهو لا يقوى على البعد ولا يحتمل الهجر، فلا يملك شوقي إلا الإفصاح عما يجول في صدره من حنين إلى من أحب، فالضلوع تحن لذلك المحبوب والقلب متعلق بها خافق كلما سمع سيرتها فالعشق ملأ كيانه و سيطر على وجدانه ، فيشبه تلاعب العشق بالعاشقين وسيطرته عليهم بحنين القاتل لقاتله، وفي هذا دلالة لشدة حنينه وشوقه إلى محبوبه الذي حل بثنايا القلب. ومن ذلك الحنين للمحبوب ما نظمه شوقي في العتاب، فهو لا يطيق البعد عن محبوبه حتى عندما يقرر البعد يحاربه القلب ويهجره الرقاد وتظلم الدنيا أمام ناظريه، فالمحبوب نزل سويداء القلب، حيث يقول شوقي وصفا حنينه:

أريدُ سُلوَّكم، والقلبُ يأبَى وعتبكُم ، وملءُ النفس عُتْبى
وأهجركم، فيهجرني رُقادي ويُضوِيني الظلامُ أَسًى وكرْبا
واذكركم برؤيةِ كلِّ حُسْنٍ فيصبو ناظري، والقلب أصبى
وأشكو من عذابي في هواكم وأجزيكم عن التعذيبِ حُبّا
وأعلمُ أن دَأبكُمُ جَفَائي فما بالي جعلتُ الحبَّ دأبا؟
ورُبَّ مُعاتِبٍ كالعيش، يشكى وملءُ النفس منه هَوًى وعُتْبى
أتَجزيني عن الزُّلْفَى نِفاراً؟ عَتَبَتكَ بالهوى، وكفاك عَتبا
فكلّ ملاحة في الناس ذنبٌ إذا عُدّ النِّفارُ عليكَ ذنبا
أخذتُ هواك عن عيني وقلبي فعيني قد دَعَتْ، والقلبُ لَبّى
وأنتَ من المحاسن في مِثال فديتكَ قالَباً فيه وقَلْبا
أَحِبُّكَ حين تثني الجيدَ تِيهاً وأخشى أن يصيرَ التِّيهُ دَأبا[1]

لقد هام شوقي في محبوبه، فرأى فيه كل الحسن، فلا يستطيع هجره لأن الهجر معناه ضياع شوق في بحور الحزن والأسى ورميه للمهالك ، حيث القلب والحنين والجسد متعلقان بهذا المحبوب الذي رسم الشاعر طريقا محددا لا يحيد عنه، حتى عندما يريد ذلك المحبوب هجر الشاعر فلا يستطيع شوقي أن يبادله ذلك الفعل، لأن الجمال والحسن ارتبطا بالمحبوب ،فكلما رأى شوقي حسنا أو جمالا يصبح قلبه هذا من ذلك الحبيب ، إن شوقي لا يقدر إلاّ أن يعترف بسطوة هذا الحب عليه وشدة الحنين للمحبوب ومن ذلك قوله:

أخذتُ هواك عن عيني وقلبي فعيني قد دَعَتْ، والقلبُ لَبّى
وأنتَ من المحاسن في مِثال فديتكَ قالَباً فيه وقَلْبا
أَحِبُّكَ حين تثني الجيدَ تِيهاً وأخشى أن يصيرَ التِّيهُ دَأبا [2]

1- ديوان أحمد شوقي الشوقيات ، تدقيق محمد فوزي حمزة ،مكتبة الأدباء، القاهرة ، ط2 ،2012، ص 118.
2- المدونة، ص 118.

الفصل الثاني:
الـدراسـة الفنيــة

المبحث الأول: البنيـــة الدلاليـــة

ونقصد بها الأسلوب الذي يعرف لغة: بأنه السطر من النخيل، وكلُّ طريقٍ ممتدٍّ فهو أسلوبٌ والأسْلوبُ الطريق والوجهُ والمذهب ويُجمع أساليب[1].

أما اصطلاحا فتعددت التعريفات بحسب نظرة من تحدث عن الأسلوب ، ولعل شيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجاني يعطي تعريفا مختصرا شمل فيه كل النواحي الخاصة بهذا المصطلح فيقول: " والأسلوب الضرب من النظم والطريقة فيه"[2]، أما ابن خلدون فيذكر كلاما جميلا في تعريفه لمدلول لفظة الأسلوب ، فيقول : " هو عبارة عن المنوال الذي تنسج فيه التراكيب، أو القالب الذي يفرغ فيه ، ولا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته كمال المعنى الذي هو وظيفة الإعراب، ولا باعتبار إفادته أصل المعنى من خواص التراكيب، الذي هو وظيفة البلاغة والبيان؛ ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب فيه الذي هو وظيفة العروض. فهذه العلوم الثلاثة خارجة عن هذه الصناعة الشعرية؛ وإنما ترجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص. وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها ويصيرها في الخيال كالقالب أو المنوال، ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان؛ فيرصها فيه رصا، كما يفعله البناء في القالب أو النساج في المنوال، حتى يتسع القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام"[3].

فالأسلوب: " طريقة الكتابة، أو طريقة الإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير، أو الضرب من النظم والطريقة فيه[4].

ويذكر أحمد أمين " بأن الأسلوب ما هو إلا صفة من صفات الشخصية، فهو عبارة عن اختيار الكلمات وانسجام العبارات وترتيب الجمل في قالب موسيقي خاص، فكل ذلك خاص بالكاتب أو الشاعر، فالأسلوب كل لا يتجزأ"[5].

" فالأسلوب الأدبي ينحل إلى عناصر ثلاث: الأفكار والصور والعبارات، وكذلك يكون الاختيار الذي يتناول الأفكار والصور والعبارات عملا أسلوبية، هو طريقة الصياغة التي تتصرف في تلك العناصر بما تراه أليق بموضوع الكلام[6].

إن الأسلوب هو المنهج الذي يسير عليه الشاعر أو الكاتب ، ويتكون ذلك المنهج من خلال طريقة الشاعر في كتابته للشعر، بحيث يتسم بهذا المنهج ويعرف به، وهذا ما يلامس عند قراءة شعر أحمد شوقي، فإنك تحس بأسلوبه الخاص بين ثنايا العبارات والألفاظ والتراكيب والصور والفكرة التي يحملها.

لقد تجلت سمات أسلوب شوقي عند حديثه عن غربته وحنينه، فاتسمت تلك الأشعار بصدق العاطفة، وقوة الألفاظ وجزالتها، ودقة تصميم التراكيب المتناغمة والجو النفسي الذي يعيشه الشاعر، فقد ركب شوقي السهل الممتنع لإيصال عواطفه وصبها في قالب شعر رائع وموسيقا موافقة لحديث الشاعر عن شعوره بالغربة وحنينه إلى الوطن وإلى الأهل والأصدقاء والذكريات الجميلة، والأمكنة التي شكلت عنصرا للسعادة في حله وترحاله، والحنين الديني والحنين إلى المحبوب.

جاءت ألفاظ الغربة والحنين عند شوقي لتسهم في إبراز أحاسيسه وتوضح ما يعانيه من ضغط نفسي هائل، فشعر الغربة والحنين عبارة عن تفريغ انفعالي للمأساة التي يعيشها الشاعر، وذلك أثر على ألفاظ شوقي فجاءت واضحة جلية لتخدم الغرض التي جيئت من أجله، وانقسمت ألفاظ الغربة والحنين عند شوقي لقسمين، حيث استخدم ألفاظ الغربة مباشرة عند الحديث عن الغربة، حيث يقول:

أَبُثّكَ وَجْدي يا حَمامُ، وأَودِعُ ... فإنك دونَ الطيرِ للسرّ موضعُ
وأنت مُعينُ العاشقين على الهوى ... تئِنُّ فنُصْغي، أو تحنُّ فنَسْمَع
أَراك يَمانِيّاً، ومصرُ خميلتي ... كلانا غريبٌ، نازحُ الدارِ، مُوجَع
هما اثنان: دانٍ في التغرُّب آمنٌ ... وناءٍ على قربِ الديار مروع[7]

1- ابن منظور، لسان العرب،دار صادر ، ، بيروت، ط1،د سنة، مادة (سلب) 1/ 473.
2- عبد القاهر الجرجاني ،دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق محمود شاكر، مكتبة مطبعة المدني، القاهرة ، ط3 ، 1992 م، ص 468-469.
3- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط 2، 1988م،1/ص 786.
4- أحمد الشايب، الأسلوب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط7، 1976م، ص 44.
5- أحمد أمين، في النقد الأدبي، ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 4، 1967م، 1/ 130.
6- أحمد الشايب، الأسلوب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط7، 1976م، ص 52.
7- ديوان أحمد شوقي الشوقيات، تدقيق: محمد فوزي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2012، ص 413.

فلقد استخدم شوقي عددا من الألفاظ الدالة على الغربة صراحة ، وظهر ذلك عندما خاطب الحمام ، حيث استخدم كلمة غريب ، والتغرب ، وكلاهما من مادة غرب.

ومن تلك الألفاظ ما صرح به في مطلع قصيدته والتي بعنوان (أندلسية) والتي بث فيها آهات غربته وشدة حنينه لمصر حيث يقول:

يا نائح (الطلح) أشباه عوادينا نشجى لواديك أم نأسى لوادينا ؟
ماذا تقص علينا غير أن يـدا قصت جناحك جالت فى حواشينا
رمى بنا البين أيكا غير سامرنا أخـا الغريب : وظلا غير نادينا
كلٌّ رمَتْه النَّوى: رِيشَ الفراقُ لنا سَهْماً ، وسلّ عليكَ البينُ سِكِّينا [1]

ومن ألفاظ الغربة كذلك قوله:

مغرب آدم من دار عدن قضاها في حماك لي اغترابا [2]

حيث صرح بألفاظ الغربة، مثل: (مُغَرب، اغترابا) وكان ذلك عند وداعه لبلاد الأندلس متجها لوطنه مصر.

ومن تلك الألفاظ التي تحمل معاني الغربة والتشرد ما ذكره شوقي من معاناة عايشها في الأندلس تمثلت تلك المعاناة في منعه من التوجه لوطنه وشعوره بالنزوح القسري عن الوطن ، حيث استخدم كلمة نازح للدلالة على عظم المعاناة فيقول:

آهـا لنا نازحى إيك بأندلـس وإن حللنا رفيـفاً من روابينـا
رسم وقفنا على رسم الوفاء لـه نجيش بالدمع ، والإجلال يثنينـا [3]

ومن تلك الألفاظ التي تحمل معنى الغربة ما ذكره في البيتين السابقين (آها- نازحي- نجيش- الدمع) فالكلمات السابقة تدل على الحزن الشديد لفراق الوطن والتغرب عنه.

ومن الألفاظ الدالة على الغربة كلمات البعد والغياب وذلك قد جمع في قصيدة واحدة تحدث فيها شوقي عن غربته عن بلاد النيل وشوقه لشربة واحدة منه، حيث يقول:

يا ساكني مِصرَ إنّا لا نَزالُ على عَهْدِ الوَفاءِ وإنْ غِبْنا مُقِيمِينَا
هَلاّ بَعَثْتُمْ لنا من ماءِ نَهرِكُمُ شيئاً نَبُلُّ به أَحْشاءَ صادِينَا
كلُّ المَناهِلِ بَعدَ النِّيلِ آسِنَة ما أَبْعَدَ النِّيلَ إلاّ عَنْ أمانِينَا [4]

إن الألفاظ الدالة على الغربة كثيرة في شعر شوقي، وقد تعددت بحسب الموضوع المتحدث عنه في القصائد المختلفة التي نظمت لغرضها المحدد ، فاستخدامه لكلمة النفي جاء تعبيرا عن رفضه المطلق للغربة، حيث يقول:

لولا عوادى النَّفْيِ أو عقباتُه والنفىُ حالٌ من عذاب جَهَنَّم [5]

ومن تلك الألفاظ التي توحي بالحزن نتيجة آلام الغربة، والتي تركت القلب يبكي ألما وحزنا ما ذكره شوقي في قصيدة عبر فيها عن شعوره بالاغتراب حيث يقول:

قلبٌ يذوب ، ومدمعٌ يجري يا ليلُ ، هل خيرٌعن الفجر
حالت نجومك دون مطلعه لا تبتغي حِوَلاً، ولا يسري
وتطاولَتْ جُنْحاً، فخُيِّل لي أَن الصباحَ رهينة الحشر [6]

فجاءت الألفاظ (يذوب، مدمع) لتوحي بمدى الحزن المسيطر على شوقي، وفي بعض القصائد جمعت ألفاظ الغربة ومدلولاتها لتزيد من وضوح مؤثرات الغربة عنده، ومن ذلك قوله:

ومضطرب لا يهدأ الأيك تحته له مثل ما بي أنَّةٌ وزفير
برى البين ظُفريه وأذهب ريشه وهدّ جناحيه فكيف يطير

1- المدونة، ص 670.
2- المدونة، ص105.
3- ديوان أحمد شوقي الشوقيات،تدقيق محمد فوزي،مكتبة الآداب ،القاهرة، ط2 ،2012، ص 671.
4- المدونة، ص677.
5- المدونة، ص 605.
6- المدونة، ص 575.

يكاد يلين الجذع من زفراته ويبس منها الفرع وهو نضير
كلانا غريب في المضاجع ليله طويل وليل العالمين قصير
أقول له والغُدر بيني وبينه ومن مدمعينا جدول وغدير [1]

فلقد صرح بلفظ مباشر عن الغربة والاغتراب بلفظ (غريب) حيث وصف نفسه بالغريب، وعدد من دلالات الغربة وآثارها بألفاظ عديدة، مثل: (مضطرب، أنة، زفير، البين، الغدر، مدمع).

أما ألفاظ الحنين المباشرة ومرادفاتها فلم تقل عن ألفاظ الغربة، فكلاهما مكملان لبعضهما، حيث جاءت ألفاظ الحنين متناثرة في القصائد التي عبر شوقي فيها عن حنينه، ومثال ذلك قوله في شوقه لمن أحبهم:

ناب الحنين إليكم فى خواطرنا عن الدلال عليكم فى أمانينـا [2]

ففي البيت السابق ورد لفظ الحنين بصورة مباشرة ، معبرا عن تلك العاطفة الجياشة في قلب الشاعر، فالحنين للأهل والأحباب قد غاص في سويداء القلب، وكلمة الحنين ساعدت في رسم المعنى الدقيق لما يريده الشاعر، ومن الألفاظ المباشرة لغرض الحنين ما جاء في تغنيه بالمحبوب، حيث يقول:

يَحِنُّ إليك ضلوعٌ عَفَتْ من البيْن في جَسَدٍ ناحل
وقلبٌ جوٍ عندها خافقٌ تعَلّقَ بالسَّنَدِ المائل
ومن عبثِ العشقِ بالعاشقين حنينُ القتيل إلى القاتل[3]

لقد جاءت كلمتان مباشرتان للفظ الحنين ومن نفس مادة (حنن) لتزيد من المعنى، وتوضح الفكرة، فجاءت لفظة (يحن) ولفظة (حنين)، ومن الألفاظ غير المباشرة الواردة في الأبيات السابقة: (خافق، العشق) حيث ساعدت في تقوية المعنى.

إن الألفاظ الدالة على الحنين كثيرة في معجم شوقي، فمنها اللفظ المباشر، ومنها غير المباشر، وتجد ذلك في معظم قصائده وقد جمعا سوية، ومثال ذلك قوله في حنينه إلى المحبوب:

حنانيك قلبي هل أعيدُ لك الصِّبا وهل للفتى بالمستحيل يَدان
نحنُّ إلى ذاك الزمانِ وطيبه وهل أنتَ إلا من دم وحَنان
إذا لم تصن عهداً ، ولم ترعَ ذمة ولم تدكر إلفا ؛ فلست جناني
أَتذكر إذ نُعْطِي الصَّبابة حقّها ونشرب من صرف الهوى بدنان [4]

فمن ألفاظ الحنين المباشرة الواردة في الأبيات السابقة كلمة (تحن) وكلمة (حنانيك) وكلمة (حنان)، ومن الألفاظ غير المباشرة الدالة على الحنين كلمة (ذكر) و(الصبابة).

فالأمثلة كثيرة على ألفاظ الحنين عند شوقي، تعددت تلك الألفاظ عند حديثه عن الحنين إلى الوطن، ومثال ذلك:

يا من هجرت إلى الأوطان رؤيته فرُحْتُ أشوقَ مُشتاقٍ لأوطان
أتذكرين حنيني في الزمان لها وسَكْبِيَ الدّمعَ من تذْكارها قاني [5]

حيث جاءت كلمة الحنين صريحة في البيت الثاني، وجاءت بعض الكلمات تحمل معنى الحنين، مثل: (أشوق، مشتاق، أتذكرين، تذكارها). ومن الألفاظ الواردة في حنين شوقي لأهله ما يذكره في حنينه لأمه حيث يقول:

كنز(بحلوان) عند الله نطلبه خير الودائع من خير المؤدينا
لو غاب كل عزيز عنه غيبتنـا لم يأته الشوق إلا من نواحينا
إذا حملنا لمصر أوله شجنـا لم ندر أي هوى الأمين شاجينا[6]

فالكلمات (عزيز، الشوق، شجن، هوى، شاجينا) دلت على حنينه لأمه، وعبرت كذلك عن حنينه لوطنه مصر. ومن تلك الألفاظ الدالة على الحنين ما أنشده وهو على ظهر السفينة عندما رأى طفلة تشبه ابنته أمينة، فقال:

1- ديوان أحمد شوقي الشوقيات، تدقيق: محمد فوزي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2012، ص 327.
2- المدونة، ص 682.
3- المدونة، ص 537.
4- المدونة، ص 713.
5- ديوان أحمد شوقي الشوقيات، تدقيق: محمد فوزي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2012، ص 704.
6- المدونة، ص 683-684.

أنتِ في الفُلْك بَهـــاءٌ وهْوَ في (حُلْوَانَ) زينه
ناجِهِ، واذكرْ له وجْـ ـــدَ أبيه، وحَنِينَه[1]

فقد استخدم لفظ الحنين صراحة في قوله (حنينه)، ولفظ (الوجد) للدلالة على شدة شوقه لابنته أمينة.

أما الألفاظ الدالة على الحنين إلى الذكريات الماضية فقوله في حنين شوقي الأجمل لحظات العمر في مرحلة الشباب:

أقول لقلبي والهوى يزحم الهوى حوالي الصبا والوجد بالوجد يلتقى
إذا أنت لم تعط الشبيبة حقها ندمت على ما فات بعد التفرّق
وإنك حيّ ما خفقت مؤمّل وإن حياتي في حياتك فاخفق[2]

حيث جاءت كلمات تساعد في إظهار حنينه، مثل: (الوجد، الهوى، التفرق)، أما ألفاظه في حنينه إلى المحبوب فكثيرة ومثالها قوله:

يمدُّ الدُّجى في لوعتي ويزيدُ ويُبدِيءُ بَثِّي في الهوى ويُعيدُ
إذا طال واستعصى فما هي ليلة ولكنْ ليالٍ ما لهنّ عَدِيدُ
أَرِقْتُ وعادتني لذكرى أَحِبَّتي شجونٌ قيامٌ بالضلوع قعودُ
ومَنْ يَحْمِلِ الأشواقَ يتعَب، ويَختلفْ عليهِ قديمٌ في الهوى ، وجديد
لقيت الذي لم يلق قلبٌ من الهوى لك الله يا قلبي، أأنت حديد
لم أَخْلُ من وجْدٍ عليك، ورِقّةٍ إذا حلَّ غِيدٌ، أو ترحَّل غِيدُ[3]

حيث جاءت ألفاظ عديدة أسهمت في رسم حدود ذلك الحنين، فقد ورد كلمات أخذت على عاتقها إظهار الحنين، منها: (لوعتي، أرقت، ذكري، شجون، الأشواق، الهوى، وجد).

أسهمت ألفاظ الغربة والحنين السابقة في إبراز تلك العاطفة الإنسانية الجياشة، فكانت ألفاظها المباشرة أو غير المباشرة وسيلة للتعبير عن صدق التجربة الشعورية عند شوقي.

أولا: التناص

تعريفه لغة: " التناص رفْعك الشيء نص الحديث ينصه نصا رفعه وكل ما أظهر فقد نُص ، قال الأزهري النص أصله منتهي الأشياء ومبلغ أقصاها ومنه قيل نصصت الرجل إذا استقصيت مسألته عن الشيء حتى تستخرج كل ما عنده"[4].

أما اصطلاحا فهو عند (جوليا كرستيفا) أول من جاء بهذا المصطلح : " كل نص يتشكل من تركيبة فسيفسائية من الاقتباسات، وكل نص هو تشرب وتحويل النصوص أخرى"[5].

ويرى كذلك أن التناص " قانون جوهري: إذ هي نصوص تتم صناعتها عبر امتصاص، وفي الوقت نفسه هدم النصوص الأخرى للفضاء المتداخل نصيا ويمكن التعبير عن ذلك بأنه ترابطات متناظرة ذات طابع خطابي"[6].

"التناص من أبرز بنيات الشعر الحداثي، ومن أدق خصائص بنيته التركيبية والدلالية، حيث يمثل التناص استحضار نصوص غائبة سابقة في النص الحاضر لوظيفة معنوية أو فنية أو أسلوبية[7]، وهناك من النقاد من حاول أن يوالف بين العديد من التعريفات لمصطلح التناص لما صاحب هذا المصطلح تسميات عديدة بسبب أصله الغربي، فالناقد محمد مفتاح يعرفه بأنه: "تعالق نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة "[8]، فالتناص عنده : "ظاهرة لغوية معقدة تستعصي على الضبط والتلقين، إذ يعتمد في تمييزها على ثقافة المتلقي،

1- المدونة، ص 665.
2- المدونة، ص 459.
3- ديوان أحمد شوقي الشوقيات، تدقيق: محمد فوزي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2012، ص 244.
4- ابن منظور، لسان العرب،دار صادر، بيروت، ط1، د سنة، مادة (نصص)، 7/98-97.
5- عبد الله الغذامي ،الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية - قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر، النادي الثقافي الأدبي، جدة ، ط1 1985م، ص 13.
6- جوليا كريستيفا، علم النص، ترفريد الزاهي، مراجعة عبد الجليل ناظم، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 1991م، ص 79.
7- حسن البنداري، عبد الجليل صرصور، عبلة ثابت، التناص في الشعر الفلسطيني المعاصر، مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية، 2009، المجلد 11، العدد 02، ص 241.
8- محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 1992م، ص 121 .

وسعة معرفته وقدرته على الترجيح "[1]، وما صرح به محمد مفتاح يصيب كبد الحقيقة، فلا يمكن للناقد التعرف على التناص داخل نص ما إلا إذا كانت ثقافته واسعة، عند ذلك يستطيع معرفة التحولات داخل النص الأدبي.

فالتناص على اختلاف مسمياته سواء التداخل النصي أو التعالقية النصية أو النص الغائب هو وجود علاقة بين نصين أحدهما سابق والأخر لاحق ، وهذه العلاقة قد تكون على صعيد الشكل أو المضمون أو كليهما معا، متكئة على نماذج متعددة نحو: الاقتباس أو التضمين أو الإيماء أو الإشارة[2]. وذلك باعتماده على الجذور التاريخية للتناص في الأدب العربي.

وهذا حاضر وبقوة عند شوقي؛ لأن شوقي من رواد مدرسة الإحياء والبعث التي استقت منهجها وأسلوبها من التراث العربي وأخذت تبث الحياة من جديد في الشعر العربي ، لذلك نجد شوقي سائرا على النهج القديم مجددا ما أمكن له ذلك .

أما أمثلة التناص عند شوقي في أشعار الغربة والحنين ، فجاءت واضحة منتشرة في أكثر من قصيدة ، وذلك يرجع لثقافته الواسعة واطلاعه على ثقافات عديدة ، ومن تلك الأمثلة المقسمة وفق أنواع التناص كالآتي:

***التناص الديني:**

ويقصد به تداخل نصوص دينية مختارة عن طريق الاقتباس والتضمين من القرآن الكريم أو الحديث الشريف أو الكتب السماوية الأخرى مع النص الأصلي للقصيدة بحيث تنسجم هذه النصوص مع السياق الشعري ، وتؤدي غرضاً فكرية أو فنيا أو كليهما معا[3]. ويندرج تحت ذلك استخدام الألفاظ القرآنية وتوظيفها في نصوصه والأحاديث النبوية الشريفة ، ومثال ذلك قوله:

بِنتَ البِقاع وَأُمَّ بَردونِيَّها طيبي كَحِلّقَ وَاِسكُبي بَرداكِ
وَدِمَشقُ جَنّاتُ النَعيمِ وَإِنَّما أَلفَيتُ سُدَّةَ عَدنِهِنَّ رُباكِ
قَسَماً لَوِ اِنتَمَتِ الجَداوِلُ وَالرُبا لَتَهَلّلَ الفِردَوسُ ثُمَّ نَماكِ[4]

يتناص شوقي في هذه الأبيات مع قوله تعالى : " **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ ۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ** "[5]، حيث استخدم تركيب القرآن الكريم (جنات النعيم) في معرض حديثه عن جمال مدينة زحلة اللبنانية، ولم يقف عند ذلك الحد بل وظف ألفاظ القرآن الكريم مثل: (عدن، الفردوس)، لقد استخدم شوقي ذلك التركيب في أبيات عديدة، منها قوله في حنينه لباريس:

وَمَراحَ لَذّاتي وَمَغداها عَلى أُفُقٍ كَجَنّاتِ النَعيمِ ضَحوكِ
وَسَماءَ وَحيِ الشِعرِ مِن مُتَدَفِّقٍ سَلِسٍ عَلى نَولِ السَماءِ مَحوكِ[6]

ومنها قوله في رثائه لأمه وهو في المنفى ، وحنينه لأمه حيث يقول:

نزلْتُ رُبَى الدنيا، وجَنّاتِ عَدْنِها فما وَجَدَتْ نفسي لأنهارها طعما[7]

وعند حديثه عن المنفى وبعده عن وطنه يستدعي شوقي قصة آدم (عليه الصلاة والسلام) عندما أخرج من جنة الخلد، حيث يقول:

مُغرَّبُ آدمٍ من دار عَدْنٍ قضاها في حماكِ ليَ اغترابا[8]

لقد ظهر التناص الديني عند شوقي باستدعائه قصة آدم (عليه السلام) مع إبليس (لعنه الله) وذلك في قوله تعالى: " **فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ (120) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ (121) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ**

1- المرجع نفسه، ص 131.
2- مهند عباس زكي، ظاهرة التناص في الشوقيات، ، رسالة ماجستير، الجامعة العراقية، بغداد، 2011، ص 117.
3- ، د. أحمد الزعبي التناص، مقدمة نظرية مع دراسة تطبيقية ، مكتبة الكتاني، الأردن، ط1 ، 1993م، ص 11 .
4- ديوان أحمد شوقي الشوقيات،تدقيق محمد فوزي،مكتبة الآداب ،القاهرة، ط2 ،2012، ص 467.
5- سورة يونس، الآية 9.
6- المدونة، ص 472.
7- ديوان أحمد شوقي الشوقيات، تدقيق: محمد فوزي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2012، ص 550.
8- المدونة، 2012، ص 105.

فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ (122) قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (123)" [1].

وقد استخدم شوقي شخصية جبريل في إضفاء القدسية؛ ففي قصيدته (أندلسية) التي نظمها في منفاه بإسبانيا وفيها يحن للوطن العزيز ويصف كثيرا من مشاهده ومعاهده، يرسل تحية إلى مصر مع (جبريل) - عليه السلام - ليجعلها تحية مقدسة، فيقول في أبيات منها:

يـا سـاريَ الـبرقِ يَرمِي عن جوانِحنا ... بعدَ الهـدوءِ، ويهمِـي عـن مآقينـا
باللـهِ إن جُـبتَ ظلمـاءَ العُبـابِ على ... نجـائبِ النُّـورِ مَحْـدُوًّا (بجرينا)
تَـرُدُّ عنـك يـداه كـلَّ عاديـةٍ ... إنْسًـا يَعِثْـنَ فسـادً، أوشـياطينا [2]

فالتحية ترسل مع البرق هي صورة بسيطة تقليدية شائعة في الشعر القديم ، ولكن الجديد فيها هو محاولة شوقي إسباغها السمو والتقديس فجعل البرق كما لو كان قافلة تمضي على إبل نجيبة كريمة ؛ ولكن هذه الإبل إنما هي من نور (نجائب النور) ومما زاد المعنى قدسية هو جعل جبريل - عليه السلام - هو الذي يحدو بهذه الإبل"[3].

ومن ذلك قوله:

إذا خفضتُ جناح الذّلَّ أسألـه ... عِزَّ الشفاعةِ ؛ لم أسأل سوى أَمَم [4]

فقد وظف شوقي التعبير القرآني في قوله: (خَفَضْتُ جَنَاحَ الذُّلِّ) وذلك يتناص مع قوله تعالى: **"وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**[5].

*التناص الأدبي:

يعرف التناص الأدبي بأنه: " تداخل نصوص أدبية مختارة قديمة وحديثة، شعرا ونثرا مع النص الأصلي. بحيث تكون منسجمة ومتسع ودالة قدر الإمكان على الفكرة التي يقدمها أو يعلنها المؤلف أو الحالة التي يجسدها ويتحدث عنها"[6].

والتناص الأدبي عند شوقي متعدد المداخل، ومن الأمثلة على التناص الأدبي في الحنين استقاؤه المعاني والألفاظ تارة، والمعارضات تارة أخرى، فالمعارضات الشعرية كانت سمة ظاهرة عند شوقي، ومن أمثلتها في أشعار الغربة والحنين عنده معارضته للبحتري في سينيته التي يقول فيها:

صُنْتُ نَفْسِي عَمّا يُدَنّس نفسي، ... وَتَرَفّعتُ عن جَدا كلّ جِبْسِ [7]

"وهذه السينية التي يصف فيها إيوان كسرى، وهي التي أجمع الناس على استحسانها، والاعتراف بالفضل له فيها"[8]، وشوقي يعارض البحتري في سينيته في الأندلس، يبث خلالها آهات الغربة ونيران الحنين إلى الوطن، ومطلعها:

اِختِلافُ النَهارِ وَاللَيلِ يُنسي ... أُذكُرا لِيَ الصِبا وَأَيّامَ أَنسي [9]

أما التناص الأدبي المتمثل في المعاني والألفاظ فمثاله قول شوقي في تعبيره عن الحزن وشعوره بالاغتراب، فقد استدعى صورة الليل عن امرئ القيس، حيث يقول شوقي باثًا حزنه:

قلبٌ يذوب ، ومدمعٌ يجري ... يا ليلُ، هل خيرٌ عن الفجر
حالت نجومك دون مطلعه ... لا تبتغي حِوَلاً، ولا يسري
وتطاولَتْ جُنْحاً، فخُيِّل لي ... أَن الصباحَ رهينةُ الحشر
أَرسيتَها وملكتَ مذهبَها ... بدجنةٍ كسريرة الدهر
ظلمٌ تجيء بها وترجعها ... والموجُ منقلبٌ إلى البحر [1]

1- سورة طه، الآيات 120-123.
2- المدونة، ص 681.
3- د. أحمد الزعبي التناص مقدمة نظرية مع دراسة تطبيقية،مكتبة الكناني،الأردن،ط1993،1، ص 03.
4- المرجع نفسه ،ص 613.
5- سورة الإسراء، الآية 24.
6- مهند عباس زكي ،ظاهرة التناص في الشوقيات، رسالة ماجستير ،الجامعة العراقية، بغداد ،ص 112.
7- ديوان البحتري، تحقيق حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1964 م، 1152/2 .
8- أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري: ، تحقيق د. عبد الله المحارب، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط1، 1994 م، 667/3.
9- ديوان أحمد شوقي الشوقيات، تدقيق: محمد فوزي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2012، ص 384.

أما صورة الليل عند امرئ القيس فيمثلها قوله في معلقته الشهيرة:

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الهُمُوْمِ لِيَبْتَلِي
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وأَرْدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءَ بِكَلْكَلِ
ألاَ أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيْلُ ألاَ انْجَلِي بِصُبْحٍ، وَمَا الإِصْبَاحُ مِنكَ بِأَمْثَلِ
فَيَا لَكَ مَنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ بكل مُغار الفتل شُدّت بيذبل[2]

فلقد استوحي شوقي ذلك المعنى وصورة الليل الحزين من شعر امرئ القيس، " فحافظ شوقي بتناصه مع نص امرئ القيس الشعري على البنية اللفظية وكذا المعنوية، فلو عقدنا مقارنة لفظية بسيطة بين النصين لوجدنا ارتباط تناصية كبيرة بينهما (قلب يذوب ومدمع يجري- علي بأنواع الهموم ليبتلي)، (ياليل- ألا أيها الليل)، (هل خبر عن الفجر- ألا انجلي بصبح)، (حالت نجومك- كأن نجومه)، (لا تبتغي جو ولا يسري- بكل مغار الفتل شدت بيذبل)، (تطاولت جنحًا- تمطى بصلبه)، (ظلم تجيء بها - فيالك من ليل)، (والموج منقلب إلى البحر- كموج البحر) يمتص الشاعر تجربة امرئ القيس الشعرية في تصويره لليل المثقل بالأحزان والهموم فيعيد صياغة هيكليتها اللفظية، وفي هذا ترابط بين النصين السابق واللاحق عن طريق آليات التعبير"[3].

***التناص التاريخي:**

يعرف التناص التاريخي بأنه: " تداخل نصوص تاريخية مختارة قديمة أو حديثة مع النص الفني، بحيث تكون منسجمة ودالة قدر الإمكان على الفكرة التي يطرحها المؤلف أو الحالة التي يجسدها ويقدمها في عمله"[4]، فالشاعر يلجأ إلى التناص التاريخي؛ ليوظف أحداثا مهمة في قصيدته، أو يستدعي شخصيات تاريخية من شأنها إثراء العمل الأدبي، وتجسد ذلك عند شوقي في ذكره لأحداث تاريخية، واستدعاء شخصيات ذات دلالة تساهم في رسم المعاني التي يريدها، ومن أمثلة ذلك في شعر الغربة والحنين استدعاؤه لشخصية خالد بن الوليد (رضي الله عنه) في قوله:

اللهُ أَكبَرُ كَم في الفَتحِ مِن عَجَبٍ يا خالِدَ التُركِ جَدِّد خالِدَ العَرَبِ
صُلحٌ عَزيزٌ عَلى حَربٍ مُظَفَّرَةٍ فَالسَيفُ في غِمدِهِ وَالحَقُّ في النُصُبِ
يا حُسنَ أَمنِيَّةٍ في السَيفِ ما كَذَبَتْ وَطيبَ أَمنِيَّةٍ في الرَأيِ لَم تَخِبِ[5]

حيث جاء بشخصية خالد بن الوليد (رضي الله عنه) مثالا للبطولة في التاريخ الإسلامي، ورمزا للحنكة العسكرية، فالقصيدة تلك قيلت في إحدى المعارك للخلافة الإسلامية، حيث تعتبر تلك القصيدة من القصائد الجميلة في الخلافة العثمانية.

ومن التناص التاريخي قصيدته في دمشق واستحضار حقبة تاريخية رائعة في التاريخ الإسلامي، حيث العز والملك العظيم لبني الإسلام، ومنها قوله في حكم بني أمية الذين فتحوا بلاد عظيمة إبان حكمهم: (البسيط)

بنو أُمَيَّةَ للأنباءِ ما فتحوا وللأحاديثِ ما سادوا وما دانوا
كانوا مُلوكاً، سَريرُ الشرقِ تحْتَهُمُ فهل سألْتَ سريرَ الغرب: ما كانوا ؟[6]

ومن هذا التناص التاريخي ما ساعده في بث حزنه على واقع الأمة الإسلامية، والأهوال التي تتعرض لها من ظلم وقهر، حيث يصف المسجد الأموي في دمشق، ويستدعي شخصية تاريخية بارزة ولها أثر في بناء ذلك المسجد، حيث يقول:

مَرَرتُ بِالمَسجِدِ المَحزونِ أَسأَلُهُ هَل في المُصلى أَو المِحرابِ مَروانُ
تَغَيَرَ المَسجِدُ المَحزون وَاختَلَفَت عَلى المَنابِرِ أَحرارٌ وَعِبدانُ
فَلا الأَذانُ أَذانٌ في مَنارَتِهِ إِذا تعالى وَلا الآذانُ آذانُ[7]

فجاء بشخصية مروان بن عبد الملك كوسيلة لرسم تلك الصورة الحزينة التغير الأحوال من حال العزة والكرامة إلى حال القهر والظلم الواقع على أهل دمشق خاصة وعلى العالم الإسلامي عامة.

1- المدونة، ص 575.
2- ديوان امرئ القيس، تحقيق عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط2 ،2004، ، ص 48.
3- مهند عباس زكي ،ظاهرة التناص في الشوقيات، رسالة ماجستير ،الجامعة العراقية، بغداد ، ص 120.
4- حسن البنداري وآخرون، التناص في الشعر الفلسطيني المعاصر ،مجلة جامعة الأزهر،غزة ،سلسلة العلوم الإنسانية ، المجلد 11، العدد 02، ص 259.
5- ديوان أحمد شوقي الشوقيات،تدقيق محمد فوزي،مكتبة الآداب ،القاهرة، ط2 ،2012،ص 162.
6- المدونة، ص 700.
7- ديوان أحمد شوقي الشوقيات، تدقيق: محمد فوزي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2012، ص 701.

ثانيا: الأساليب الإنشائية الطلبية

كثيرة هي الأساليب الإنشائية الطلبية في شعر شوقي العام؛ لكن شعر الغربة والحنين يقتصر على أساليب ساعدت الشاعر على توضيح الحالة النفسية التي يعانيها، ويبث من خلالها مآسيه وآلامه وأحزانه، ومن أكثر تلك الأساليب أسلوب النداء، الأمر، الاستفهام، التمني.

***أسلوب النداء:**

النداء لغة: " النِّداءُ والنُّداء الصوت مثل الدُّعاء والرُّغاء وقد ناداه ونادى به وناداه مُناداة ونداء أي صاح به وأَنْدى الرجلُ إذا حسُن صوته"[1].

وفي الاصطلاح: "هو طلب إقبال المدعو على الداعي بأحد حروف مخصوصة ينوب كل حرف منها مناب الفعل أدعو"[2].

استخدم شوقي أسلوب النداء لمخاطبة الأهل والأحبة والوطن والمكان، وجاء النداء ليعبر شوقي من خلاله عما يجول في صدره، إما حنينا للوطن وإما حنينا للأهل والأصدقاء، وإما حنينا دينيا، وإما حنينا لمكان ما، وإما حنينا للمحبوب، وإما تعبيرا عن شعوره بآلام الغربة فأخذ يخاطب الجمادات والطيور.

وأمثلة ذلك كثيرة في شعر الغربة والحنين عند شوقي منها قوله عند عودته إلى الوطن بعد النفي:

ويَا وَطَنِي، لَقِيتُكَ بَعْدَ يَأْسٍ كأنِّي قَدْ لَقِيتُ بِكَ الشَّبَابَا [3]

ومن ندائه ما يبث حزنه من خلاله ، وذلك في قصيدته (أندلسية) التي يقول فيها:

يـا نائح (الطلّح)، أشـباهٌ عَوَادِينـا نَشْـجى لِوَادِيكَ، أم نَأسَى لوادينا؟ [4]

فلقد بدأ قصيدته بنداء التفجع والمأساة التي حلت به، وهذا ما نلمسه في الامتداد الصوتي في حرف النداء الذي يلائم الحزن والألم الذي اعتصر قلبه، فيوجه نداءه لمن يشاركه ذلك الفراق القاسي، فكلاهما اشترك في مصيبة الفراق والبعد عن الوطن، ومن ذلك الحنين مخاطبته البرق، فهو الذي ينقل له الأخبار عن وطنه يخفف عنه لوعة الفراق والحزن، حيث يقول

يا ساريَ البرقِ يَرمِي عن جوانِحنا بعدَ الهدوءِ، ويهمِي عن مآقينا[5]

ومن ذلك النداء ما يحمل الحنين لمصر وأهلها ونيلها، فقد فاض الحنين به وجعله ينادي أهل مصر فيقول:

يا ساكني مِصرَ إنّا لا نَزالُ على عَهْدِ الوَفاءِ وإنْ غِبْنا مُقِيمِينَا [6]

تتعدد المعاني التي يخرج إليها النداء عن شوقي، ولعل أثقلها عندما يخاطب الجمادات ، ومن ذلك قوله:

يا ابنةَ اليمِّ ، ما أبوكِ بخيلٌ ما له مولَعًا بمنع وحبس [7]

لقد جاء خطاب شوقي للسفينة كمحاولة منه لاستدرار عطفها، فأبوها البحر معروف عنه الكرم مع كل الخلائق؛ لكن معاملته مختلفة مع شوقي.

وجاء نداؤه متحسرة على انقضاء فترة الشباب وكان ذلك في قالب من حنين جارف لتلك الفترة، متمنيًا عودتها حيث يقول:

أقول لأيام الصبا كلما نأتْ أما لكَ يا عهدَ الشباب مُعيد

وكيف نأتْ والأمسُ آخرُ عهدِها لأمسُ كباقي الغابرات عهيد [8]

أما في حنينه للمصطفى (صلى الله عليه وسلم) فجاء نداؤه معظما للرسول الكريم، متمنيا شفاعته ومن ذلك قوله:

يا خير من جاء الوجود تحية من مرسلين إلى الهدى بك جاؤوا[9]

لي في مديحك يا رسول عرائس يـمـن فيـك وشاقهـن جـلاء [1]

1- ابن منظور ، لسان العرب،دار صادر، بيروت، ط1، د سنة، مادة (ندي)، 315/15.
2- عبد العزيز عتيق ،علم المعاني ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص 114-115.
3- المدونة، ص 105.
4- المدونة، ص 680.
5- ديوان أحمد شوقي الشوقيات، تدقيق: محمد فوزي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2012، ص 681.
6- المدونة، ص 688.
7- المدونة، ص 384.
8- المدونة، ص 245-244.
9- المدونة، ص 33.

وجاء النداء في حنينه للأحبة تأكيدا على عظم الحب والشوق والحنين في قلب شوقي لأحبته، فيخاطبهم خطابة امتلأ وجداً وحنيناً فيقول:

يا من نَغارُ عليهم من ضمائرِنا ومن مَصون هواهم في تناجِينا [2]

ومن خلال ما سبق تبين مدى توظيف شوقي لأسلوب النداء والذي ساعده في بث مشاعره المتمثلة بالحنين بأنواعه المذكورة سابقا وتعبيره عن الغربة الداخلية أو الخارجية.

يعرف الاستفهام لغة بأنه: "طلب الفهم والمعرفة، واسْتَفْهَمه سأَله أن يُفَهِّمَه وقد اسْتَفْهَمَني الشيءَ فأَفْهَمْته وفَهَّمْته تفهيمًا"[3].

***أسلوب الاستفهام:**

أما اصطلاحا فهو: " وهو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل بأداة خاصة "[4].

امتطى شوقي أسلوب الاستفهام باثا من خلاله لواعجه بسبب الغربة واشتداد الحنين به، فعبر من خلال الاستفهام عن إحساسه، وأمثلة ذلك كثيرة في شعر الغربة والحنين، ومن ذلك قوله في حنينه إلى مصر:

وسَلا مِصْرَ هَلْ سَلا القَلْبُ عَنْها أَوْ أَسَا جُرْحَهُ الزَّمانُ المُؤَسِّي [5]

فهنا يطلب شوقي من صاحبيه اللذين تخيلهما بأن يسألا مصر سؤالا خرج عن معناه الأصلي وأفاد النفي، هل نسي قلبه مصر وهل بمقدوره الصبر على البعد والغربية، وهل يستطيع الزمان أن يعالج جراحة التي سببها الرئيس غربته عنها.

ومن تلك الأمثلة على أسلوب الاستفهام في شعر الغربة والحنين تعجبه من البحر الذي وقف حجر عثرة لشوقي مانعًا إياه من العودة إلى الوطن، مستنكرا في نفس الصورة قسوة الاستعمار الذي يحرم الأوطان على أبنائها المخلصين، وتباح للغرباء من كل جنس ؛ ليستمتعوا بخيراتها، تماما كما يباح الدوح والشجر لكل أنواع الطيور الغريبة، ويحرم على بلابله التي تعيش فيه حيث يقول:

يا بْنَةَ اليَمِّ ما أبوكِ بَخِـيلٌ مَـالَهُ مُولَعًا بمَنْع وحَـبْسِ

أحـرَامٌ على بَلابِلِهِ الدَّوْحُ حلالٌ للطَّيْرِ مِنْ كُلِّ جِـنْسِ[6]

جاء استخدام شوقي لأساليب الاستفهام ليعبر عن صدق حنينه، وشدة شوقه لمن أحب، وهروبا من شبح الغربة، فكان يستخدم في البيت الواحد أكثر من أداة للاستفهام، حيث يقول في قصيدة غزلية يبث من خلالها شوقه للمحبوب، واشتياقه، ويعبر عن لوعة الفراق والبعد:

يا حُلوةَ الوعدِ ما نسّاكِ ميعادي عزّ الهوَى أم كلام الشامتِ العادي؟

كيفَ انخدعْتِ بحسّادِي وما نقلوا وَكَيفَ بَلَّ الصَدى ذو الغُلّةِ الصادي

طرفي وطرفك كانا في الهوى سببا عند اللقاء ولكن طرفك البادي

تذكرى هل تلاقينا على ظمأ وكيل بَّل الصدى ذو الغُلة الصادي

وأنت في مجلس الريحان لاهية ما سِرت من سامر إلا إلى نادي[7]

لقد استخدم الشاعر أداة الاستفهام (كيف) مرتين، ووظف أداتين في بيت واحد من النص (كيف، هل)، حيث يتعجب شوقي من المحبوب سماعه قول الوشاة، ثم يؤكد على قوة العلاقة بينهما.

ومن استفهامه ما خرج للتمني، حيث يتمنى رجوع زمن الشباب الذي أحس بحنين عظيم لتلك الليالي والأوقات، حيث يقول:

أقول لأيام الصبا كلما نأتْ أما لكَ يا عهدَ الشباب مُعيد؟

وكيف نأتْ والأمسُ آخرُ عهدِها؟ لأمسُ كباقي الغابرات عهيد [8]

1- المدونة، ص 38.
2- المدونة، ص 681.
3- ابن منظور، لسان العرب،دار صادر ، ، بيروت، ط1،د سنة، (مادة (فهم)، 459/12.
4-عبد العزيز عتيق ،علم المعاني ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص 88.
5- ديوان أحمد شوقي الشوقيات، تدقيق: محمد فوزي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2012، ص 384.
6- المدونة، ص 384.
7- المدونة، ص 263.
8- ديوان أحمد شوقي الشوقيات، تدقيق: محمد فوزي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2012، ص 245-244.

وأمثلة الاستفهام كثيرة في شعر الحنين ، فقد لجأ شوقي إلى توظيفه بأكثر من صيغة؛ للدلالة على اشتعال نار الشوق للمحبوب، فيكرر الأداة في البيت مرتين، وينوع في استخدام أدوات الاستفهام، ومن ذلك قوله: (الطويل)

صحا القلبُ، إلاّ من خُمارِ أَماني ... يجاذبُني في الغِيدِ رَثَّ عِناني
حنانيك قلبي، هل أعيدُ لك الصِّبا؟ ... وهل للفتى بالمستحيل يَدان؟
نحنُّ إلى ذاك الزمانِ وطيبه ... وهل أنتَ إلا من دم وحَنان؟
ذا لم تصن عهداً ، ولم ترعَ ذمة ... ولم تدكر إلفا ؛ فلست جناني
أتذكر إذ نُعْطِي الصَّبابة حقّها ... ونشرب من صرف الهوى بدنان؟[1]

فقد استخدم في الأبيات السابقة حرفي الاستفهام (هل، الهمزة) حيث عبر باستخدامهما عن إقراره بعظم الحنين الذي يكنه للمعشوق، والمشاعر الملتهبة لوصلهم ولذكرياتهم الجميلة التي ارتبطت بأزهى أوقاته بفترة الشباب، هذه الفترة التي يصفها في قصيدة أخرى متمنيا عودتها، وبتوظيفه لأسلوب الاستفهام استطاع أن يصف جمال تلك الفترة، حيث يقول:

زمنٌ تقضَّى لِلهوَى ... ولنا بِظلّكَ، هل يعود؟
وهب الزمانَ أعادَها ... هل للشبيبةِ مَن يُعيد؟
هلا ذكرتَ زمانَ كنَّا ... والزمانُ كما نريد؟[2]

وظف شوقي أسلوب الاستفهام في كل بيت من الأبيات السابقة، فكان البيت الأول والبيت الثاني تعبيرا عن أمانيه لعودة أيام الشبيبة، وكان استخدامه لحرف الاستفهام عينه (هل) دلالة على ربط تلك الأيام بالسعادة والنشوة النفسية، ويوظف في البيت الثالث أسلوب الاستفهام ليخرج إلى معنى مغاير عن سابقيه، فدل على التحضيض ففيه يحث السامع أن يذكر له ذلك الزمان الجميل، فقد غلبه الحنين لتلك الأيام.

***أسلوب الأمر:**

تعريفه لغة: "هو نقيض النَّهْيِ أَمَرَه به وأَمَرَهُ يَأْمُرُه أَمْرًا وإِمَارًا "[3].

أما اصطلاحا فهو: "طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام. ويقصد بالاستعلاء أن ينظر الأمر لنفسه على أنه أعلى منزلة ممن يخاطبه أو يوجه الأمر إليه، سواء أكان أعلى منزلة منه في الواقع أم لا "[4].

ويخرج الأمر عن معناه الحقيقي لأغراض عديدة، منها: الدعاء، الالتماس، التمني، التعجيز، التهديد، التخيير، التقسيم، والإهانة والتحقير، التسوية، ويخرج لمعان أخر ذكرها ابن فارس في كتابه الصاحبي.

لجأ شوقي لأسلوب الأمر؛ ليتسنى له التعبير عما يعانيه من آلام الغربة، ويجسد أشواقه وحنينه المتعدد بحسب الجو النفسي للقصيدة، وأمثلة أسلوب الأمر كثيرة في شعره؛ وذلك لما يتمتع به هذا الأسلوب من مرونة في وصف معاناة الشاعر والتعبير عما يحس به تجاه ذكرياته وأحبابه والأماكن المحببة إليه، ومن تلك الأمثلة على هذا الأسلوب قوله في حنينه إلى مصر:

اِختِلافُ النَهارِ وَاللَيلِ يُنسي ... أُذكُرا لِيَ الصِبا وَأَيّامَ أُنسي
وَصِفا لي مُلاوَةً مِن شَبابٍ ... صُوِّرَت مِن تَصَوُّراتٍ وَمَسِّ[5]

يطلب شوقي من صاحبيه المتخيلين أن يذكراه بأيام شبابه وصباه، ويعيدا عليه صدى السعادة الغامرة التي شملته بأكنافها عندما كان يتنعم بوطنه مصر، ويطلب منهما وصف فترة الشباب الجميلة التي ما زالت صورها وخيالاتها ماثلة أمام ناظريه، فشوقي في البيتين السابقين عمد إلى أسلوب الأمر التماسا لذاك الماضي الجميل وحنينة لتلك الأيام، حيث جاء الأمر بفعلين هما (اذكرا، صفا).

ومن أساليب الأمر الواردة في شعره المليء بالحنين إلى الوطن طلبه من فتية مصر أن يقدموا للوطن الغالي والنفيس، ويواجهوا المحتل وأتباعه، وأن يقفوا لمصر ذلك الموقف المحمود، حيث يقول:

1- المدونة، ص 713.
2- المدونة، ص 275.
3- ابن منظور ، لسان العرب،دار صادر ، ، بيروت، ط1،د سنة ، مادة (أمر)، 4/27-26.
4-عبد العزيز عتيق ،علم المعاني ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط2009،1، ص88
5- ديوان أحمد شوقي الشوقيات، تدقيق: محمد فوزي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2012، ص 384.

يا فِتيَةَ النيلِ السَعيدِ خُذوا المَدى وَاستَأنِفوا نَفَسَ الجِهادِ مَديدا
وَتَنَكَّبوا العُدوانَ وَاجتَنِبوا الأَذى وَقِفوا بِمِصرَ المَوقِفَ المَحمودا [1]

فشوقي في هذه الأبيات يحث أبناء مصر للتضحية من أجله، فخرج أسلوب الأمر للحث والنصح والإرشاد .

لقد حمل أسلوب الأمر جزءا من حنين شوقي، مما أسهم في إبراز العاطفة، ومن ذلك التماسه من الصديقين المتخيلين بأن يبلغا مصر بأنها موجودة في القلب، فشوقي يتمنى الرجوع لها في أقرب وقت، حيث يقول:

وسَلا مِصْرَ هَلْ سَلا القَلْبُ عَنْها أَوْ أَسَا جُرْحَهُ الزَّمانُ المُؤَسِّي؟ [2]

ومن أمثلة أسلوب الأمر في حنينه إلى المحبوب طلبه منه الابتعاد عن الهجران، فالشاعر لا يقوى على ذلك قائلا:

حمِّليني في الحبِّ ما شئتِ إلاّ حادث الصدّ ، أو بلاءَ الفراق
واسمحي بالعناق إن رضي الدّلُّ وسامحت فانياً في العناق [3]

أما أسلوب الأمر الذي خرج إلى الدعاء فذلك موجود في شعر شوقي في شعوره بالاغتراب وضيق الحياة، ومن ذلك قوله:

يا ربنا الخطب جليل فكن معينا يا جليل
وأعطنا الصبر الجميل يا خير من يولي الجميل
فسق إلينا الفرجا فما عليك مستحيل [4]

فيتوجه شوقي إلى الله داعيا متضرعا من ضيق الحياة، فلقد جاء أسلوب الأمر مساعدا لشوقي في تفريغ انفعالاته تجاه غربته، وتسلية له في حنينه إلى الوطن وإلى الأحبة والذكريات الجميلة، فكان يخرج عن معناه دائما إلى الالتماس والتمني والحث والنصح والإرشاد والدعاء.

***أسلوب التمني:**

تعريفه لغة: "التَّمَنِّي تَشَهِّي حُصُولَ الأمر المَرْغوب فيه وحديثُ النَّفْس بما يكون وما لا يكون تقول تَمَنَّيْت الشيء ومَنَّيْت غيري تَمْنِيةً وتَمَنَّى الشيءَ أراده ومَنَّاه إياه وبه وهي المِنْيةُ والمُنْيةُ والأُمْنِيَّةُ"[5].

أما اصطلاحا: فهو "طلب أمر محبوب لا يرجى حصوله: إما لكونه مستحيلا، والإنسان كثيرا ما يحب المستحيل ويطلبه، وإما لكونه ممكنا غير مطموع في نيله"[6].

جاء أسلوب الأمر في شعر شوقي الخاص بالغربة والحنين ليعبر بطريقة مباشرة عن أمانيه وتطلعاته وما يشتهي، فكان استخدامه لهذا الأسلوب بمثابة التصريح المباشر لأشواقه وأحاسيسه تجاه المواقف المختلفة التي مرت عليه في السراء والضراء، ومن أمثلة ذلك في شعره حنينه للأيام الجميلة التي قضاها في الآستانة حيث يقول:

عَسى الأَيّامُ تَجمَعُني فَإِنّي أَرى العَيشَ اِفتِراقاً وَاِجتِماعا
أَلا لَيتَ البِلادَ لَها قُلوبٌ كَما لِلناسِ تَنفَطِرُ اِلتِياعا
وَلَيتَ لَدى فُروقٍ بَعضَ بَثّي وَما فَعَلَ الفُراقُ غَداةَ راعا [7]

حيث استخدم ألفاظ التمني والرجاء معا، وكرر حرف التمني (ليت) مرتين، وذلك دلالة على شدة حنينه لتلك الأيام ولهذه المدينة الجميلة.

ومن أمثلة التمني في شعوره بالاغتراب بعد موت والده قوله:

1- المدونة، ص 229-228.
2- ديوان أحمد شوقي الشوقيات، تدقيق: محمد فوزي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2012، ص 384.
3- المدونة، ص 455.
4- المدونة، ص 540.
5- ابن منظور ، لسان العرب،دار صادر ، ، بيروت، ط1،د سنة، مادة (مني)، 293/15.
6- عبد العزيز عتيق ،علم المعاني ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط2009،1، ص 112.
7- المدونة، ص 409.

ليت شعري: هل لنا أن نتلقي مَرّةً، أم ذا افتراقُ المَلَوَين؟[1]

لقد عمد شوقي إلى التمني ليعبر عما آلت إليه أحوال المسلمين بعد سقوط مدينة (أدرنة) (وهي مدينة استولى عليها البلغار عام 1912م ثم أعيدت تحت الحكم التركي عام 1923م) وفي ذلك يقول:

يا أختَ أندَلُسٍ عَلَيكِ سَلامُ هَوَتِ الخِلافَةُ عَنكِ وَالإسلام
نَزَلَ الهِلالُ عَنِ السَماءِ فَلَيتَها طُوِيَت وَعَمَّ العالَمينَ ظَلامُ
جُرحانِ تَمضي الأُمَّتانِ عَلَيهِما هَذا يَسيلُ وَذاكَ لا يَلتامُ
بِكُما أَصيبَ المُسلِمونَ وَفيكُما دُفِنَ اليَراعُ وَغُيِّبَ الصَمصامُ[2]

ومثال التمني عنده في نكبة بيروت عندما ضربها الأسطول الإيطالي قوله في تلك المأساة:

سبعون ليثًا أُحْرِقُوا، أو أُغْرِقُوا يا ليتهم قُتِلوا على «طبروك»[3]

كان استخدام شوقي للأساليب الإنشائية الطلبية تعبيرا صادقا لمشاعر الحزن الشديد نتيجة لمعاناته في الغربة وشعوره بالاغتراب، وسهل ذلك له التعبير عن عواطفه الجياشة ونار الحنين الملتهبة .

المبحث الثاني: الإيقاع الشعري

تناول النقاد العرب القدامى اللبنات الأساسية للصور الشعرية، فتناولها الجاحظ على أنها التصوير وذلك في معرض حديثه عن قضية اللفظ والمعنى حيث يقول: " فإنما الشعر صناعة وضرب من السج وجنس من التصوير[4]، أما حازم القرطاجني فيتطرق لها من خلال المعاني فيقول: "إن المعاني هي الصور الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان. فكل شيء له وجود خارج الذهن فإنه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق لما أدرك منه، فإذا عبر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك أقام اللفظ المعبر به هيئة تلك الصورة الذهنية في أفهام السامعين وأذهانهم. فصار للمعنى وجود آخر من جهة دلالة الألفاظ. فإذا احتيج إلى وضع رسوم من الخط تدل على الألفاظ من لم يتهيأ له سمعها من المتلفظ بها صارت رسوم الخط تقيم في الأفهام هيآت الألفاظ فتقوم بها في الأذهان صور المعاني فيكون لها أيضا وجود من جهة دلالة الخط على الألفاظ الدالة عليها "[5].

أما في العصر الحديث فتعددت التعريفات للصورة مع دخول النظرة الغربية للأدب العربي، فيرى إحسان عباس أن: "الشعر قائم على الصورة منذ أن وجد حتى اليوم، ولكن استخدام الصورة يختلف بين شاعر وأخر، كما أن الشعر الحديث يختلف عن الشعر القديم في طريقة استخدامه للصور"[6]، فالصورة هي الأساس

1- ديوان أحمد شوقي الشوقيات، تدقيق: محمد فوزي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2012، ص 708.
2- المدونة، ص 593.
3- المدونة، ص 469.
4- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان ،تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، د ط ،1996، 132/3.
5- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباءت ، تحقيق محمد الحبيب بن خوجة،دار المغرب الإسلامي، بيروت ،ط3 ،1986 ، ص18-19.
6- إحسان عباس، فن الشعر، إحسان عباس، دار صادر ، بيروت، دار الشروق، عمان، ط1، 1996م، ص 193.

في العمل الأدبي، فهي الشعور والفكر المنطوي بين ثنايا النص، والسبب الرئيس لوجود تلك العواطف والفكر يرجع لوجود الصورة، والصورة تعمل على دمج العناصر الجزئية والكلية؛ لتنتج بناء موحدا قد ملأ الفجوات وسدها داخل العمل الأدبي من خلال مخاطبة الحواس، والتمرد على الدلالة الحرفية، وتحرك الخيال في أرجاء النص الأدبي[1].

ويمكن تعريف الصورة الشعرية بأنها: " تشكيل لغوي، يكونها خيال الفنان من معطيات متعددة يقف العالم المحسوس في مقدمتها"[2]، وعرفت بأنها: " نسخة جمالية وابداعية تستحضر الهيئة الحسية أو الذهنية للأجسام أو المعاني بصياغة جديدة تنهض لها قدرة الشاعر ومقدار تجربته وفق تعادلية بين طرفين هما المجاز والواقع دون أن يستبد طرف بأخر"[3].

فالملاحظ من تلك التعريفات أن الصورة الشعرية قائمة على مجموعة من العناصر ومرتكزة عليها وهي: الواقع والشعور والخيال.

أما الصورة عند شوقي فيتحدث عنها شوقي ضيف قائلا: "وهذه الخصلة الموسيقية في شعره تسندها عنده خصلة التصوير البارع؛ إذ كان يعرف كيف يفيد من كنوز التشبيهات والاستعارات القديمة، ولم يكن يكتفي بذلك؛ بل كان يضيف إلى هذا الاستغلال للقديم كثيرا من الأخيلة الحالمة. ويتضح ذلك في جوانب كثيرة من شعره"[4]، فالصورة الشعرية عنده اتخذت أشكالا سنتناولها وفق مدخلين رئيسين هما : الصورة البيانية والصورة الحسية.

أولا: الصورة البيانية

هي " الشكل الذي يعبر به الشاعر عن تجربته ، مستخدمة طاقات اللغة، ودلالتها البيانية التي تخاطب حس الإنسان، واحساسه، ووجدانه، وقلبه لنقل هذه التجربة في صورة موحية مؤثرة في النفوس، ويكون ذلك بالمجاز، والتشبيه، والاستعارة، والكناية، والتعريض".

فالصورة البيانية تشمل التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية، وشعر الغربة والحنين عند شوقي يزخر بتلك الأمثلة.

***التشبيه:**

هو " فن من فنون الكلام وعنصر من عناصر الأسلوب، يرسم صورة للحس والشعور ، فينقل المعني بصورة واضحة كأننا نراه بأبصارنا، ونلمسه بأيدينا، والتشبيه من أشرف كلام العرب، وفيه تكون الفطنة والبراعة عندهم، وهو بحر البلاغة وسرها"[5]، فالتشبيه إذن : "بيان أن شيئا أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر، بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو مقدرة، تقرب بين المشبه والمشبه به في وجه الشبه" [6].

ومن أمثلة التشبيه في شعر الغربة والحنين عند شوقي قوله:

نَفَسِي مِرْجَلٌ وقَلْبِي شِـرَاعٌ بهِما في الدُّموع سِيرِي وأَرْسِي [7]

ففي البيت السابق عمد شوقي إلى التشبيه البليغ في موضعين (نفسي مرجل) و(قلبي شراع)، فقد شبه نفسه بالمرجل الذي يغلي مادة السفينة بالطاقة البخارية ليساعدها على الإبحار تجاه مصر، ومشبها قلبه بالشراع الذي تحركه الرياح ليساعد السفينة إلى الوصول لبلده مصر، وذلك حتى لو تعطلت السفينة البخارية تستطيع السير بالشراع، فاستعداد شوقي لمد السفينة بكل المقومات لكي توصله لمصر دليل على شدة شوقه وحنينه للوطن.

وفي موضع آخر يشبه مصر بالعين المتدفقة في جنان الرحمن تسقي أبناءها الماء السلسبيل حيث يقول: (البسيط)

لكنّ مصرَ وإن أَغضتْ على مِقَةٍ عَيْنٌ من الخُلْدِ بالكافور تَسقينا[8]

1- محمد حسن عبد الله ، الصورة والبناء الشعري: دار المعارف، القاهرة، د ط،1981م، ص 33-38.
2- على البطل، الصورة في الشعر العربي، دار الأندلس، بيروت، ط 2، 1981، ص 30.
3- عبدالإله الصائغ ، الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنية: ، الدار البيضاء، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط1، 1997م، ص159.
4- شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر في مص دار المعارف ،القاهرة ط 13، د سنة ،ص 115.
5- د. عبد القادر حسين ، القرآن والصورة البيانية، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1985م، ص 7.
6- عبد العزيز عتيق، علم البيان، دار النهضة العربية، بيروت، د ط ،1982م، ص 62.
7- ديوان أحمد شوقي الشوقيات،تدقيق محمد فوزي،مكتبة الآداب ،القاهرة، ط2 ،2012، ص 384.
8- المدونة، ص 681.

فالذكريات الجميلة في مصر كالنهر الذي يمد الشاعر بأميال من الحنين والشوق للوطن، ففي البيت السابق اشتركت مجموعة من التشبيهات رسمت المعنى الذي يريده شوقي من اشتياقه لمصر وحنينه اللامتناهي لها.

كانت المعاني والألفاظ عند شوقي مثل الألوان يمزج منها ما يريد وكيفما يشاء، فالملاحظ أنه يستخدم التشبيه بمهارة عالية، وذلك ليخدم هدفه في إيصال عواطفه للمتلقي، فكان ينتقي ما يلائم المعنى المراد، حيث يرسم وقت رجوعه من المنفى صورة اعتمدت أركانها على التشبيه: (الوافر)

ويَا وَطَنِي، لَقِيتُكَ بَعْدَ يَأسٍ كأَنِّي قَدْ لَقِيتُ بِكَ الشَّبَابَا [1]

فقد شبه رجوعه للوطن بعد طول غياب بعودة الشباب له من جديد، وذلك من المستحيلات فالشباب لا يمكن أن يعود؛ لكن شوقي عبر عن شدة حنينه للوطن ومدى اشتياقه له بأمر تعشقه النفس وتطرب لسماع ذكرياته.

ومن التشبيهات المستخدمة في وصف حالات الحزن المخيمة على الشاعر ما يذكره في تشبيه قلبه بالناقوس في الهيكل ليدلل على اضطرابه واشتياقه للزمن الجميل والإلف الصادق، حيث يقول في ذلك: (السريع)

والقلب قَوَّامٌ على أَضْلُعي كأَنه الناقوسُ في الهيكل [2]

ثانيا: الإستعارة

وهي أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقط غير لازم، فيكون هناك كالعارية[3].

والاستعارة تعطي الكلام رونقا خاصا تنجذب إليه الأسماع والأذهان، فكانت موجودة وبكثرة في شعر الغربة والحنين عند شوقي، والواضح أنها خدمت شوقي في بث أحزانه ولوعات حنينه للوطن، فجاءت مترامية الأطراف بين ثنايا تلك الأشعار، وأمثلتها كثيرة تعددت بذكر أنواع الاستعارة، ومن تلك الأمثلة ما يذكره شوقي في سينيته التي ملئت شوقا وحنينة إلى مصر حيث يقول: (الخفيف)

وَصِفا لي مُلاوَةً مِن شَبابٍ صُوِّرَت مِن تَصَوُّراتٍ وَمَسِّ [4]

لقد ورد عدد من الاستعارات في البيت الثاني وهي: (عصفت) فقد شبه فترة الشباب بالريح وهي صورة توحي بسرعة انقضائها وجاءت على سبيل الاستعارة المكنية، أما الاستعارة المكنية الثانية فجاءت في (كَالصِبا اللعوب) فقد شبه الريح الرقيقة بفتاة ناعمة رشيقة فقد أتى بالمشبه وحذف المشبه به وأتي بصفة من صفاته وهي صورة جمالية سر جمالها التشخيص، والملاحظ براعة الخيال المترابط والتركيبي، فقد جاءت كلمة الصبا مشبه به في التشبيه الأول، وجاءت مشبه في الاستعارة، وهنا يظهر براعة الأمير في تطويع المفردات والمعاني كيفما يريد، أما في الشطر الثاني فجاءت صورتان فنيتان على سبيل الاستعارة المكنية، فقد شبه سنة النوم بالشيء الجميل كالفاكهة والشراب الحلو، وهي صورة جمالية سر جمالها التجسيم ، وشبه اللذة بشيء ثمين يختلس وسر جمالها التجسيم أيضا.

أما في حنينه للرسول (صلى الله عليه وسلم) فقد جاءت مجموعة من التشبيهات على سبيل الاستعارة منها قوله:

وُلِدَ الهُدى فَالكائِناتُ ضِياءُ وَفَمُ الزَمانِ تَبَسُّمٌ وَثَناءُ [5]

فقد شبه الزمان بإنسان مبتسم مادح للرسول (صلى الله عليه وسلم) لقدوم المصطفى، فقد حذف المشبه به وأتي بصفة من صفاته على سبيل الاستعارة المكنية وهي صورة جمالية سر جمالها التشخيص.

ومن الاستعارات المتتالية في البيت الواحد قوله:

يا ساريَ البرقِ يَرمِي عن جوانِحنا بعدَ الهدوءِ، ويهمِي عن مآقينا
لما تَرقرق في دمع السماءِ دمًا هاج البك، فخَضبْنَا الأَرضَ باكينا
الليلُ يشهد لم نهتِك دَيَاجِيَهُ على نيامٍ، ولم نهتِف بسالينا [1]

1- ديوان أحمد شوقي الشوقيات، تدقيق: محمد فوزي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2012، ص 105.
2- المدونة، ص 532.
3- عبد القاهر الجرجاني ،أسرار البلاغة في علم البيان: ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001، ص 31.
4- المدونة، ص 384.
5- ديوان أحمد شوقي الشوقيات، تدقيق: محمد فوزي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2012، ص 33.

فقد شبه شوقي دموعه بالأمطار الغزيرة وذلك دلالة على الحزن الشديد المخيم عليه، وجاء الاستعارة في البيت الثاني عندما شبه البكاء بإنسان يهيج ويغضب، ويكمل شوقي تصويره البياني الرائع عندما يشبه دموعه بالخضاب (اللون الأحمر) دلالة منه على البكاء دمًا من شدة شوقه لوطنه ومآسي الغربة التي نالت منه، ثم يشبه الليل بإنسان يشهد وهي صورة جمالية سر جمالها التشخيص.

ومن أمثلة الاستعارة التصريحية في شعر الغربة والحنين عند شوقي ما يعدده في بيت واحد، حيث يقول: (الخفيف)

أحرامٌ عَلى بَلابِلِهِ الدَو حُ حَلالٌ لِلطَيرِ مِن كُلِّ جِنسِ[2]

يصل شوقي في البيت السابق بالتصوير البياني إلى أعلى مراتبه عندما يجسد ثلاث استعارات تصريحية في بيت واحد، ففي الأولى شبه أبناء مصر بالبلابل فحذف المشبه وصرح بالمشبه به، وفي الثانية شبه الوطن مصر بالدوح، وفي الثالثة شبه الأعداء المحتلين المعتدين بالطير وتلك الصورة توحي بالمرارة والحرقة للغريب المطرود عن وطنه والمستعمرون يتنعمون بذلك الوطن.

***الكناية:**

الكناية في اصطلاح أهل البلاغة: لفظ أطلق وأريد به لازم معناه، مع جواز إرادة ذلك المعنى[3].

ومن أمثلة الكناية في شعر الغربة والحنين عند شوقي قوله:

يـا نـائح (الطلْح)، أَشباهٌ عَوَادِينـا نَشْـجى لِـوَادِيكَ، أَم نَأْسَـى لوادينا؟

رمـى بنـا البينُ أَيْكًـا غيرَ سامِرنا أَخـا الغـريب وظِـلاّ غيرَ نادينا[4]

جاءت (نائح الطلح) كناية عن موصوف وهو الحمام (المعتمد بن عباد) وهو شاعر أندلسي، فقد أسند كلمة نائح إلى الطلح (الوادي) وسر جمال الكناية هو الإتيان بالمنعى مصحوبة بالدليل في إيجاز وتجسيم، وفي البيت الثاني وردت الكناية في (أخا الغريب) وجاءت كناية عن موصوف وهو الشاعر نفسه، فلم يصرح شوقي باسمه بل أسند لفظ (أخا) إلى (الغريب) ليدلل على آلام الغربة التي يقاسيها، فالشاعر هنا يشابه ما لاقه الشاعر المعتمد بن عباد من نفي عن واديه إشبيلية بما لاقاه شوقي من نفي عن واديه (نهر النيل).

ومن أمثلة الكناية كذلك قول شوقي:

يا بنة اليمِّ ، ما أبوكِ بخيلٌ ما له مولَعًا بمنع وحبس [5]

حيث وردت الكناية في قوله (يا بنة اليم) وهي كناية عن موصوف والمقصود هنا السفينة، أما الكناية الثانية فجاءت في قوله (أبوك) كناية عن موصوف وهو البحر.

ثالثا: الصورة الحسية

وهي الصورة المرتبطة بإحدى حواس الإنسان، وتأتي في السياق الشعري تاركة أثرا في المتلقي حاملة أحاسيس الشاعر بين ثناياها، والصورة الحسية تعددت في شعر شوقي في غربته وحنينه، ومنها:

***الصورة البصرية:**

وهي تلك الصورة المتعلقة بالبصر، وتدل عليها الألفاظ المرتبطة بالرؤية، ومن أمثلتها في شعر الغربة والحنين في شعر شوقي قوله:

هـدانا ضوء ثغرك من ثلاث كمـا تهدي المنورة الركابا

وقد غشى المنار البحـر نورا كنار الطور جللت الشعابا[6]

فقد جمع شوقي ألفاظًا دالة على البصر وهي (ضوء، المنورة، المنار، نور، نار)، والملاحظ أن شوقي كثف تلك الألفاظ لتسهم في رسم الصورة المرادة ، فقد أعطت القارئ مشهدًا حيًا كأنه يشاهد منظرًا أمامه.

ويذكر شوقي صورة بصرية في حنينه للوطن، وعدم تخليه عن أي شبر منه، فيميل إلى رسم تلك الصورة في قوله:

الليل يشهد لم نهتك دياجيه على نيام ولم تهتف بسالينا

1- المدونة، ص 681.
2- المدونة، ص 384.
3- عبد العزيز عتيق، علم البيان ، دار النهضة العربية، بيروت ، ط 1، د سنة، ص 203.
4- ديوان أحمد شوقي الشوقيات، تدقيق: محمد فوزي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2012، ص 680.
5- المدونة، ص 203.
6- المدونة، ص 106.

والنجم لم يرنا إلا على قدم قيام ليل الهوى للعهد راعينا [1]

حيث ذكر بعض الألفاظ التي تساعد في رسم صورته البصرية وهي: (الليل) (النجم) ايرنا) فالليل يوحي بالظلام، والنجم يوحي بالنور، و(يرنا) تدل على البصر.

ويصور شوقي غزو المشيب له بمشهد آخر يحمل دلالة شوقه وحنينه لأيام الشباب، وخوفه من دنو الأجل، راسمة بذلك حكمة تجري على مر الزمان، حيث يقول:

سَرَى الشَيْبُ مُتَّئِداً في الرُءُوسِ سُرَى النارِ في المَوْضِعِ المُعْشِبِ
حريقٌ أحاطَ بخيطِ الحيـــاةِ تَعَجّبْتُ كيفَ عليــهِمْ غَبي
ومنْ تَظّهرِ النـــارُ في دارِهِ وفي زرعهِ مِنْهـمُ يَرْعَبِ [2]

فيصور اشتعال الرأس بالشيب بسريان النار في الأرض المليئة بالأعشاب، واندلاع حريق ذي لهيب قوي يهدد الحياة، فاستخدام شوقي لألفاظ ترسم صورة بصرية ساعده في إيصال تلك الصورة للمتلقي.

ومن جمال صورة البصرية عندما يجسد بذكرياته الجميلة منظرًا تعود عليه الشاعر حيث يقول:

ذكرت مصر، ومن أهوى، ومجلسنا على الجزيرة بين الجسر والنَّهَر
واليومُ أشْيَبُ، والآفاقُ مُذْهَبةٌ والشمسُ مصفرةٌ تجري لمنحدر [3]

فقد صور الشمس في وقت الغروب وهي تميل إلى الصفرة معلنة بقضاء ذاك اليوم من حياة الشاعر سامحة الليل بالدخول بسلاسة إلى عالم الشاعر.

أما في شعوره بالغربة فيرسم شوقي صورة متألفة من مجموعة عناصر اعتمدت على البصر وعلى دلالة الحزن، وفيها يقول: (الكامل)

قلبٌ يذوب ، ومدمعٌ يجري يا ليلُ، هل خيرٌ عن الفجر
حالت نجومك دون مطلعه لا تبتغي حِوَلاً، ولا يسري
وتطاولَتْ جُنْحاً، فخُيِّل لي أَن الصباحَ رهينة الحشر [4]

ففي الأبيات السابقة يشكو شوقي من ليله الطويل شديد الظلام والذي سمح للأحزان بغزو مخيلته وفكره، فجاءت ألفاظه الدالة على البصر وهي: (ليل، فجر، نجوم، الصباح) مما ساعد ذلك شوقي في توصيل فكرته على خير وجه.

***الصورة السمعية:**

وهي الصورة التي تتألف من مجموعة الألفاظ الدالة على الصوت، والمرتبطة بحاسة السمع عند الإنسان، والتي تثير في نفس المتلقي إحساس الشاعر ورسم الصورة التي يريدها، وقد تشترك تلك الصورة مع عدد من الحواس الأخرى.

ومن أمثلة الصورة السمعية في شعر الغربة والحنين عند شوقي قوله:

وسَلا مِصْرَ هَلْ سَلا القَلْبُ عَنْها أَوْ أَسَا جُرْحَهُ الزَّمانُ المُؤَسِّي
كُلَّمَا مـــرَّتِ اللّيالي عَلَيْه رَقَّ وَالعَهْدُ في اللّيالي تُقَسِّي
مُسْـتَطارٌ إذا البَوَاخِرُ رَنَّتْ أَوَّلَ اللّيْلِ أَوْ عَوَتْ بَعْدَ جَرْسِ
رَاهِبٌ في الضُلوع للسُّفْنِ فَطْنٌ كُلَّمَا ثُرْنَ شـــاعَهُنَّ بنَفْسِ [5]

استخدم شوقي الصورة السمعية بأبعادها كافة، موظفة الصوت في كل بيت من الأبيات السابقة ليعطي تبيانا لما يجول في صدره من حنين إلى مصر، ويبث آلام حزنه بسبب غربته، حيث جاءت الألفاظ الدالة على الصوت: (سلا، مستطار، البواخر، رنت، عوت، جرس، ثرن)، فقد رسمت تلك الكلمات الصورة الحسية التي أرادها الشاعر عن طريق اعتماده على الصورة السمعية.

ومن الأمثلة كذلك على الصورة السمعية في شعر الغربة والحنين ما يذكره شوقي في سقوط الخلافة قائلا:

1- المدونة، ص 152.
2- ديوان أحمد شوقي الشوقيات، تدقيق: محمد فوزي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2012، ص 344.
3- المدونة، ص 575.
4- المدونة، ص 575.
5- ديوان أحمد شوقي الشوقيات، تدقيق: محمد فوزي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2012، ص 203.

عادَت أغاني العُرسِ رَجعَ نُواحِ وَنُعيتِ بَينَ مَعالِمِ الأفراحِ
كُفِّنتِ في لَيلِ الزَفافِ بِثَوبِهِ وَدُفِنتِ عِندَ تَبَلُّجِ الإِصباحِ
شُيِّعتِ مِن هَلَع بِعَبرَةِ ضاحِكٍ في كُلِّ ناحِيَةٍ وَسَكرَةِ صاحِ
ضَجَّت عَلَيكِ مَآذِنٌ وَمَنابِرٌ وَبَكَت عَلَيكَ مَمالِكٌ وَنَواحِ [1]

حيث استخدم شوقي الألفاظ الموحية بالحزن والغضب الشديد على ما آلت إليه أحوال المسلمين بعيد سقوط خيمة الخلافة ، فجاءت الألفاظ الموحية بالحزن عن طريق استخدام الصوت الحزين والذي يترك في الأسماع أثرًا حزينة، ومن تلك الألفاظ: (نواح، نعيت، شيعت، عبرة، ضجت، بكت).

وقد تأتي الصورة السمعية متكاملة مع صور بصرية أو شمية كما في قصيدته التي يبث فيها شوقه لمصر وحنينه لها، وحزنه الشديد لفراقها، وذلك في قوله:

بِنَّا فلم نَخْلُ من رَوْحٍ يُراوِحُنا من بَرِّ مصرَ، وَرَيْحَانٍ يُغادِينا
كأَمِّ موسَى، على اسمِ اللهِ تكْفُلُنا وباسمِهِ ذهبتْ في اليَمِّ تُلقِينا
ومصرُ كالكَرْمِ ذي الإحسانِ: فاكهةٌ لحاضِرينَ، وأَكوابٌ لبَادينا
يا ساريَ البرقِ يَرمِي عن جوانِحنا بعدَ الهدوءِ، ويهمِي عن مآقينا
لما تَرقرق في دمعِ السماءِ دمًا هاج البكا، فخَضبْنَا الأَرضَ باكينا [2]

والملاحظ في الأبيات السابقة اشتراك أكثر من صورة حسية في رسم المعنى الذي يريده الشاعر، فمن الألفاظ الدالة على الصورة السمعية (هاج، البكا، باكينا، ترقرق، الهدوء) ومن الألفاظ الدالة على الصورة البصرية: (ساري البرق، يهمي، مآقينا، دمع، دم، فخضبنا) ومن الألفاظ الدالة على الصورة الشمية: (روح، ريحان) فقد اشتركت تلك الصور في رسم الصورة الحسية المتمثلة في حنين الشاعر وشوقه لوطنه وآلام غربته في منفاه.

***الصورة الشمية:**

وهي الصورة المرتبطة بحاسة الشم، وألفاظها تأخذ المتلقي في الجو النفسي للشاعر، فيعيش معه كأنه يشم تلك الروائح التي يشمها الشاعر.

ومن أمثلة ذلك في شعر الغربة والحنين عند شوقي قوله:

أَرِيحُ أَرِيجَ المِسْكِ في عَرَصاتِها وإن لم أَرِحْ مَرْوانَ فيها ولا لَخْما [3]

فقد وظف شوقي ألفاظا دلت على حاسة الشم، مثل: (أريح، أريج، المسك، أرح) فقد ساعد ذلك الكم من الألفاظ الكثيرة في بيت واحد على رسم الصورة الشمية، وإيصال المعنى المراد من قبل الشاعر في صورة حسية تجذب القارئ وتجعله يعيش جو القصيدة.

ومن الأمثلة كذلك على تلك الصورة قوله:

وأشرق نور تحت كل ثنية وضاع أريج تحت كل حصاة [4]

وجاء ذلك في مدحه للرسول (صلى الله عليه وسلم) حيث وردت كلمة (أريج) والتي توحي بقوة الرائحة، مما ساهم في إبراز فكرة الشاعر.

ومن ذلك أيضاً استعداده لجعل نفسه وقودًا للسفينة البخارية لتسير وترجعه إلى مصر، فساعدته الصورة الشمية في إيصال معناه حيث يقول:

نَفَسِي مِرْجَلٌ وقَلْبِي شِـرَاعٌ بهِما في الدُّموعِ سِيرِي وأَرْسِي [5]

***الصورة الذوقية:**

وهي الصورة التي تعتمد على حاسة التذوق، وألفاظها تدل على الطعام والشراب فترسم صورة مناسبة لما يريده الشاعر من معان.

ومن أمثلة ذلك قوله:

نزلْتُ رُبَى الدنيا، وجَنّاتِ عَدْنِها فما وَجَدَتْ نفسي لأَنهارها طعما [1]

1- المدونة، ص 204-203.
2- المدونة، ص 381.
3- ديوان أحمد شوقي الشوقيات، تدقيق: محمد فوزي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2012، ص 550.
4- المدونة، ص 186.
5- المدونة، ص 203.

فقد استخدم شوقي لفظ (طعمًا) ليبين أنه لا يستسيغ وطنة غير وطنه، ولا نهرأ غير نهر النيل الذي ترعرع شوقي على ضفافه.

ومن الألفاظ الدالة على الصورة الذوقية قوله في اشتياقه لوطنه، فالظمأ أخذ منه كل مأخذ، حيث وظف لفظتي (السلسبيل، ظمأ) للدلالة على مدى حنينه لمصر، فالسلسبيل مرتبط بالماء العذب الذي تطلبه كل الأنفس، وذلك في قوله:

وَهَفا بِالفُؤادِ في سَلسَبيلٍ ظَمَأً لِلسَوادِ مِن عَينِ شَمسِ[2]

لقد ساعدت الصورة الحسية بمكوناتها كافة في توضيح مراد شوقي، وإبراز الفكرة التي سيطرت على شعره في غربته وحنينه، فجاءت الصور تجسيدا لمعاني الغربة والحنين من خلال توظيفه الصور البصرية والسمعية والشمية والذوقية وصورة أخرى ، حيث جعلت المتلقي يتفاعل مع القصائد ويعيش في ظلالها .

المبحث الثالث: الموسيقى

يتميز الشعر العربي بأنه شعر غنائي، وذلك لأنه يعتمد على الموسيقا سواء أكانت خارجية أو داخلية، فكان الشاعر القديم يغني الشعر غناء، فهم قد عرفوا الشعر بموسيقا خاصة تميزه عن غيره، فالموسيقا: " تزيد من انتباهنا وتضفي على الكلمات حياة فوق حياتها، وتجعلنا نحس بمعانيها كأنما تمثل أمام أعيننا تمثيلا عملية واقعية. هذا إلى أنها تهب الكلام مظهر من مظاهر العظمة والجلال، تجعله مصقولا مهذبة تصل معانيه إلى القلب بمجرد سماعه، وكل هذا مما يثير فينا الرغبة في قراءته وانشاده وترديد هذا الإنشاد مرارا وتكرارا"[3].

إن الموسيقا تنقسم إلى قسمين : قسم يختص بالوزن والقافية، والآخر "قسم داخلي يتأسس على قيم صوتية أرحب من الوزن والقافية، تتألف صوتية داخل النسيج الشعري سواء أكان ذلك بتكرار الحروف أو الكلمات أو باستغلال إمكانات أخرى: كالتلوين الإيقاعي والبديع اللفظي والمعنوي وكل ما يوفر جرسا موسيقيا جميلا ويصنع النغمية للقصائد، وهذان القسمان يتداخلان ويتحدان معا في البناء الإيقاعي للشعر"[4].

1- المدونة، ص 550.
2- ديوان أحمد شوقي الشوقيات، تدقيق: محمد فوزي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2012، ص 384.
3- ابراهيم أنيس موسيقى الشعر ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط 2، 1952 م، ص14.
4- فتيحة دخموش ،تجربة الغربة والحنين عند ابن خفاجة ، رسالة ماجستير جامعة منتوري ، ص 188.

أما عند الحديث عن موسيقا شوقي فخير من تحدث عن ذلك شوقي ضيف قائلا: "ولا أبالغ إذا قلت إنني لا أستمع إلى قصيدة طويلة لشوقي حتى إخال كأنني أستمع حقًا إلى سمفونية، فموسيقاه تتضخم في أذني وأشعر كأنها تتضاعف، وكأن مجاميع من مهرة العازفين يشتركون في إخراجها، وفي إيقاع نغماتها، ولا أرتاب في أن ذلك يرجع إلى ضبطه البارع لآلات ألفاظه، وذبذبتها الصوتية، وليست المسألة مسألة حذق أو مهارة فحسب، بل هي أبعد من ذلك غورًا، هي نبوغ وإلهام، وإحساس عبقري بالبناء الصوتي للشعر، وهذه الروعة في الموسيقا تقترن بحلاوة وعذوبة لا تعرف في عصرنا لغير شوقي، وربما كانت آيته الكبرى في صناعته، فأنت مهما اختلفت معه في تقدير شعره، لا تسمعه حتى ترهف له أذنك، وحتى تشعر كأنما يحدث ثقوبة، هي تقوب الصوت الصافي الذي تهدر به المياه بين الصخور، والصوت يعلو تارة فيشبه زئير البحار حين يهيج، وينخفض تارة فيشبه قطرات الفضة التي تسقط من مجاديف الزوارق، وهي تجري سابحة على صفحة النيل[1].

ويصف موسيقاه في موضع آخر فيقول: " وربما كانت موسيقاه أروع خصاله الفنية، فلا تستمع إلى شيء من شعره حتى تعرفه، وإن لم يذكر لك اسمه ما دامت أذنك قد تعودت سماع شعره، وثبتت في نفسك نغماته التي تتوالى نغمة حلوة بجانب نغمة حلوة. ولا نغلو إذا قلنا: إن شعره يؤلف أروع ألحان عرفت في عصرنا الحديث؛ إذ نراه يعنصر من الألفاظ والأساليب خير ما فيها من ألحان، تسعفه في ذلك فطرة موسيقية رائعة، تقيس قياسا دقيقا ذبذبات الحروف والحركات وتألف النغم في الألفاظ والكلمات"[2].

أولا: الموسيقى الخارجية

وهي التي تتمثل في الوزن والقافية وما يشكلانه من إيقاع خارجي عام للقصيدة، وعند الحديث عن الموسيقا الخارجية فيجب تناول الوزن والقافية.

***الوزن:**

أما الوزن فهو خاص بالبحور الشعرية متضمنة القافية وفي ذلك يقول ابن رشيق القيرواني: "الوزن أعظم أركان حد الشعر، وأولاها به خصوصية، وهو مشتمل على القافية وجالب لها ضرورة"[3]. فالوزن هو أساس الشعر، فلا شعر بغير وزن، ومن مميزات الوزن أنك تحفظ أبيات من الشعر ولا يمكنك حفظ النثر إلا قليلا، وذلك يرجع للموسيقا التي يكونها وزن البيت الشعري، وهذا ابن سنان الخفاجي يذكر المفاضلة بين النثر والشعر فيقول: " أما التفضيل بين النظم والنثر فالذي يصلح أن يقوله من يفضل النظم أن الوزن يحسن الشعر ويحصل للكلام به من الرونق ما لا يكون للكلام المنثور، ويحدث عليه من الطرب في إمكان التلحين والغناء به ما لا يكون للكلام المنثور ولهذه العلة ساغ حفظه أكثر من حفظ المنثور"[4].

جاءت أوزان شوقي في شعر الغربة والحنين على أوزان الخليل ، فقد نظم شوقي في شعر الغربة والحنين على البحور الآتية : (الطويل، البسيط، الوافر، الكامل، الهزج، الرجز، الرمل، السريع، الخفيف، المتدارك) حيث كان نظمه على تلك البحور بصورة متفاوتة، ويمكن تبيان ذلك وفق جدول إحصائي يبين أوفر البحور حظا في غرض الغربة والحنين عند شوقي، وذلك وفق الجدول الآتي مع النسب المئوية على كل بحر:

البحر	عدد وروده	نسبته المئوية
الكامل	21	% 27.2
الطويل	15	% 19.4
الوافر	15	% 19.4
البسيط	13	% 16.8
الخفيف	3	% 3.8
الرجز	3	% 3.8
الرمل	3	% 3.8

1- شوقي ضيف ،شوقي شاعر العصر الحديث ، دار المعارف ،القاهرة ط7، د سنة ،ص 44.
2- شوقي ضيف ،الأدب العربي المعاصر في مصر، دار المعارف ،القاهرة ط 13، د سنة، ص 115.
3- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط15، 1981م، 134/1.
4- ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1982، ص 287.

المتداوك	2	% 3.5
السريع	1	% 1.2
الهزج	1	% 1.2

فالملاحظ من الجدول السابق أن بحر الكامل حظي باهتمام كبير من قبل شوقي في نظمه الغرض الغربة والحنين، وهذا يتماشى مع منهج شوقي في التعامل مع البحور، " فأول البحور التي نظم عليها شوقي أكثر شعره البحر الكامل وقد ورد عليه ما يقرب ثلث شعره، فقد نظم عليه شوقي في كل الأغراض، فبحر الكامل التام ثلاثون مقطعًا، وهو أكبر بحور الشعر جلجلة وحركات وفيه لون خاص من الموسيقا يجعله إن أريد به الجد ، فخما جليلا، مع عنصر ترنمي ظاهر، ويجعله إن أريد به الغزل، وما بمجراه من أبواب اللين والرقة حلوة مع صلصلة كصلصة الجرس. وهو بحر كأنما خلق للتغني المحض سواء به جد أم هزل ودندنة تفعيلاته من النوع الجهير الواضح الذي يهجم على السامع مع المعنى والعواطف والصور حتى لا يمكن فصله عنها بحال[1].

ثم يأتي في المرتبة الثانية بحر الطويل وبحر الوافر وهذان البحران يتميزان باستخدامهما الأوفر حظا عند الشعراء، فبحر الطويل يتميز بطول تفعيلاته التي تسمح للشاعر من بث أحزانه في غربته واغترابه، والتعبير بحرية مطلقة عن حنينه وقد جاء ثلث الشعر العربي عليه، وبحر الوافر بتفعيلاته ساعدت شوقي في إظهار ما يعانيه من غربة وحنين، ولعل إبراهيم أنيس ربط بين المعاني المرادة وكيفية نظمها على البحور المختلفة، فيقول: "على أننا نستطيع ونحن مطمئنون أن نقرر أن الشاعر في حالة اليأس والجزع يتخير عادة وزنا طويلا كثير المقاطع صب فيه من أشجانه ما ينفس عنه حزنه وجزعه فإذا قيل الشعر وقت المصيبة والهلع تأثر بالانفعال النفسي وتطلب بحرًا قصيرة يتلاءم وسرعة التنفس وازدياد النبضات القلبية "[2]. وقد أشار حازم القرطاجني إلى ذلك في معرض حديثه عن المعاني المرتبطة بالأوزان والبحور الشعرية، فيقول: " ولما كانت أغراض الشعر شتى وكان منها ما يقصد به الجد والرصانة وما يقصد به الهزل والرشاقة، ومنها ما يقصد به البهاء والتفخيم ،وما يقصد به الصغار والتحقير، وجب أن تحاكي تلك المقاصد بما يناسبها من الأوزان ويخلها للنفوس. فإذا قصد الشاعر الفخر حاكى غرضه بالأوزان الفخمة الباهية الرصينة، وإذا قصد في موضع قصدا هزليا أو استخفافيا وقصد تحقير شيء أو العبث به حاكى ذلك بما يناسبه من الأوزان الطائشة القليلة البهاء، وكذلك في كل مقصد "[3].

***القافية:**

القافية هي المقطع الصوتي الذي ينتهي به البيت الأول من القصيدة، والذي سوف يتكرر في نهاية كل بيت منها، مادامت القصيدة في هذا الطراز الملتزم بوحدة الوزن والقافية، وهذا المقطع الصوتي قد حدده الأخفش بالكلمة الأخيرة من البيت، وحدده الخليل من آخر ساكن في البيت إلى أقرب ساكن يليه مع المتحرك الذي قبله[4].

ويعرفها إبراهيم أنيس فيقول: " ليست القافية إلا عدة أصوات تتكون في أواخر الأشطر أو الأبيات من القصيدة، وتكررها هذا يكون جزءا هاما من الموسيقى الشعرية، فهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع ترددها ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الآذان في فترات زمنية منتظمة وبعد عدد معين من مقاطع ذات نظام خاص يسمى الوزن"[5].

وقد اختلف منذ القدم على تحديد القافية في البيت، ولكن الأنسب أن يأخذ بأصغر صورة اللقافية والمتواترة في القصيدة كلها، والركيزة الأساسية للقافية هي حرف الروي، فالقصيدة تنسب إليه، فيقال سينية، لامية، وهكذا.

أما القافية عند شوقي فقد تنوعت حروف الروي عنده ، وجاءت حروف الروي متمثلة في أربعة عشر حرفًا هي: (الميم، النون، اللام، الباء، القاف، الراء، الدال، التاء، الحاء، العين، الكاف، الهمزة، الياء، السين) وجاء نسبة ورودها وفق الجدول الإحصائي الآتي والنسب المئوية لكل حرف:

1- عبد الله الطيب، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، الكويت، ط3 ، 1989 ،ج1، ص 302-203 .
2- ابراهيم أنيس، موسيقى الشعر ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط 2، 1952 م، ص 175-176.
3- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن خوجة،دار المغرب الإسلامي، بيروت ،ط3 ،1986، ص 266.
4- د. علاء إسماعيل الحمزاوي، محاضرات في العروض والقافية، دار التيسير للطباعة والنشر بالمنيا، د ط ، 2002 ، ص 115.
5- ابراهيم أنيس، موسيقى الشعر ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط 2، 1952 م، ص244 .

البحر	عدد وروده	نسبته المئوية
الميم	12	% 15.5
النون	10	% 12.98
اللام	9	% 11.6
الباء	7	% 9
القاف	7	% 9
الراء	6	% 7.79
الدال	5	% 6.4
التاء	4	% 5.1
الحاء	4	% 5.1
العين	4	% 5.1
الكاف	3	% 3.8
الهمزة	3	% 3.8
الياء	2	% 2.5
السين	1	% 1.29

إن الملاحظ من الجدول السابق أن حرفي الميم والنون قد حازا على نسبة (27 %) وهذه نسبة عالية إذا ما قورنت بالحروف الأخرى، ومن المعلوم أنهما حرفان مخرجهما من الخيشوم وتصاحبهما غنة ويدلان على كثرة الآلام عند الشاعر، ويرجع ذلك إلى آهات الغربة التي عايشها شوقي، ولهفة الحنين المسيطرة عليه.

فالناظر إلى ديوان الشوقيات يجد " أن شوقي نظم قوافيه على جميع الحروف ما عدا ثمانية أحرف وهي الثاء، الجيم، الخاء، الذال، الصاد، الطاء، الظاء، الغين . وهذه الحروف من الحروف النافرة والحوشية المهجورة التي قل أن نجد عليها شعرًا"[1].

أما في شعر الغربة والحنين فقد أضاف شوقي لتلك الأحرف ستة هي: الزاي، والشين، الهاء، الألف، الضاد، الفاء.

والملاحظ من خلال دراسة القافية عند شوقي أنه عمد إلى اختيار القافية التي تتلاءم والجو النفسي الذي يعيشه، فابتعد كل البعد عن القوافي التي تؤثر سلبا على موسيقا القصيدة وتنفر المتلقي منها.

ثانيا: الموسيقا الداخلية

تتكون الموسيقا الداخلية بين ثنايا النص الشعري، وتأتي من لغة الشاعر والعلاقة بين الكلمات من جهة والألفاظ من جهة أخرى، ومهارة الشاعر تكمن في إضفائه موسيقا داخلية على شعره، فالموسيقا الداخلية مرتبطة بأسلوب الشاعر ووفرة ألفاظه وقوتها والجو النفسي الذي يعيشه، والمعاني التي يبثها داخل قصيدته، حيث تتكون الموسيقا الداخلية من التصريع والطباق والمقابلة والتكرار والجناس.

أما شوقي فقد ملك مقاليد اللغة ومفاتيحها، وأضفى على شعره لونا خاصا تميز عن غيره من شعراء عصره والأقدمين ، لما يحتويه من سلاسة في الألفاظ تجعل المتلقي يبحر في أشعاره ولا يملها، ومن أمثلة الموسيقا الداخلية في شعر الغربة والحنين عند أحمد شوقي ما يأتي:

***التصريع**:

عرفه ابن رشيق القيرواني قائلا: " هو ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه: تنقص بنقصه، وتزيد بزيادته "[2]، وقد اهتم شوقي بهذه الظاهرة في شعره ، وكانت أشد ظهورا في القصائد المتكاملة التي نظمت في الغربة والحنين، ومن أمثلة ذلك قوله في مطلع سينيته في بلاد الأندلس:

اِختِلافُ النَهارِ وَاللَيلِ يُنسي أُذكُرا لِيَ الصِبا وَأَيّامَ أَنسي [3]

فقد جاءت كلمة (ينسي) في نهاية صدر البيت متناغمة مع كلمة أنسي) في عجز البيت، مما زاد من الموسيقا الداخلية للبيت، وأعطى عاملا مهمة لجذب انتباه المتلقي.

1- محمد عبد المجيد الطويل ، ظواهر عروضية من الشوقيات، مجلة كلية العلوم ،جامعة القاهرة ، دط،2004 ، ص 108-109.

2- ابن رشيق القيرواني ،العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،تحقيق محمد محي الدينعبد الحميد،دار الجيل ،بيروت ،ط5 1981 ، 173/1.

3- ديوان أحمد شوقي الشوقيات،تدقيق محمد فوزي،مكتبة الآداب ،القاهرة، ط2 ،2012، ص 384.

ومن ذلك قوله:

شَيّعتُ أَحْلامي بقلبٍ باكِ ولَمَحتُ من طُرُق المِلاحِ شِباكي[1]

ويقول أيضا:

يا نائح (الطلْحِ)، أشباهٌ عَوَادِينا نَشْجى لِوَادِيكَ، أَم نَأْسَى لوادينا؟[2]

***التكرار:**

'التكرار لغة: "كَرَّ عليه يَكُرُّ كَرًّا وكُرورًا وتكْرارًا عطف وكَرَّ عنه رجع وكَرَّ على العدوّ يَكُرُّ ورجل كَرَّار ومِكَرّ وكذلك الفرس وكَرَّرّ الشيء أعاده مرة بعد أخرى والكَرّةُ المَرَّةُ والجمع الكَرَّات ويقال كَرَّرْتُ عليه الحديث وكَرْكَرْتُه إذا ردّدته عليه"[3].

والمعنى الاصطلاحي لا يختلف كثيرا عن المعنى اللغوي، فالتكرار إعادة الشيء مرة تلو الأخرى، وقد يكون في الحرف أو الكلمة او الجملة أو الصيغة.

ومن النقاد القدامى الذين تعرضوا للتكرار ابن سنان الخفاجي حيث يقول: "وما أعرف شيئا يقدح في الفصاحة، ويغض من طلاوتها أظهر من التكرار لمن يؤثر تجنبه، وصيانة نسجه عنه. إذ كان لا يحتاج إلى كبير تأمل، لا دقيق نظر. وقلما يخلو واحد من الشعراء المجيدين أو الكتاب، من استعمال ألفاظ يديرها في شعره، حتى لا يخل في بعض قصائده بها. فربما كانت تلك الألفاظ مختارة، يسهل الأمر في إعادتها وتكريرها، إذا لم تقع إلا موقعها. وربما كانت على خلاف ذلك"[4]. فابن سنان يرى أن التكرار لا يوظفه إلا من كان ماهرًا به، ويجب ألا يطغى على المعنى العام فيفسد جمال النسيج الشعري.

ويرى إبراهيم أنيس أن: "تكرار الحروف ليس بالقبيح إلا حين يبالغ فيه، وحين يقع في مواضع من الكلمات يجعل النطق بها عسيرا. فالمهارة هنا تكون في حسن توزيع الحرف حين يتكرر كما يوزع الموسيقي الماهر النغمات في نوتته. وليس يتأتى هذا لكل شاعر كما لا يكون مع كل الحروف"[5].

ورد التكرار في شعر الغربة والحنين عند شوقي على عدة حالات، فكان تكرار الحرف، وتكرار الكلمة، وتكرار الجملة، وتكرار الصيغة.

أما تكرار الحرف فكان مصاحبا لدلالة أرادها الشاعر، ومن أمثلة ذلك قوله:

يا نائح (الطلْحِ)، أشباهٌ عَوَادِينا نَشْجى لِوَادِيكَ، أم نَأسَى لوادينا

ماذا تقُصُّ علينا غيرَ أنّ يدًا قصَّتْ جناحك جالت في حواشينا

رمى بنا البينُ أيْكًا غيرَ سامِرنا أخا الغريب وظِلاً غيرَ نادينا

كلٌّ رَمَتْه النَّوى: رِيشَ الفِراق لنا سَهْمًا، وسُلّ عليكَ البينُ سِكِّينا

إذا دعا الشوقُ لم نَبرحْ بمُنْصَدِع من الجناحين عيٍّ لا يُلَبِّينا

فإن يَكُ الجنسُ يا ابنَ الطّلْح فرّقنا إنّ المصائبَ يجمعْنَ المُصابينا[6]

فالملاحظ في الأبيات السابقة تكرار الشاعر لحرف النون الذي تكرر ما يقارب ثلاثين مرة؛ ليعطي إيقاع موسيقية مميزة، فحرف النون مخرجه من الخيشوم مما يعطي دلالة على الحزن الشديد الملقى على روح الشاعر وخياله، وتكرر حرف الحاء كذلك سبع مرات ليدلل على مدى الحرقة والألم الذي يعانيه الشاعر.

ومن أمثلة تكرار الحرف قوله:

خَتلافُ النَّهارِ واللّيْلِ يُنْسِي اِذْكُرَا لي الصِّبَا وأَيَّامَ أَنْسِي

وَصِفا لِي مُلاوَةً مِنْ شَبابٍ صُوِّرَتْ مِنْ تَصَوُّراتٍ وَمَسِّ

عَصَفَتْ كالصَّبَا اللّعُوبِ ومَرَّتْ سِنَــةً حُلْوَةً ولَذّةَ خِلْسِ

1- ديوان أحمد شوقي الشوقيات،تدقيق محمد فوزي،مكتبة الآداب ،القاهرة، ط2 ،2012، ص 466.
2- المدونة، ص 680.
3- ابن منظور ، لسان العرب،دار صادر ، ، بيروت، ط1،د سنة، مادة (كرر)، 135/5.
4- ابن سنان الخفاجي ،سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1982، ص 106.
5- إبراهيم أنيس ،موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو مصرية،ط2 ،1952، ص 39.
6- ديوان أحمد شوقي الشوقيات،تدقيق محمد فوزي،مكتبة الآداب ،القاهرة، ط2 ،2012، ص 680.

وسَلا مِصْرَ هَلْ سَلا القَلْبُ عَنْها أَوْ أَسَا جُرْحَهُ الزَّمانُ المُؤَسِّي[1]

لقد أكثر شوقي في الأبيات السابقة من تكرار حرف السين وساعده في ذلك وجود القافية، مما أنتج موسيقا خاصة أثرت بالإيجاب على النص، ومما زاد من الإيقاع للنص وجود عدد من الحروف المشتركة في صفة الصفير وهي: حرف السين تكرر تسع مرات، وحرف الصاد تكرر سبع مرات، والأصوات الصفيرية تنتج موسيقا حزينة تتلاءم والجو النفسي للشاعر.

ففي الأبيات السابقة ترى انسيابًا موسيقية كما ينساب الجدول الهادئ ، فالموسيقا فيها خفيفة محبوبة لا تكاد تسمعها الأذان حتى تتلقفها القلوب، والتي يعجب بها الخاصة والعامة ويطربون لها مثل (قلس) للمؤلف الموسيقي (اشتراوس) [2].

أما تكرار الكلمة فالأمثلة عليه كثيرة في شعر الغربة والحنين، ومن ذلك قوله:

فَصَفحًا لِلزَمانِ لِصُبحِ يَومٍ بِهِ أَضحى الزَمانُ إِلَيَّ ثابا[3]

فقد وظف الشاعر كلمة الزمان في موضعين، وذلك ليؤكد على أن الزمان ظلمه فترة من العمر عندما قضى خمس سنوات من عمره في المنفى، وها هو اليوم يصفح عن الزمان بعدما سمح له بالعودة إلى وطنه.

ومن تكرار الكلمة ما يجمع بين كلمتين مكررتين في بيت واحد ومن ذلك قول الأمير: (الوافر)

أحبك مصر من أعماق قلبي وحبك في صميم القلب نامي
سيجمعني بك التاريخ يوماً إذا ظهر الكرام على اللئام
لأجلك رحت بالدنيا شقيا أصد الوجه والدنيا أمامي

والملاحظ تكرار كلمة (قلب) مرتين في البيت الأول، وتكرار كلمة (حبك) وذلك على سبيل التوكيد على أن مصر حبها ساكن في القلب ، لا يمكن لأحد أن ينهي تلك العلاقة، وذلك يؤكد على ارتباط الشاعر بوطنه وتعلقه به.

ومن ذلك قوله:

فلا الأذانُ أذانٌ في منارته إذا تعالى ، ولا الآذانُ آذان[4]

ورد عند شوقي التكرار المزدوج للكلمات في البيت الواحد ومثال ذلك قوله:

حَنَنتِ إِلى الطَبيعَةِ دونَ مِصرٍ وَقُلتِ لَدى الطَبيعَةِ أَينَ مِصرُ[5]

حيث جاءت كلمة الطبيعة مكررة مرتين، وكلمة مصر مكررة مرتين كذلك، وكما ذكر أنفًا هو دليل على تعلق الشاعر بوطنه مصر.

أما تكرار الجملة في البيت الواحد من النص قول شوقي في نشيده لمصر وإصراره على جعل مصر منارة عالمية لا تقبل الضيم والقهر:

سعياً أبداً، سعياً سعياً لِأَثيلِ المَجدِ وَلِلعَليا[6]

فقد كرر شوقي جملة (ولنجعل مصر هي الدنيا) مما أضاف موسيقا سلسة تقبلها النفس والأذن، وجاء كذلك تكرار للكلمة (سعية) في الشطر الأول من البيت الأول ثلاث مرات؛ للتأكيد على العزم والهمة العالية.

أما عن تكرار الصيغة وهو تكرار لأسلوب ما، مثل: استخدامه لأسلوب الشرط أكثر من مرة فنراه في قوله: (الكامل)

فَإِذا سَخَوتَ بَلَغتَ بِالجودِ المَدى وَفَعَلتَ ما لا تَفعَلُ الأَنواءُ
وَإِذا عَفَوتَ فَقادِرًا وَمُقَدَّرًا لا يَستَهينُ بِعَفوِكَ الجُهَلاءُ
وَإِذا رَحِمتَ فَأَنتَ أُمٌّ أَو أَبٌ هَذانِ في الدُنيا هُما الرُحَماءُ
وَإِذا غَضِبتَ فَإِنَّما هِيَ غَضبَةٌ في الحَقِّ لا ضِغنٌ وَلا بَغضاءُ
وَإِذا رَضيتَ فَذاكَ في مَرضاتِهِ وَرِضا الكَثيرِ تَحَلُّمٌ وَرِياءُ
وَإِذا خَطَبتَ فَلِلمَنابِرِ هِزَّةٌ تَعرو النَدِيَّ وَلِلقُلوبِ بُكاءُ[1]

1- المدونة، ص 384.
2- إبراهيم أنيس ،موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو مصرية،ط2 ،1952 ،ص 40.
3- المدونة، ص 106-105.
4- ديوان أحمد شوقي الشوقيات، تدقيق: محمد فوزي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2012، ص 701.
5- المدونة، ص 313.
6- المدونة، ص 687.

حيث كرر شوقي أسلوب الشرط ست مرات باستخدام الحرف (إذا) مما عمل على إنتاج موسيقا ظاهرة بغير تكلف ولا اصطناع ، وأفاد في توضيح الدلالة والتأكيد على صفات سيد الخلق محمد (صلى الله عليه وسلم).

ومثال آخر على تكرار الصيغة في قوله:

صحا القلبُ، إلاّ من خُمارِ أماني ... يجاذبُني في الغِيدِ رَثَّ عِناني
حنانيك قلبي، هل أعيدُ لك الصِّبا؟ ... وهل للفتى بالمستحيل يَدان
نحنُّ إلى ذاك الزمانِ وطيبه ... وهل أنتَ إلا من دم وحَنان[2]

حيث كرر الشاعر أسلوب الاستفهام باستخدامه للحرف (هل)؛ ليدلل على شده حنينه من خلال موسيقا تطرب المتلقي وتجذبه للنص الشعري.

***الطباق:**

يعرف الطباق عند أهل البديع بأنه: "الجمع بين الضدين أو بين الشيء وضده في كلام أو بيت شعر"[3]. فالطباق يولد جرسا موسيقية خفية من خلال وجود كلمتين متضادتين، والتضاد الحاصل بين ذلك المعنيين يعمل على إبراز المعنى وتوضيحه وترسيخ الفكرة المرادة في النسيج الشعري، فنجد ذلك عند كثير من الشعراء؛ لأنه محسن بديعي يساهم في إيصال الفكر والمعاني للمتلقي بدون عناء.

لقد تكرر الطباق كثيرا عن شوقي في شعر الغربة والحنين مما أضفى على هذا الشعر سمة غالبة، ولجوء شوقي لهذا النوع دليل على اضطراب الجو النفسي عنده، فهو يريد أمورا غير الواقعة أمامه، ومن تلك الأمثلة على الطباق قوله:

أرِقْتُ وعادتني لذكرى أحِبَّتي ... شجونٌ قيامٌ بالضلوع قعودُ
ومَنْ يَحْمِلِ الأشواقَ يتعَب، ويَختلف ... عليهِ قديمٌ في الهوى ، وجديد
لقيت الذي لم يلق قلبٌ من الهوى ... لك الله يا قلبي ، أأنت حديد؟
لم أَخْلُ من وجْدٍ عليك، ورِقّةٍ ... إذا حلَّ غِيدٌ، أو ترحَّل غِيدُ[4]

والملفت للنظر في تلك الأبيات كثرة الكلمات المتطابقة ، حيث جاءت مجموعة كلمات مثل: (قيام وقعود) و(قديم وجديد) و(حل وترحل)، ومما زاد من الموسيقا في البيت الرابع وجود الجناس الناقص بين الكلمتين المتطابقتين، والمتفحص في موسيقا الأبيات السابقة يجد مدى قوتها النابعة من وفرة الطباق فيها.

ومن الأمثلة على الطباق قوله:

فـإن يَـكُ الجـنسُ يا ابنَ الطِّلْحِ فرّقنا ... إنّ المصائبَ يجمعْنَ المُصابينا[5]

حيث جاء كلمة (فرقنا) وكلمة (يجمعن) متطابقتين، مما يزيد من إبراز الفكرة وتوضيح المعنى الذي يريد الشاعر ناهيك عن الجرس الموسيقي الذي أحدثه التضاد.

ومن التضاد ما يتفق مع الجناس فيزيد في المعنى والإيقاع الموسيقي، ومن ذلك قوله:

وَغالَ الحَداثَةَ شَرخُ الشَبابِ ... وَلَو شِيَتِ المُردُ في الشُيَّبِ[6]

فقد جاء الطباق بين كلمتي (الشباب) و(الشيب).

***المقابلة:**

يعرفها ابن رشيق القيرواني حيث يقول: "هي ترتيب الكلام على ما يجب؛ فيعطي أول الكلام ما يليق به أولا، وآخره ما يليق به آخرا، ويأتي في الموافق بما يوافقه، وفي المخالف بما يخالفه . وأكثر ما تجيء

1- المدونة، ص 34.
2- ديوان أحمد شوقي الشوقيات،تدقيق محمد فوزي،مكتبة الآداب ،القاهرة، ط2 ،2012،ص 713.
3- عبد العزيز عتيق، علم البديع، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د ط، د سنة، ص 77.
4- المدونة، ص 244.
5- المدونة، ص 680.
6- ديوان أحمد شوقي الشوقيات، تدقيق: محمد فوزي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2012، ص 152.

المقابلة في الأضداد، فإذا جاوز الطباق ضدين كان مقابلة"[1]، ويعطي عبد العزيز عتيق تعريفة لها فيقول: "أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة، ثم بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب"[2].

ومن أمثلة المقابلة في شعر الغربة والحنين عند شوقي قوله:

أَحرامٌ عَلى بَلابِلِهِ الدَو حُ حَلالٌ لِلطَيرِ مِن كُلِّ جِنسِ[3]

ولقد جاءت المقابلة هنا لفظية ومعنوية ، فشوقي يتوجع من منعه دخول وطنه ، بينما المستعمر يتلذذ بخيرات الوطن، فجاء التضاد بين كلمة (حرام و حلال) ومن حيث الدلالة بين كلمة (بلابله) والمقصود بها أبناء مصر، وكلمة (الطير) والمقصود بها المحتل والأجانب الذين استباحوا مصر وكل خيراتها وطردوا أبناءها.

ويقول أيضًا :

وَطَني لَو شُغِلتُ بِالخُلدِ عَنهُ نازَعَتني إِلَيهِ في الخُلدِ نَفسي[4]

والمقابلة هنا بين (شغلت عنه) و(نازعتني إليه) فالمقابلة تعطي جرسا موسيقيًا تتلذذ النفس عند سماعه، ويشدها للتفاعل مع جو النص.

***الجناس:**

تعريفه اصطلاحا: " هو تشابه الكلمتين في اللفظ واختلافهما في المعنى، ويسمى التجانس والتجنيس"[5].

والجناس أداة موسيقية تبعث في النفس تعلقه بالنص الشعري لما يتركه من أثر واضح في المتلقي ، فقد استخدم شوقي الجناس بجميع أشكاله مما أضفى على شعره بريقا من نوع خاص وموسيقا ظاهرة جلية سلسة ، ومن أمثلة الجناس في شعره قوله:

وسَلا مِصْرَ هَلْ سَلا القَلْبُ عَنْها أَوْ أَسَا جُرْحَهُ الزَّمانُ المُؤَسِّي[6]

فقد ورد الجناس التام بين كلمتي (سلا) والتي بمعنى (اسألا)، وكلمة (سلا) والتي بمعنى (نسي وصبر) فالملاحظ مدى قوة الموسيقا التي أحدثها هذا الجناس.

وقوله أيضًا:

نَفَسِي مِرْجَلٌ وقَلْبِي شِـرَاعٌ بهِما في الدُّموعِ سِيرِي وأَرْسِي[7]

فالملاحظ في البيت السابق عدد من النواحي التي أخرجت البيت في أجمل حلة، فقوة الإيقاع نابعة من الجناس الناقص بين كلمتي (سيري) و(أرسي) وكذلك اتحاد الجناس مع الطباق بين الكلمتين، ويبرز في البيت السابق مظهر موسيقي رائع وذلك في حسن التقسيم في الشطر الأول من البيت، حيث وردت جملتان تامتان تتكون كل واحدة منهما من مبتدأ وخبر، في قوله: (نَفسي مِرْجَلٌ وَقَلبي شِراعٌ) مما زاد من جمال البيت ورونقه.

***التقسيم:**

التقسيم فن من فنون البديع المعنوي، وهو في اللغة مصدر قسمت الشيء إذا جزأته أما في الاصطلاح فاختلفت فيه العبارات، والكل راجع إلى مقصود واحد).[8]

ويرى عبد العزيز عتيق أن التقسيم يرد على ثلاثة أقسام:[9]

أ- استيفاء جميع أقسام المعنى، وقد ينقسم المعنى إلى اثنين لا ثالث لهما، أو إلى ثلاثة لا رابع لها، أو إلى أربعة لا خامس لها، وهكذا .

ب- يتمثل في ذكر أحوال الشيء مضافا إلى كل حالة ما يلائمها ويليق بها.

ج- يتمثل في التقطيع، ويقصد به تقطيع ألفاظ البيت الواحد من الشعر إلى أقسام تمثل تفعيلاته العروضية، أو إلى مقاطع متساوية في الوزن. ويسمى التقسيم حينئذ (التقسيم بالتقطيع).

أما التقسيم في شعر الغربة والحنين عند شوقي فيظهر في بعض القصائد، ومن أمثلة ذلك قوله:

إِذا جَنَّني اللَيلُ اِهتَزَزتُ إِلَيكُما فَجَنحا إِلى سُعدى وَجَنحا إِلى سَلمى

1- ابن رشيق القيرواني ،العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيرو، ط1981،15، 15/2.
2- عبد العزيز عتيق، علم البديع، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د طبعة، ص 86.
3- المدونة، ص 384.
4- المدونة، ص 384.
5- أحمد مطلوب معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ،مطبعة المجمع العلمي العراقي، د ط ،1983 ، 313/2.
6- المدونة، ص 384.
7- ديوان أحمد شوقي الشوقيات، تدقيق: محمد فوزي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2012، ص 384.
8- عبد العزيز عتيق، علم البديع،دار النهضة العربية للطباعة و النشر و التوزيع ،بيروت ،لبنان ،د طبعة، ص 134.
9- المرجع نفسه، ص 137-140.

وَحَنَّت نَواقيسٌ وَرَنَّت مَآذِنٌ وَرَفّت وُجوهُ الأَرضِ تَستَقبِلُ السُلمى[1]

فقد جاء حسن التقسيم في الشطر الثاني من البيت الأول، وفي صدر البيت الثاني في قوله (وَحَنَّت نَواقيسٌ وَرَنَّت مَآذِنٌ).وكذلك جاء في قوله:

نَفَسِي مِرْجَلٌ وقَلْبِي شِـرَاعٌ بِهِما في الدُّموع سِيرِي وأَرْسِي[2]

فحسن التقسيم ورد في الشطر الأول من البيت، فقد جعل جملتين منفصلتين مكونتين من مبتدأ وخبر، وفق تقطيع موسيقي خاص.

1- المدونة، ص 550.
2- المدونة، ص 384.

الخاتمة

خاتمة:

وفي الختام يمكن القول بأن شعر الحنين والغربة عرف منذ نشأته بوصف تجارب الشعراء الذاتية لأنه يعبر في مجمله عن عواطف صادقة تستوجب لغة سهلة و أسلوب بسيط و ألفاظا بعيدة عن الغرابة، كما هو واضح من خلال الأشعار التي وردت داخل البحث وذلك من أجل إيصال معاناة الشوق والحنين .

فمن خلال الغوص في شعر الغربة والحنين عند شوقي و التعرف إلى أسبابه ونتائجه، ودراسة فنية لخصائص هذا الغرض، فقد توصلت الدراسة إلى أهم النتائج كما يأتي:

1- إن النفي الذي تعرض إليه شوقي جعله يعيش حياة الغربة بكل ما تحتويه من آلام وحرقة، وذلك أثر على شعره، فأنتج شعرا مختلفا عن سابقه، ممتلئا بالعواطف الجياشة التي تبعث في النفس الحنين الصادق إلى الوطن، فكانت تلك الفترة مرحلة تحول في حياة أحمد شوقي.

2- ارتبط حنين شوقي بمسببات الغربة نفسها ،فالغربة عن الوطن جلبت الحنين إلى الوطن و إلى الأهل، الأصدقاء، والشعور بالاغتراب النفسي أنتج حنينا إلى الذكريات الجميلة و فترة الشباب ،أما واقع الأمة الإسلامية فأخذه لحنين ديني لأيام النبي صلى الله عليه وسلم، فكانت المدائح النبوية والشوق لعصر الفتوحات الإسلامية ، ومن ذلك أيضا حنينه للمحبوب.

3- اتسمت قصائد شوقي في غربته بالحنين الجارف إلى الوطن، حيث عرفت تلك القصائد بالأندلسيات، وتميزت بقوة معانيها و صدق عاطفتها، وإن جاز وصفها فإنها من أجمل قصائد شوقي على الإطلاق.

4- اختص أسلوبه في غرض الغربة والحنين بالقوة، حيث كانت الألفاظ المباشرة للغربة و الحنين ظاهرة جلية، ومما زاد من وضوحها كثرة الألفاظ الموحية بالغربة والحنين.

5- تنوعت الأساليب الإنشائية الطلبية عند شوقي من (نداء، وأمر، واستفهام....) وذلك بسبب حنينه الشديد ورفضه الغربة والاغتراب.

6- جاءت الصورة الشعرية قوية في شعر الغربة والحنين، فالصورة البيانية شملت النواحي البلاغية وقوة التشبيه مع الدلالة القطعية على شدة حنين شوقي.

7- من الظواهر الأسلوبية في شعر الغربة والحنين التناص وذلك بتأثره بالدين والأدب العربي والتاريخ الإسلامي، مما كشف عن الثقافة الواسعة التي يتمتع بها شوقي والتي أسهمت في إبراز أحاسيسه ومشاعره.

8- اعتمد شوقي في غرض الغربة والحنين على مجموعة من الأبحر الشعرية، وكان أوفرها حظا بحر الكامل فالطويل والوافر ثم البسيط، وإن دل ذلك فيدل على استخدامه للبحور التي تتسع لبث الشكوى من خلالها إما لطول تفعيلاتها أو لسرعة إيقاعها.

9- عمد إلى اختيار القافية التي تتلاءم و الجو النفسي الذي يعيشه، وابتعد كل البعد عن القوافي التي تؤثر سلبا على موسيقا القصيدة و تنفر المتلقي منها، حيث حاز حرفا الميم والنون على الكم الأكبر ، وذلك تعليله أن كلا الحرفين يشتركان خروجهما من الخيشوم والذي يحمل دلالة الحزن والأسى، وهذا يتلاءم مع الجو النفسي الذي عاشه الشاعر.

10- ورد التكرار بصورة كبيرة، سواء بكثرة الحروف التي تحمل دلالة الخزن والحرقة، أو بالكلمة، أو بالجملة، أو بالصيغة، وذلك مساعدة للغرض الذي من أجله نظمت القصائد المتنوعة.

11- تعددت المحسنات البديعية في هذا الغرض مما زاد من الإيقاع الموسيقي المنسجم وبنية النص.

قائمة
المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر

- القرآن الكريم.
- لسان العرب لإبن منضور، دار صادر، بيروت، الطبعة الاولى.

ثانيا: المراجع

أ- الكتب:

1- اتحاف السادة المتقين بشرح احياء علوم الدين: محمد بن محمد بن الحسيني الزبيدي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة الأولى 1994 م؛

2- أحمد شوقي الشعر الوطنية والمسرح والتاريخ: فوزي العطوي، دار الفكر العربي، بيروت، الطبعة الأولى 1989م؛

3- أحمد شوقي حياته وشعره: كما أبو مصلح، المكتبة الحديثة، بيروت، الطبعة الأولى 1987؛

4- الأدب العربي المعاصر في مصر: شوقي ضيف، دار المعارف ، القاهرة، الطبعة الثالثة عشر؛ أسرار البلاغة في علم البيان: عبد القادر الجرجاني، تحقيق / عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 2001م؛

5- اسلاميات أحمد شوقي دراسة نقدية، سعاد عبد الوهاب عبد الكريم، مطابع الجيزة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1985م؛

6- اسلوب : أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، الطبعة السابعة، 1986؛

7- أسواق الذهب: أحمد شوقي بن على بن أحمد شوقي، مطبعة الهلال، مصر، 1932؛

8- الأعلام خير الدين بن محمود بن فارس الزركلني الدمشقي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة خمسة عشر،2002م؛

9- أمال الزجاجي: لإبي القاسم الزجاجي، تحيقي/ عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية 1987م؛

10- أمير الشعراء أحمد شوقي: محمد الطاهر زنكري، مجلة الأزهر ، القاهرة، الجزء العاشر، 1986؛

11- البديع في شعر شوقي: منير سلطان: المعارف الإسكندرية، الطبعة الثانية، 1992م؛

12- تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، المطبعة الخيرية، مصر، ج1؛

13- تاريخ إبن خلدون، تحقيق خليل شحاده، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية،1988م؛

14- التناص: مقدمة نظرية مع دراسة تطبيقية،الدكتور أحمد الزعبي، مكتبة الكتاني، الأردن، الطبعة الأولى، 1993م؛

15- جمهرة أشعر العرب: لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، تحقيق علي محمد الباجي؛ نهضة مصر القاهرة،1981؛

16- الحنين إلى الأوطان: أبي العثمان الجاحظ، دار الرائد العربي، بيروت، الطبعة الثانية ،1982؛

17- الحنين والغربة في الشعر العربي، يحيى الجبوري، دار مجلاوي، عمان، الطبعة الأولى، 2002؛

18- الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل،1996؛

19- الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنية، عبد الإله الصائغ، الدار البيضاء، بيروت، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 1997.

20- الخطيئة والتكفيرمن البنيوية إلى التشريحية، قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر، عبد الله الغذامي، النادي الثقافي الأدبي، جدة، 1985.

21- دراسة عن شوقي ، شفيق جبري، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1997.
22- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قراءة وتعليق، محمود شاكر، مكتبة مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1992.
23- ديوان إبن خفاجة الأندلسي، تحقيق عبد الله سنده، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، 2006.
24- ديوان أبي سلمى عبد الكريم الكرم، دار العودة، بيروت، الطبعة الأولى، 1978.
25- ديوان أبي فراس الحمداني، تحقيق خليل الدويهي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1994.
26- ديوان أحمد شوقي"الشوقيات"، تدقيق محمد فوزي حمزة، الطبعة الثانية، مكتبة الآداب، القاهرة، 2012.
27- ديوان البحتري، تحقيق حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1964.
28- ديوان المتلمس الضبعي، تحقيق حسن الصريفي، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1970.
29- ديوان النابغة الذبياني، تحقيق عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، 1996.
30- ديوان إمرئ القيس، تحقيق عبد الرحمان المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، 2004.
31- ديوان حافظ إبراهيم، ضبطه وشرحه أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الإبياري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة، 1987.
32- ديوان طرفة بن العبد، تحقيق مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، 2002.
33- ديوان مالك الريب، تحقيق نوري حمودي القيسي، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج15،ج1.
34- ديوان محمود سامي البارودي، تحقيق علي الجارم ومحمد شفيق معروف، دارو العودة، بيروت، 1998.
35- ذكرى الشاعرين" شاعر النيل وأمير الشعراء"، أحمد عبيد، المكتبة العربية، دمشق، الطبعة الأولى.
36- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لإبن هشام، أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله بن أحمد السهيلي، تحقيق عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 2000.
37- سر الفصاحة، إبن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1982.
38- شرح اللزوميات لأبي العلاء المعري، تحقيق زين القوصي ووفاء الأعسر وسيدة حامد ومنير المدني، الهيئة المصرية للكتاب ،ج3، 1994.
39- شرح ديوان أبي تمام ، الخطيب التبريزي، تحقيق راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية،ج1، 1994.
40- شرح ديوان عنترة بن شداد، الخطيب التبريزي، تحقيق مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى،1992.
41- شعر شوقي الغنائي المسرحي، طه وادي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1985.
42- شوقي شاعر العصر الحديث، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الطبعة السابعة.
43- الشوقيات المجهولة، محمد صبري، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الثانية،ج1، 1979.
44- الصحاح لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، 1979.
45- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسبوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
46- الصورة في الشعر العربي، علي البطل، دار الأندلس، بيروت، الطبعة الثانية، 1981.
47- الصورة والبناء الشعري، محمد حسن عبد الله، دار المعارف، القاهرة، 1981.

48- ظواهر عروضية من الشوقيات، محمد عبد المجيد الطويل، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 2004.
49- عشرون من شعراء المنافي والسجون، أحمد سويلم، دار الطلائع، القاهرة، الطبعة الأولى، 2011.
50- علم البديع، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
51- علم المعاني، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت، 2009.
52- علم النص، جوليا كريستيفا، ترجمة فريد الزاهي، مراجعة عبد الجليل ناظم، دار توبقال للنشر، المغرب، الطبعة الأولى، 1991.
53- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، إبن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، الطبعة الخامسة، 1981.
54- الغربة والحنين في الشعر الأندلسي، فاطمة صحصح، مطبعة النجاح الجديدة، دار البيضاء، الطبعة الأولى، 1993.
55- الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، تحقيق يوسف النبهاني، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2003.
56- فن الشعر، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، دار الشروق، عمان، الطبعة الأولى، 1996.
57- في النقد الأدبي، أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، الطبعة الرابعة، 1967.
58- القرآن والصورة البيانية، د.عبد القادر حسين، عالم الكتب ، بيروت، الطبعة الثانية، 1985.
59- اللزوميات لأبي العلاء المعري، تحقيق أمين عبد العزيز الخانجي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج2.
60- المتنبي وشوقي، دراسة نقد وموازنة، عباس حسن، مطبعة الحلبي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1951.
61- المجال النفس الإجتماعي العربي، د.عباس مكي، معهد الإنماء العربي، بيروت،1991.
62- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، عبد الله الطيب الكويت الطبعة الثالة 1989.
63- معجم المصالحات البلاغية و تطورها، أحمد مطلوب مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1983.
64- المعجم الوسيط /مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المكتبة الإسلامية ،استانبول.
65- المكان في الشعر الأندلسي،محمد الرضوان، عمان، الطبعة الأولى.
66- من أعلام الفكر والأدب في التراث العربي، محمد جواد النوري ،مطبعة العربية ، القدس.
67- منهج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ،دار المغرب الإسلامي ،بيروت الطبعة الثالثة، 1986.
68- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، أبو القاسم بن بشر الآمدي تحقيق د. عبد الله المحارب مكتبة الخانجي، القاهرة ،الطبعة الأولى 1994.
69- موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1952.
70- نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت.

ب- الرسائل ومذكرات التخرج:

71- تجربة العربة والحنين عند أبي خفاجة: فتيحة دخموش(رسالة ماجستير جامعة منتوري)؛ تحليل الخطاب الشعري: محمد مفتاح المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الثالثة، 1992م؛

ج- المحاضرات والملتقيات:

72- محاضرات في العروض والقافية،د. علاء إسماعيل الحمزاوي، دار التيسير للطباعة والنشر بالمنية، 2002.

قائمة الفهارس

فهرس الآيات

السورة	رقم الآية	الآية	الصفحة
يونس	9	إنَ الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهمْ ربهم بإيمانهمْ تجري منْ تحتهم الأنهارُ في جنات النعيم	138
الإسراء	24	واخفضْ لهمَا جناحَ الذل من الرحمة وقلْ رب ارحمهماَ كماَ ربياني صغيرَا	140
الكهف	46	المالُ والبنونَ زينة الحياة الدنياَ	94
مريم	13	و حنانًا من لدنَا و زكواةً و كان تقياً	66
طه	123-120	فوسوسَ إليه الشيطانُ قالَ يا آدم هلْ أدلكَ على شجرة الخلد وملك لا يبلى* فأكلاَ منهاَ فبدتْ لهماض سوءاتهماَ وطفقاَ يخصفان عليهماَ من ورق الجنة وعصى آدمُ ربهُ فغوى* ثمَ اجتباهُ ربهُ فتابَ عليه وهدى* قالَ اهبطَا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فأماَ يأتينكم مني هدى فمن تبعَ هدايَ فلا يضلُ ولا يشقى*	139
الأنبياء	117	و ما أرسلناكَ إلا رحمةً للعالمينَ	108
الشعراء	226-224	و الشّعرآءٌ يتبعّهُم الغاونَ * ألمْ ترَ أنهمْ في كل واد يهيمونَ*و أنهم يقولون ماَ لاَ يفعلونَ*	22

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة.....	أ
الفصل التهيدي :ومضات في حياة الشاعر أحمد شوقي و سيرته.....	
المبحث الأول : حياة أحمد الشاعر.....	**01**
المبحث الثاني : نقد شوقي.....	**14**
المبحث الثالث : وفاته.....	**15**
الفصل الأول : الغربة و الحنين في شعر أحمد شوقي.....	

المبحث الأول : الغربة و الحنين لغة و اصطلاحا..... 18
المبحث الثاني : بواعث الغربة و أنواعها..... 21
المبحث الثالث: الحنين و تجلياته في شعر أحمد شوقي..... 44
الفصل الثاني : الدراسة الفنية.....
المبحث الأول : البنية الدلالية..... 71
المبحث الثاني : الإيقاع الشعري..... 88
المبحث الثالث : الموسيقى..... 97
خاتمة و أهم النتائج..... 109
قائمة المصادر و المراجع..... 111
فهارس الدراسة..... 116

1